روائع المسرح العالمى

٣١

منزل القلوب المحطمة

تأليف جورج برنارد شو

ترجمة محمود سامى أحمد

مراجعة الدكتور شكرى محمد عياد

تقديم د. رمسيس عوض

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

جورج برنرد شو

أحسب أن الانسان اذا كلف بتلخيص دائرة المعارف البريطانية فى مقال واحد جامع مانع كان ذلك أهون عليه من الكتابة عن جورج برنرد شو فى مثل هذا المقال .. ذلك أن الكاتب عن شو يكون حيال رجل جبل شامخ صعب المرتقى .. لا يدرى أى سبيل من سبله الكثيرة الملتوية المتعددة يمكن أن تصعد به الى قمة هذا الجبل .. بل الى منتصف القمة من أول السفح ، دون أن يضطر الى العودة من حيث بدأ كى يلتمس سبيلا أخرى لا يدرى الى أين تنتهى هى أيضا .

لقد ظل شو ثلاثة أرباع قرن من الزمان يكتب وينقد ويحاضر ويؤلف ويسخر ويتهكم ويثرثر ويفرض شخصيته وآراءه على الدنيا كلها وليس على العالم الانجليزى وحده ، ويرغم كل حامل قلم فى أركان الدنيا السبعة — ان صح أن للدنيا سبعة أركان فقط — على التحدث معه ومناقشة آرائه والتبشير بها مرة ومعارضتها مرات .. وكانت مناقشة هذه الآراء تخرج كثيرا الى حدود الشقشقة التى تتعب السر ..

لكنها مع ذاك تلك الشقشقة التى تستقر منها أشياء .. وأشياء كثيرة فى أذهان القراء أو المتفرجين أو السامعين فلا تبرح هذه الأذهان أبدا .. بل هى لا تنفك تفعل فعلها فيها حتى تخلق من أصحابها أناسا آخرين وعقليات جديدة .. وهذه ظاهرة لم تتم على يد كاتب قط قبل شو .. ولا نستثنى من الكتاب أحدا حتى ڤولتير أوجيته .

على أننا نريد مع ذاك أن نضع المفتاح الذهبى لحياة شو فى يد القارىء ، حتى قبل أن نتحدث بشىء عن تلك الحياة الحافلة الخصبة المكافحة التى لم يمل فيها صاحبها لحظة واحدة من الكتابة أو المناقشة أو التأليف أو المشاركة الايجابية فى توجيه الفنون والآداب والفلسفة وجميع فروع المعرفة ، وطبعها بطابعه الساخر الجبار . أما ذلك المفتاح الذهبى فيتلخص فى أن شو كان طوال عمره كله « ناقدا » .. كان ناقدا فى كل شىء ، وفى جميع مجالات الفكر .. ولم يكن فى الخمسين من المسرحيات التى كتبها ، أو القصص التافهة التى ألفها فى صدر شبابه ، أو فى الكتب الاشتراكية أو السياسية التى أصدرها ، أو فى مقدمات تمثيلياته التى كان يصول فيها ويجول حتى يخرج عن موضوعات تلك التمثيليات .. لم يكن شو فى ذلك كله الا « ناقدا » .. ناقدا ان لم يجد ما ينقده ، وما أندر ما كان

يعجز عن ايجاد ما ينقده ، خلق أفكارا جديدة وراح يرجم بها وجه العالم أجمع ، ثم شرع يناقشها ويخلق لها المتشابهات والأضداد ، ويشغل بها أذهان الناس حتى يغرقوا فى غمرتها ، وحتى تصبح لهم مشغلة تلهيهم حتى عن أنفسهم لأنهم كثيرا ما كانوا يرون فيها أفكارهم ووسوسات صدورهم .

فلنذكر دائما اذن أن شو كان طوال عمره « ناقدا » .. وأنه كان ناقدا لا يمل من النقد ولا يتعب من الكتابة .. وأنه لكثرة ما كان يضطرب به ذهنه من الأفكار .. ولما رأى أن الكتابة باليد لا تسعفه فى تدوين تلك الآراء استعمل من يمليها عليها — وكانت له سكرتيرة لهذا السبب ، ثم استعمل الآلة الكاتبة .. فلما رآها شيئا بطيئا أيضا ، وأنها لا تسعفه فى تدوين تلك الأفكار كلها استغنى عنها ولجأ الى الاختزال ! ولعله لو أنسأ الله فى عمره كان يلجأ الى الاختزال الذرى .

وعبقرية شو وان كانت من نسيج آخر غير النسيج الذى صنعت منه عبقرية شيكسبير لا تكاد تختلف عنها ، من حيث أن الذى صنعها هو الكفاح وشىء من الكدح التماسا للرزق .

فلقد ولد شو سنة ١٨٥٦ بمدينة دبلن (عاصمة أيرلندة) من أبوين متوسطى الحال . فأبوه جورج كار شو G. Carr Shaw كان موظفا بسيطا بالمحاكم ولا يكاد يقوم بعمل يستحق عليه

الراتب الضئيل الذى يتقاضاه ؛ وأمه لوسندا اليزابث (جرلى Gurly) شو فنـــانة فاضلة اضطرت لضآلة ما يتقاضاه زوجها الى التكسب بالغناء والانشاد واعطاء الدروس الخصوصية فيهما وفى مبادىء الموسيقى أيضا ، ومن هنا شب ابنها شو على تعشق ذلك كله ، وتبريزه فى تحصـــيل فنـــون الغنـــاء والموسيقى ، وغرامه الشديد بالموسيقى الكلاسية بوجه خاص . حتى أهله ذلك لأن يكون من أبرز النقاد الموسيقيين فيما بعد . أما شو فلم يتلق الا قدرا ضئيلا من التعليم فيما يشبه المدارس الابتدائية بنظامها القديم عندنا .. وذلك فى بعض مدارس دبلن ؛ وقد اضطر الى التماس الرزق فى سن مبكرة ، لما كان عليه أبواه من رقة الحال وقلة المورد ، فعمل شبه كاتب عند أحد سماسرة الأراضى براتب لا يزيد على ثمانية عشر شلنا — أى اثنين وسبعين قرشا — فى الشهر ؛ ثم عمل صرافا حينما بلغ السادسة عشرة . وعندما بلغ من العمر عشرين عاما ، وكان راتبه قد ارتفع الى سبعة جنيهات فى الشهر — أو أربعة وثمانين جنيها فى السنة — فر بجلده من دبلن ليستقر نهائيا ، وطول حياته ، فى لندن .. مهاجرا فى سبيل حياة أفضل .. لكن هذه الحيـاة الأفضل تلكأت وتسكعت فاضطر الى الالتحاق بوظيفة حقيرة فى شركة أديسون للتليفونات حيث ظل فيها بضعة أشهر كان

لا ينفك يتحسس فيها طريقه الى عالم الأدب .. وكان شو نهما الى القراءة .. لم يكد يبلغ العشرين حتى كان يحفظ جميع مسرحيات شيكسبير عن ظهر قلب ، وكان كأنما يعرف جميع شخصيات هذه المسرحيات معرفة القريب أو النسيب أو الرجل الذى عاشرها واختلط بها وأكلها وشرب معها كما يقول هو . ولا سيما الشخصيات الهزيلة منها .. شخصيات الخدم والوصفاء والوصيفات والأشرار الذين تدفعهم الظروف الى أن يكونوا أشرارا .

وظل شو فى لندن يقاسى مرارة الحرمان تسع سنوات تباعا لم يكن يكسب فيها الا مالا يكاد يذكر .. بل يقال انه لم يكسب طوالها من ثمرات قلمه الا ستة جنيهات عن صيغة اعلان عن أحد الاختراعات فى ميدان الأدوية ، وعن مجموعة من النظم كانت باكورة انتاجه فى ميدان الشعر فى عهد الصبى ، وكانت والدته لهذا السبب تمده من دبلن بمعونة مالية تعينه بها على حياته .. أعنى بلواه ..

وبين عامى ١٨٧٩ — ١٨٨٤ كتب شو خمس قصص كادت تجر الافلاس على نشرها .. والعجب أن ناشرا حديثا دفع لشو على اعادة نشرها .. وكان ذلك بعد الطبعة الأولى بثلاثين عاما تقريبا — مبلغا من المال لو كان شـــو ربحه عن الطبعة الأولى

لتغيرت حياته .. ولكن كيف كان هذا التغير قمينا بأن يكون .. فلا أحد يدرى .. ولعلنا كنا خسرنا فى شو الكاتب المسرحى الفحل .. ولعله كان انقطع لكتابة القصة .. وعلى كل حال .. فليس فى الامكان أبدع مما كان ، كما تقول نحن العرب :

على أنه استطاع فى هذه الفترة أيضا أن يخالط رجالات الفكر الانجليز وأن يبرز بينهم بوصفه محدثا لبقا ومحاضرا فذا .. ولما تأسست الجمعية الفابية Fabin Society — وهى جمعية الاشتراكيين المعتدلين — انضم اليها وأصبح من أبرز أعضائها ، وكانت الجمعية تدعو الى تحرير الأراضى والصناعات الكبيرة من سيطرة الملاك والرأسماليين الفرديين ووضعها فى خدمة المجتمع . واسم الجمعية مشتق من كوينتوس فابيوس Quintus Fabius (٢٧٥ — ٢٠٣ ق . م) القائد الرومانى الذى كان يلقب بلقب كنكاتور Cunctatar ، والذى انتصر على هانيبال بحنكته وبعد نظره وليس بالقهر والغلب ؛ ومن ثمة نسبة الفابية الاشتراكية التى تسعى لتحقيق أهدافها بالاقناع وبالوسائل السلمية ، وليس بالعنف أو حد السلاح .

وقد كانت صداقته لأعضاء الجمعية الفابية نقطة تحول فى حياته .. فلقد درس الاشتراكية دراسة عميقة وجعلها دينه وديدنه .. وحسبك أن تعرف أنه أصبح صديقا لسدنى وب

S. Webb ، ووليم موريس W. Morris ، ووليم آرشر W. Archer ، وادورد كارپنتر E. Carpenter ، وغيرهم من المفكرين العظماء الذين لا نبالغ اذا قلنا انهم هم الذين غيروا العقلية الانجليزية وأنقذوها من سيطرة مسز جراندى .. تلك السيدة التى يرمزون بها الى جمود العصر الڤكتورى وتزمته وسيطرة التقاليد العتيقة الرجعية البالية .

فسدنى وب (١٨٥٩ — ١٩٤٧) هو ذلك الكاتب الاقتصادى الكبير الذى ظل خمسين عاما متتالية يبشر بالحركة العمالية ويطالب بانصاف العمال ورفع مستواهم المعيشى والتوسع فى تيسير الخدمات العامة لهم .. وهو منشئى الجمعية الفابية المذكورة ثم اليه يرجع الفضل فى تكوين حزب العمال فى انجلترا والكف من غلواء حزبى الأحرار والمحافظين .

ووليم موريس (١٨٣٤ — ١٨٩٦) هو ذلك الشاعر الكاتب المغرم بالفنون الرفيعة ، والذى ترتبط حياته بحياة جماعة الفنانين على سنن ما قبل رفائيل ، وحياة الحركة الاشتراكية فى انجلترا . وأثر موريس فى شو أثر عميق بلا شك ، والذى يدرس مسرحيات ومقدمات شو ويكون قد قرأ قصص وأساطير موريس يدرك من فوره أن المسحة الخيالية

اللطيفة التى تسحرنا فى مسرحيات شو هى أثر لا شك فيه من آثار موريس .

أما وليم آرشر (١٨٥٦ — ١٩٢٤) فهو الصحفى الاشتراكى والمحرر الأدبى والنقد المسرحى الكبير .. ثم هو فوق كل ذلك المترجم الذى بشر بابسن ونقل جميع مسرحياته الى الانجليزية فاهتز بها العالم الانجليزى اهتزازا عنيفا .. ثم هو أيضا الناقد الذى لفت أنظار الانجليز الى ما كان يضطرب به المسرح الفرنسى من التجارب الجديدة فى المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى والمذهب الرمزى — وكان يجوب عالم المسرح فى الدنيا كلها ، ولا سيما فى أمريكا ، ليكتب عنه كتابة الذى يرى رأى العين ، وكانت مقالاته تحتل مكانها فى أشهر الصحف والمجلات الانجليزية ، وقد جمعت فى مجلدات ضخمة ، ولا تزال تقرأ وتدرس حتى اليوم .

وادوارد كارپنتر (١٨٤٤ — ١٩٢٩) هو الكاتب الاشتراكى الذى حمل على كاهله العبء الأكبر فى الدعوة للحركة الاشتراكية فى انجلترا والأخذ بيد العمال فيها .

فهؤلاء أربعة من الكتاب الذين أثروا بلا شك فى عقلية شو .. وكانت مبادئهم الاشتراكية تجد لها صدى كبيرا فى نفسه ، وكانت الحاجة التى يعيش فيها باستمرار تذكى دعوتهم

فى قلبه ، ومن ثمة عاش طول حياته اشتراكيا غاليا فى اشتراكيته ، بل لقد أسرف آخر الأمر فمال نحو اليسارية المتطرفة ، حتى بعد أن أصبح من أصحاب الملايين ، وبعد أن أصبح رأسماليا بخيلا الى أبشع حدود البخل .

وقد توسط له صديقه وليم آرشر فأصبح ناقدا للكتب وعارضا لها فى صحيفة البول مول غازيت Pall Mall Gazette ثم ناقدا للفنون فى صحيفة العالم The World ، وكان مؤهله لهذا العمل الأخير كثرة تردده فى أيام طفولته على المعرض القومى بمدينة دبلن . ثم اتسعت دائرة عمله الصحفى بعد ذلك ، فكان ناقدا موسيقيا لصحيفة ستار Star من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٠ وكان ينشر فصوله فيها باسم مستعار هو كورنو دى باستو Corno di Bassetto ثم انتقل بنفس الاسم ولنفس العمل فى صحيفة العالم من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٨٩٤ . وكانت مقالاته فى النقد فى هذا الميدان تعد زادا جديدا فى بابها ، ووضع الأسس الفنية للنقد الموسيقى فى انجلترا الحديثة ، وكان بعد بصره فى الملاحظات التى يوجهها الى الموسيقيين — مؤلفين كانوا أو عازفين — تسترعى انتباههم وتوجههم توجيها كريما حسنا .. وكانوا يعجبون لهذا الناقد العالم الذى يتحرى البناء ولا يعمد الى الهدم ، ويقصد

الى الأخذ بيد الموسيقار المرجو حتى يبلغ حد الكمال فى عمله الفنى العظيم .. من أجل ذلك أقبلوا على مقالاته يدرسونها ويتأملون ما فيها ، وكانت المعاهد والمحافل الموسيقية نفسها تنتظرها وتحتفى بما فيها وتقدرها تقديرا عظيما وتعجب لهذا الكورنو دى باستو - وكانوا يحسبونه فنانا ايطاليا ! — كيف ينطوى على كل هذا الفضل والعلم .

على أن ميدانا جديدا انفتح أمام شو ، وفى مجال فنى آخر .. هو مجال النقد المسرحى فى صحيفة ستر داى ريفيو Saturday Review التى ظل يواليها بفصوله فى هذا الباب من يناير سنة ١٨٩٥ حتى مايو سنة ١٨٩٨ . وقد كانت هذه الفصول التى يتحدث فيها شو عن التمثيليات والممثلين فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر مفاجأة جديدة فى فن النقد المسرحى .. هذا الفن الذى كان يتبارى فيه فى وقت واحد عاهل النقد فى ذلك العصر : وليم آرشر الذى أشرنا اليه آنفا ، ثم فطاحل النقد الذين سبقوه الى الميدان فى تلك الفترة نفسها ، أمثال ا . ب . ووكلى A.B. Walkly ، وكلمنت سكوت Clement Scott ، وجوزيف نيت Joseph Knight ، و جـ . ت . جرين J.T. Grein ، و س . ر . لتلوود S.L. Little Wood .. الخ .. ممن لا يزال فن النقد المسرحى

يفخر بآثارهم الى اليوم وممن قاموا عمود هذا الفن لنقاد المسرح الحديث يحتذونه ويمشـــون فى ذراه . وقد جمعت فصول شو فى النقد المسرحى والتى نشر معظمها فى السترداى ريفيو ، وأعيد نشرها فى مجلد باسم : « مسارحنا فى التسعينات Our Theatres in the Nineties أى فى الحلقة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وهى تقرأ الآن كما كانت تقرأ قبل ستين عاما أو يزيد وكأنها كتبت لنا اليوم دون أن يكون فيها سطر واحد يعد كلاما قديما أو رأيا فطيرا أو حديثا نظريا أكل الدهر عليه وشرب . اننا نقرؤها ونستمتع بما فيها من روح فكه وتيار فكرى دافق وتوجيه سديد سليم وأسلوب هو أسلوب شو الخالد الذى يسيل رقة وحلاوة وطلاوة . واسمع اليه مثلا وهو يكتب عن مسرحية سمبلين لشيكسبير بعد تمثيلها على مسرح الليسيوم سنة ١٨٩٦ .. ولعلك تعرف أن شو الذى كان يحفظ شيكسبير عن ظهر قلب كان يعادى شيكسبير بعد أن لمع هو ككاتب مسرحى ، بل كان يفضل نفسه عليه ولا يعـده شيئا الى جانبه : يقول شو :

« تمر بالانسان أحيانا لحظات لا يملك أن يسائل فيها نفسه ، وقد استولى عليه الضيق ، ونال منه اليأس ، عن السبب الذى من أجله كتبت اللعنة على مسرحنا بفرض شخصية

هذا اللص على ذلك المسرح . ذلك النشال « الخالد » الذى لا يفتأ يسطو على قصص غيره من الكتاب وأفكارهم ثم يقدمها للناس بعد أن يغرقها بما برع فيه من اطناباته البيانية الضخمة ، وسخافاته وتفاهاته المبتذلة التى لا حد لها .. وقدرته الفائقة على تبسيطه لأشد مشكلات الحياة تعقيدا وأدقها تداخلا الى الحد الذى تبدو به بعد ذلك مسائل عادية وأمورا عامة مما يحتدم حوله الجدل فى المنتديات التى تجمع طبقات شتى من الفنانين وأهل الفكر .. ثم فرضه آراء على الناس فرضا عجيبا غريبا .. ثم جمعه المحكم بين التفكير السديد المهيأ المروّ والعقم الذهنى التام ، ثم قصوره المتتابع فى التخلص من أى جماعة يدخلها فوق منصته حتى أشد هذه الجماعات جهلا وأقلها تنورا اللهم الا حينما يقول فى جلال ومهابة شيئا سخيفا تافها بالغا فى سخفه وتفاهته الحد الذى لا يجوز على عقل عاقل بحيث لا يستطيع مستمعوه من ذوى التفكير المحدود المتواضع أن يكفوا أنفسهم عن الدهشة من أن رجلا عظيما كهذا الرجل قد قصد حقا أن يتحدث كما تتحدث جدّاتهم ..

« الا أننى لا أملك مع هذا الا أن أرثى أشد الرثاء لكل شخص لا يستطيع أن يقدر شيكسبير وأن يستمتع به .. وأن يقدر موهبته على سرد حكاية من الحكايات « بشرط أن يكون

بعضهم قد حكاها له أولا ! » ، وسيطرته العظمى على زمام اللغة ، ويتجلى ذلك فى انتهاكه الشنيع الأخرق لتلك اللغة بقدر ما يتجلى فى خوارق تعبيراته ؛ ثم فكاهته ، وبصره الفطرى بطبائع شخصياته ؛ ثم ذخيرته العظيمة الضخمة من ذلك النشاط المتدفق الحيوى الذى هو على ما يبدو الخلة الحقيقية المميزة الكامنة وراء ملكات الانسان العبقرى ، سواء كانت هـذه الملكات ملكات طيبة أو خبيثة أو سبهللا — وبالأحرى — لا تفرق بين ما هو طيب وما هو خبيث ؛ الملكات التى تساعده على الترفيه عنـا وادخال السرور على نفوسنا بهذه الطريقة المثمرة البالغة التأثير حتى لتصبح المناظر الخيالية والنـاس الخياليون الذين خلقهم وابتكرهم ابتكارا مناظر أقرب الى الحقيقة وأناسا أقرب الى الواقع من واقعنا الحقيقى نفسه وحياتنا الحقيقية ذاتها — على الأقل الى أن يبدأ ادراكنا لهذه الحيـاة الحقيقيـة وتملؤنا بها فى التعمق والتوقد فيما تحت سطح الأمور العامة العادية . انني عندما كنت فى العشرين من عمرى كنت أعرف كل شخصية من شخصيات شيكسبير ، من هاملت الى آبهورسون (فى مسرحية دقة بدقة) معرفة أشد ألفة من معرفتى لمعاصرى الأحياء .. » .

فهذا نموذج مما كان يحفل به نقد شو للموضوعات التى

ينقدها .. لقد صور لنا شيكسبير فجعله « نشالا » ينشل قصص الكتاب وأفكارهم .. لكنه نشال عبقرى له ذوقه الجم وقدرته الفائقة على حسن الاختيار والتنخل ، ثم هو بعد ذلك يخلو الى ما نشله فيعمل فيه ملكاته الخاصة من بعد بصره وخبرته بأخلاق الناس ، وحسن تصويره لدخائلهم ، وافتنانه فى تصوير المناظر تصويرا كلاميا كان لابد منه لمنصة المسرح العارية فى ذلك الزمـان .. ثم خلقه لشخصيات خيالية تبـذ الشخصيات الحقيقية فى قربها من الواقع .. ثم بعد هذا كله سيطرته على اللغة وقلة احتفاله بضوابطها وحذلقات اللغويين وسخافاتهم .. هذا بالاضافة الى تلك الفكاهة وذلك الظرف ، وتعبيراته التى كان يضربها على أم رأسها فتدخل رغم أنفها فى تعبيرات الناس وكلامهم .. ان شو يصور لنا شيكسبير فى هذه السطور القلائل تصويرا يكاد يكون كاملا .. انه يصوره تصويرا موضوعيا يستطيع قارئه بعد أن يفرغ من قراءته أن يتخذه ميزانا يزن به ما يقرأ .. فما بالك اذا قرأ لشو مجلدا كاملا فى نقد التمثيليات والممثلين والمسارح ومن يعمل فيها من الفنانين فى حقبة حافلة من الزمن ، كانت هى الحقبة السابقة على تفرغ شو نفسه للتأليف المسرحى أو شبه تفرغه لهذا التأليف .

والظاهر أن اشتغال شو بالنقد المسرحى تلك الفترة الطويلة

من الزمن ، ثم اقتناعه بعدالة الاشتراكية ومخالطته جماعة الاشتراكيين الانجليز وكثرة محاضراته عن دقائق المذهب الاشتراكى على أسس عملية فلسفية ، واصراره على فضح النظم البرلمانية والرأسمالية .. فضلا عن ظهور ترجمات ابسن الى اللغة الانجليزية ولا سيما ترجمة صديقه وصفيه وليم آرشر .. كل هذا شجع شو على الكتابة للمسرح .. على أن أكبر ما شجعه على ذلك هو انشاء ج ت : جرين J.T. Grein وتفر من الشركاء للمسرح الانجليزى المستقل أو الى : Independent Theater فى مدينة لندن سنة ١٨٩١ ، وذلك على غرار المسرح الحر Théâtre Libre الفرنسى الذى أنشأه أندريه أنطوان فى باريس سنة ١٨٨٧ والذى أنشأ براهم Brahm على غراره المسرح الحر الألمانى فى برلين سنة ١٨٨٩ لقد كان الباعث لجرين واخوانه على انشاء المسرح المستقل الانجليزى هو تشجيع الكتاب الناشئين على اخراج مسرحياتهم التى يحاربها التجار من العاملين بالمسارح ويقفون لها بالمرصاد لعلمهم بأنها لن تغل لهم ربحا ذا بال ، ان لم تجر عليهم الخسارة المادية ، فضلا عن اثارتها للرأى العام الذى كان يتأدب بآداب المسز جراندى رمز التزمت فى العصر الفكتورى كما أشرنا الى هذا ، والذى كان ينكر للدعوة الاشتراكية التى كانت تنادى

بها الجمعية الفابية فى أقذر مجتمع رأسمالى استعمارى عرفه التاريخ . واقرأ بعض ما جاء فى خطاب كتبه شو الى جرين فى هذا الصدد بمناسبة اصدار جرين لمجلد من مقالاته فى النقد سنة ١٩٢١ ، قال :

« يكاد هذا العام أن يكون ختام الأعوام الثلاثين منذ أن شمرت عن ساعد الجد للقيام بمحاولتك المستيئسة لكى تجعل المسرح الانجليزى يرتبط برابطة ما بالثقافة المعاصرة الحاضرة . وقد أوحى الينا ماتيو آرنولد بالقيام بتلك الخطوة ، بيد أن أحدا من العاملين بمسارحنا لم يلتفت قط الى ما أوحى به ، لأن أحدا من العاملين بتلك المسارح لم يكن يعرف قط من هو ماتيو آرنولد هذا ! .. وأنت حينما دفعك اليأس الى نشر اعلان بالصحف لأول مرة تعلن فيه بأن ذلك المسرح الذى لم يسمع به من قبل والذى يسمى المسرح المستقل سوف يقدم تمثيلية لم يسمع بها من قبل كذلك فى أمسية معينة من أمسيات أيام الآحاد وليلة يوم الاثنين التى تليها .. وعندما جاهرت الصحافة بعد أن مثلت المسرحية بوجوب محاكمة مدير مثل هذه الفرقة لادارته مثل هذا المسرح الثائر المتمرد المخل بالنظام ، ووجوب نفيك من البلاد أنت وهذا الشخص الأجنبى الوبش (!) المدعو ابسن الذى كان شريكك فى هذا العمل ،

وذلك بوصفكما شخصين غير مرغوب فيهما .. أنت حينما قمت بهذا العمل كنت قد فتحت ثغرة فى سد الأمواج ، ثم تبعك الفيضان الخارجى بثقله ، فقام ببقية المهمة . وعندما أعلنت أنك سوف تبرز االى الضوء كنوز المسرحيات الانجليزية التى لم تمثل من قبل والتى كان يخنقها مديرو المسارح فى تلك الأيام بحبسها عن التمثيل اكتشفت أنه لم يكن ثمة أية مسرحية انجليزية غير ممثلة اللهم الا فصلين من تمثيلية لم يتم تأليفها بعد (شرع المؤلف فى كتابتها منذ ثمانى سنوات ثم ألقاها جانبا) أما هذا المؤلف فهو .. أنا ! الا أن انشاء المسرح المستقل هو الذى جعلنى أهم باتمام تلك المسرحية .. ثم تلا كل شيء من تلك النقطة .. نقطة البداية . لقد كتبت مسرحية « الأسلحة والرجل » بعد ذلك .. ثم لم تلبث مس هورنمان Miss Horniman أن أنشأت مسرحى المذخرات The Repertory Théater فى مدينة دبلن وفى مدينة مانشستر .. كما ظهرت مسرحيتى « كانديدا » فى حفلة نهارية « ماتينيه » قدمتها فرقة جرانفيل بيكر فى مسرح الكورت .. الخ .. » .

* * *

وعلى هذه الصورة اذن دخل برنرد شو عالم المسرح

مؤلفا مسرحيا بعد أن دخله ناقدا مسرحيا .. دخله كاتبا مسرحيا بعد انشاء جرين لمسرحه المستقل بدعوى تشجيع المؤلفين الناشئين الذين لا يجرؤ أصحاب المسارح على اخراج مسرحياتهم ، فلما بحث عن هذه المسرحيات لم يجد منها شيئا .. وكل الذى وجده هو هذا الجزء من مسرحية « بيوت العزاب » Widowers' Houses ، والتى مثلت خطأ فى مصر فى موسم (٦٠ — ٦١) باسم بيوت الأرامل .. وهى لا صلة لها بالأرامل مطلقا .. وكان شو قد كتب منها فصلين ثم تركها جانبا .. ثم عاد الى اتمامها بعد أن ألح عليه جرين فى ذلك ، على أن تكون مسرحية افتتاح فرقة المسرح المستقل.. ولما مثلت المسرحية كانت مفاجأة مستغربة لهذا الجمهور الرأسمالى القذر الذى شهد تمثيلها .. وكيف لا تكون كذلك وهى تهاجم الاستغلال الحقير الذى يلجأ اليه الرأسماليون المحدثو النعمة فى مراكمة أموالهم ومضاعفتها بأخبث الطرق وأسفلها .. حتى اذا احتج بعض ذوى المال على ذلك بدافع الانسانية ، ثم كادت المصلحة العامة أن تمس ثروته هو بالذات ومصدر رزقه الذى يرتزق منه عاد فتنازل عن مثله العليا .. وراح يغضى عينيه على القذى كما يفعل من احتج عليهم من الرأسماليين ، فأجاز وسائلهم ، واندفع فى تيارهم لكى يزداد ثروة ومالا .

وكان طبيعيا أن تسقط المسرحية لهذا السبب بالذات .. ومن ثمة قولة شو المشهورة : لقد نجحت مسرحيتى وسقط الجمهور .. وأى جمهور ؟ . هذا الجمهور الرأسمالى الذى يغرق فى أدران الرأسمالية العفنة الى أذقانه .. ولهذا أقسم شو ليشحذن سكينة ، وليذبحن هذا الجمهور وليسلخنه سلخا ..

وكان ذلك سنة ١٨٩٢ حينما مثلت « بيوت العزاب » التى كان قد بدأ كتابتها سنة ١٨٨٥ ، والتى أخرجها ج . ت . جرين على مسرح الرويسالتى Royalty Theater ، وفى ابريل سنة ١٨٩٤ ظهرت مسرحيته الأسلحة والرجل فوق خشبة مسرح الأفنيو ويسخر فيها شو من الجندية ومن الحرب ويصور فيها نفسية الجندى العجوز الذى يفضل الطعام والشوكولاتة على جعبة الرصاص ، كما يصور فيها حيلة بطلنا عنترة بن شداد فى أحسن الوسائل لبلوغ النصر .. وذلك بتلمس نقط الضعف فى العدو وتلا فى نقط القوة فيه .

وكان شو قد كتب فى السنة السابقة — أى سنة ١٨٩٣ مسرحيته « حرفة المسز ورن Mrs. Warren's Profession » و « زير النساء The Philanderer » ، وموضوع المسرحية الأولى هو آفة البغاء ونفسيات البغايا ، وأن البغى حينما

تضطرها ظروفنا الاجتماعية الى احتراف هذه اللعنة مرغمة تبدؤها بنفس ذكية وقلب من ذهب ، فاذا أصبحت الحرفة عملا عاديا انقلب البغاء فأصبح عادة .. وأصبحت اللعنة لعنة مجتمع وليست لعنة فرد ؛ وآية ذلك تلك الأم البغى التى أشفقت أن تنشأ ابنتها فى ذلك المأخور الوخم الذى اضطرب الأم الى ادارته .. فأقصت الابنة عنه وربتها أحسن تربية .. فلما عادت الابنة بعد اتمام دراستها وعرفت أى حرفة تحترفها أمها ناقشتها فى ذلك .. واقتنعت بوجهة نظرها .. لكنها لما طالبتها بالاقلاع والتوبة وجدت أن أمها لا ترى الى التوبة من سبيل .. لقد أصبح البغاء حرفة وعملا : أو business ، كما يقول الغربيون . وهنا تأسف الابنة .. وتنصرف عن أمها الى الأبد . وقد منعت الرقابة تمثيل هذه المسرحية ؛ ووافق الرأى العام على وجهة نظر الرقابة ، لكن شو لم ينفك يهاجم الرقابة ويهاجم الرأى العام حتى سمح بعرض المسرحية .. ولكن الجمهور كان لا يزال خاضعا لروح التزمت الفكتورى .. ومن ثمة كان مصير المسرحية معروفا .. وكيف يقبل الجمهور المتزمت الرأسمالى المحافظ على مشاهدة مأساة أم تدير بضعة مواخير فى بلاد متفرقة !! ان الموضوع وان بدا أنه مشكلة الا أنه لا يزال من الموضوعات الشائكة التى تنفر منها الأذواق ، حتى بعد تمثيل المسرحية سنة ١٩٢٠ (!) .

أما « زير النساء » .. وما كان أظرف أن نسميها « الفلاتى ! » فيسخر فيها شو ممن يصمون الزواج بأنه عبودية ورق ، فاذا وقعوا فى شراك الغرام طالبوا بأن يتزوجوا ممن يحبون .. أى بوضع أغلال الرق فى أعناقهم ، حريصين على ذلك ، سعداء به . فهذا هو بطل الملهاة تشار تاريس Charteris — زير النساء — تلاحقه حبيبة جديدة « چوليا كرافن J. Craven » حتى تشتد أواصر الحب بينهما ، ثم هى تأبى أن تتزوج منه لأنها تعد الزواج صفقة خاسرة تحط من كرامة المرأة ، اذ أنها تبيع نفسها بموجبها لرجل مقابل هذه الوظيفة أو الحالة الاجتماعية التى تصبح بها « زوجة » ثم لكى تضمن أن ينفق عليها هذا الرجل فى حالة شيخوختها .. من أجل ذلك تؤثر چوليا أن تظل حرة من قيود الزواج حتى اذا أحست بوجود صيد جديد .. أى حبيب جديد .. استطاعت انتهاز الفرصة وخوض مغامرة جديدة .. لكن الحالة تنقلب .: لأنها تشعر أن تشار تاريس — زير النساء — هو الذى شرع يجرى وراء صيد جديد .. وهى لهذا تشرع فى الحال فى مطالبته بالزواج .. الزواج الذى يضمن لها وضع القيود لمصلحتها فى عنق حبيبها .. وفى عنقها هى أيضا ! ..

وهذه المسرحيات الثلاث : بيوت العزاب ، وحرفة المسز ورن ، وزير النساء ، هى التى تكون تلك المجموعة التى أطلق عليها شو اسم « تمثيليات غير لطيفة » .. يقصد أن موضوعاتها موضوعات تصدم أذواق الناس ، ولا سيما جمهور المجتمع الرأسمالى الاستغلالى الذى كان شو يناصبه العداء ، ومات وهو يحتقره ويسخر منه ويزدريه .

وكان شو قد كتب مسرحيته الأسلحة والرجل قبل ذلك . فلما كانت سنة ١٨٩٥ ظهرت ملهاته « كانديدا » التى يعدها كثيرون أحسن ملاهيه .. وهى من المسرحيات ذات العقدة الثلاثية .. وبالأحرى الـ Triangle Plays ، أى المسرحيات التى تشتمل على ثلاث شخصيات منها شخصيتان تتنافسان فى حب شخصية ثالثة .. فكانديدا سيدة متزوجة من القس المحترم جيمس موريل J. Morell الذى لا يفتأ يخطب الناس ويعظهم ويحضهم على المحبة والخير والحق .. لكن فتى شابا وسيم الطلعة يقرض الشعر ويهوى الأدب ، يدعى يوچين مارشبانكس Eugene Marchbanks لا يكاد يخالط الأسرة حتى يقع فى غرام كانديدا التى تعطف عليه وترى أن تشجعه حتى ينبغ فى الشعر .. الا أن الغرام يشتد بالفتى الذى يأخذ فى احتقار الزوج القس .. وينفس عليه تمتعه بكل هذا الجمال

الذى تنعم به كانديدا .. ثم هو يرثى لمعبودة قلبه كيف يقسو عليها القدر فتتزوج من رجل يسمح لها بأن تلوث أناملها الحلوة بزيت البترول وهى تشذب ذبالة المصباح (أى شريطه !) .. ثم يكتشف الزوج هذه العلاقة فلا ينكرها الفتى .. ولا تنكرها كانديدا .. والعجيب أن يقترح الفتى على القس تفويض الأمر الى كانديدا لتختار أحد الرجلين .. ويقبل القس .. ولكن كانديدا تطلب منهما أن يتفاضلا .. كل بما عنده .. فاذا افتخر الزوج بقوته ، وافتخر الشاب بضعفه .. تبسمت كانديدا واختارت زوجها .. لأنه أضعف الرجلين وأحوجهما اليها .. انها ليست زوجة القس فقط ، بل هى أمه وأخته وصديقته .. وكل شىء فى حياته !

وقد كانت « كانديدا » هى الحلقة الثانية — بعد « الأسلحة والرجل » من مجموعة مسرحياته التى سماها « مسرحيات لطيفة » .

وفى سنة ١٨٩٥ أيضا ظهرت مسرحيته « رجل الأقدار Man of Destiny » التى يسخر فيها من الطغيان والطغاة وقادة الحروب فى شخص « نابليون » . وقد نجحت نجاحا ساحقا كما نجحت الأسلحة والرجل وكانديدا من قبل .. وهناك أوجه للشبه بين رجل الأقدار وبين الأسلحة والرجل .. ولا سيما من حيث

سخرية شو برجال الحروب ، ونسبة انتصاراتهم ومجدهم الى عوامل لم تكن لهم فيها يد قط . وكان نجاح هذه القطع الثلاث مدعاة الى حسد النقاد واتهامهم شو بأنه ينزع نزعة تجارية فى تأليفه ، وأنه ينتهج فيها نهج « المسرحية ذات الحبكة الجيدة The well-made play » التى كان يعيبها من قبل ويهاجم الكاتب الفرنسى ساردو . – تلميذ سكريب مبتكر هذا النوع – من أجلها .. وذلك أيام تفرغ شو للنقد المسرحى .. فلما أصبح كاتبا مسرحيا لم يجد بدا من الأخذ بتلك الطريقة ابتغاء الربح المادى . وقد كان شو يعيب المسرحية ذات الحبكة الجيدة بحجة أن جمال هذه الحبكة تصرف أذهان الجمهور عادة عن أهمية الموضوع وتقلل من قيمته .. وذلك بعد أن اتجه ساردو بالمسرحية ذات الحبكة الجيدة اتجاها موضوعيا الى حد ما . والظاهر أن شو قد تأثر بهذا النقد غير العادل ولا الوجيه ، فأخذ يكتب مسرحيته : « انك لن تستطيع أن تحزر You Never Can Tell » ، وتتلخص فى أن طبيب أسنان فقيرا شابا متهورا يدعى ڤالنتين يخالط أسرة المستر جراميثون كلاندون مخالطة شديدة ثم يهوى الفتاة جلوريا كلاندون هوى شديدا مخامرا ، كما تبادله الفتاة حبه ، لكن عوائق تحول دون زواجهما ، منها فقر هذا الطبيب المفلس .. ثم يتم الفتاة التى

يتضح أنها ابنة صاحبة المنزل الذى فيه عيادة الطبيب العاشق وسكنه . وقد خرج شو فى هذه المسرحية عن اطار المسرحية ذات الحبكة الجيدة تحديا لنقاده .. فكان ما توقعوه وسقطت سقوطا شنيعا ، بالرغم من مهاجمته تلك الفوارق الاجتماعية المصطنعة . وهكذا تمت سلسلة مسرحياته اللطيفة .

وبادر شو سنة ١٨٩٦ الى القيام بسرعة من عثرته السابقة فكتب ميلودرامته الظريفة « تلميذ الشيطان » التى جعل بطلها وتشارد ددجن R. Dudgeon هـذا الرجـل الآفاقى الشرير يقوم بتضحية وطنية كبرى كانت سببا فى طرد الانجليز من مقاطعة نيو انجلاند الانجليزية .. وذلك أنه ادعى بأنه هـو القس أندرسن R. Anderson المطلـوب القبض عليـه من جنود الملك چورج الثالث ملك الانجليز ، وذلك لكى يقود القس رجال الثورة ضد المستعمرين بعد أن اشـتد عسفهم وطغا ظلمهم .. وهكذا كان جميـع المواطنين يدا واحـدة — خيارهم وشرارهم ، فى معركة التحرير حتى انتصروا .

وفى سنة ١٨٩٧ ظهرت مسرحيته أنطونى وكليوپترة التى أراد بها تحدى شيكسپير فى الموضـوع نفسه .. ولكن .. هيهات ! وان كان شو قد أعطانا شيئ من سخرياته اللطيفة برومة وبمصر المغلوبة على أمرها فى ذلك الوقت .

وفى سنة ١٨٩٨ كتب لصديقته وأجمل وأبرع ممثلات المسرح الانجليزى على الاطلاق : مس الن ترى Ellen Terry والدة جوردون كريج ، أعظم المخرجين المسرحيين المحدثين والذى ترجمنا كتابه « فى الفن المسرحى » .. كتب لها مسرحية « هداية الكابتن براسبوند Captain Brasspound's » فكانت هذه هى المرة الأولى التى « يفصّل » فيها شو احدى مسرحياته — لأغراض شخصية ! — على احدى الممثلات . ولكى نعرف قيمة الن ترى نقول ان معرفتها — بله صداقتها — كانت شرفا لا يناله الا الملوك والقادة وعظماء العصر الذى كان ينعم بحياتها فيه فوق خشبة المسرح .. وحسبنا أن نعلم أنه ما من دولة من الدول الراقية — بما فى تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية — والتى مثلت فيها الن ترى . لم تمنح الممثلة الجميلة المقتدرة أسمى أوسمتها وأرفع نياشينها ، وأن معظم جامعات انجلترا والولايات المتحدة ، وبعض الجامعات الأوربية الأخرى قد منحتها درجة الدكتوراه الفخرية اعترافا بفضلها على فن التمثيل .. الشرف الذى لم تنله غير سارة برنارد . كانت العلاقات بين شو وبين الن ترى هذه قد تطورت من الصداقة والاعجاب — كل بصاحبه — الى ما هو فوق الصداقة والاعجاب .. ولا يبعد أبدا أنها كانت ملهمة شو .

وتتلخص هـذه المسرحيـة « المفصلة » فى أن الكابتن براسبوند هذا الآفاقى المتشرد كان يتولى قيادة الجماعات التى تريد السفر الى داخل مراكش من مينائها موغادور وذلك باتفاق بينه وبين أحد مشايخ العرب . وكان رجال براسبوند يتألفون من الآفاقيين وقطاع الطرق والقتلة من أمثاله ، ويصل الى مراكش القاضى الانجليزى السير هوارد هالامS.H.Hallam وفى صحبته أختـه غـير الشقيقة ليدى سيسيلى وينفليت L. Cicely Waynflete ، التى بلغت من الشـجاعة — ومن الجمال — ما يجعلها تصر على اختراق جبال أطلس . ويتولى براسبوند قيـادة الجمـاعة بالرغم من أن بينه وبين القاضى الانجليزى هالام ثأرا قديما .. فالقاضى هو عم براسبوند ، ثم هو الذى تسبب فى جنون والدته والزج بها فى السجن . ومن هنا يفكر براسبوند فى أسر عمه وبيعه فى أسواق الرقيق . وهنا تتدخل الفتاة سيسيلى .. وهى تتدخل بما لها من جمال آسر وفتنة ساحرة تطوى بهما قلوب المشايخ العرب وقراصنة الصحراء ، كما تفتن بهما هذا القرصان الفتاك براسبوند الذى ينسى انتقامه بعد أن وقع فى حب الفتاة .. لكن نسيانه هذا الثأر ، وعدم أخذه حذره ، يوقعه فى قبضة الشرط العرب ويقدم الى المحاكمة هو ورجاله .. ومن ثمة تتقدم سيسيلى

للدفاع عنه وللشهادة عليه كذلك .. وتنجح فى مهمتها وتبرأ ساحته .

لكنه بعد براءته يصبح بلا عمل .. فماذا تصنع سيسيلى ؟ انها تتقدم للزواج منه .. وعند وشك انفاذ الفكرة تقدم احدى سفن القرصان فتدعوه للعمل معها .. فيقبل .. وهكذا يصل ما انقطع من حياة الشقاوة !

وتقول سيسيلى وسفينة القرصان تغادر الشاطىء : « ياله من مهرب ! » .

وفى سنة ١٩٠١ كتب شو مسرحيته الطويلة المشهورة : « الانسان والانسان الأعلى Man and Superman » بناء على اقتراح صديقه ا . ب . ووكلى A.B. Walkly الناقد المسرحى لجريدة التيمس فى ذلك الوقت ، حينما اقترح عليه كتابة مسرحية عن شخصية دون چوان ؛ وقد قال عنها بعضهم انها مسرحية أشبه بنظرية النشوء والارتقاء ، واعترف شو نفسه بأنه أكثر فيها من الثرثرة والاستطراد ، بل اعترف باستحالة تمثيلها لطولها وركود الحركة فيها .. ولم تمثل هذه المسرحية كاملة الا سنة ١٩٣٩ حينما أخرجها ياسپر ديتر Jasper Deeter بمناسبة العيد السنوى لبرنرد شو .. وقد استغرق تمثيلها تسع ساعات (!) بما فيها فترات الراحة .

على أن هذه الثرثرة وذلك الاستطراد فى المسرحية هما أمتع ما فيها .. للقارىء طبعا .. فالمسرحية وليمة ذهنية شهية جمع فيها شو كل ما قاله شـــو ينهور ونيتشه عن الحب وأثره فى نشوء الانسانية العام وتنقلها فى مدارج الارتقاء .. ان شو يؤمن بقـــوة الحيـــاة Life Force ، ويؤمن بأنهـــا لا تنفك تسعى فى الارتقاء بالانسان العادى حتى يصبح انسانا أعلى .. وأن أقوى وسائلها الى ذلك هو الحب .. الحب الذى يبـــه جمال المرأة فى قلب الرجل وجمال الرجل فى قلب المرأة .. ودون چوان فى نظر شو هو هذا الحب ، وليس هذه الشهوة البهيمية التى ترتبط بهذا الرمز « دون چوان » كلما ذكر الناس اســـمه .

توفى والد آن هويتفيلد Ann Whitefield وتركها تحت رعاية وصيين أحدهما رجل رزين هادىء متزن يدعى روبك رامسدن Robuck Ramsden ، والآخر رجـــل ثورى حامى المزاج يدعى چون تانر J. Tanner .. الأول رجـــل رجعى متزمت لكنه يحسب أنه رجل تقدمى يفهم ما لا يفهمه الناس .. أما الثانى فرجل ثائر متطرف مصمم على القضاء على جميع القيم وتدمير كل التقاليد . ويتقدم شخص يدعى أوكتافيوس

لخطبة آن فيتلقاه تانر .. هذا الراديكالى المتطرف .فيعجب منه، ولما يراه من شغفه بآن والحاحه فى طلب يدها ، وما يتمناه من أن تكون آن تباداه هذا الحب وأن تكون راغبة فى مثل هذه الرغبة .. وهنا نرى تانر ينطلق فى حديث طويل ليقول للرجل ان المرأة مكتوب عليها فى الأزل أن تكون الأم الموعودة التى لا تفتأ تجرى وراء الأب الموعود .. وأننا نخطىء دائما حينما نحسب أننا نحن الرجال هم الذين يسعون دائما وراء المرأة يتقربون اليها بالحب ويتنطفون اليها بالمودة فى حين أن طبيعتها نفسها تفرض عليها القيام بهذا العمل .. فالمرأة هى الصائد دائما .. والرجال هم الصيد .. هم الفرائس .. وهَمُّ المرأة الذى تحرص على تحقيقه هو أن تتزوج بأسرع ما يمكن .. فى حين يهتم الرجل بأن يظل غير متزوج أطول ما يمكن .

ولكن .. لماذا يقول تانر هذا الكلام ، وبأى دافع ؟ الحقيقة أن آن تحبه وتحرص على الزواج منه .. ومن ثمة فهى لا تهتم بخطبة أوكتافيوس .. وهى فى حرصها على الزواج من تانر تحاول جهدها أن تقف بينه وبين أختها الصغيرة التى يهواها .. ولكن تانر يكون حتى تلك اللحظة جاهلا لما يجرى حوله .. حتى ينبهه اليه سائق عربته .. وهنا يفزع المسكين ويقذف

بنفسه الى سيارته ويطلب من السائق أن يهرب به من انجلترا الى القارة .. بل الى أى بلد اسلامى (!) تسود فيه الشريعة التى تحمى الرجال من النساء (!) انه لا يهرب من آن وحدها بل ، منها ومن أختها ومن النساء جميعا . وتنتهى به سيارته الى جبال سيرا الأسبانية حيث يقطع عليه طريقه لصوصها الجبليون الذين يحترفون تمثيل الأوبرا الغنائية الهزلية الممتلئة بالنكات الغليظة المضحكة .. ويكون هذا مدعاة لأن يتقبل تانر وضعه هذا تقبلا فلسفيا .. وفى منامه بالليل يرى حلما خياليا لطيفا ، يقوم فيه بدور الدون چوان تنوريو Tenorio بينما يقوم بباقى الأدوار الشخصيات الأخرى التى تزخر بها أسطورة دون چوان المعروفة .. ويختتم الحلم بحضور آن التى انطلقت تقص أثر تانر هى وأصدقاؤها . وينقذ الجميع الجنود الأسبان من أيدى قطاع الطرق الجبليين هؤلاء ، أما تانر فينقذ قطاع الطرق من أيدى الجنود بادعائه أنهم أصدقاؤه وحماة قافلته وخفراؤها . ويكون لأوكتاڤيوس الذى طلب يد آن أخت ينتهى أمرها الى فضيحة غرامية ، لكنها ترفض أن تبوح باسم حبيبها ، ومن ثمة يعاملها أهلها معاملة الآثمة المجرمة .. فى حين نرى تانر وحده .. تانر الذى ينظر الى أمور الحياة نظرة عكسية دائما .. نراه يتقدم الى الفتاة بالتهنئة

القلبية الحارة ، بدعوى أنه يعلم .. وجميع الدنيا تعلم .. أن حيوية المرأة وشجاعتها هما أعظم خلتين يمكن أن تحصل عليهما المرأة ، وأنه لا أهمية مطلقا لأن تكون المرأة غير متزوجة زواجا شرعيا من الرجل الذى تحب ، وأن هذا لا ينقص من قيمتها شيئا ، « كما لا ينقص من تقديرنا الحقيقى لها مثقال ذرة ! » ولكن الفتاة لا يسعها مع ذاك الا أن تهاجم تانر وتقول انها لم تكن تستطيع القيام بأى عمل يناقض التقاليد أو يخرج على النظم وأنها كانت متزوجة زواجا شرعيا من حبيبها ، ولكن لأسباب شخصية أبقت الأمر سرا مكتوما . وفى الفصل الأخير نرى زوج ڤيوليت يطالب بها ويعترف بزوجيتها ، كما نرى تانر يستسلم لقوة الحياة المتجسدة فى آن ، وأنه لم يعين وصيا عليها وراعيا لها الا بناء على طلبها أو اقتراحها هى نفسها .. وهو لهذا يقول : « اذن فالوصية وصيتك .. والشرك كان منصوبا منذ البدء ! » . وتجيبه آن : « أجل .. منذ البدء .. منذ طفولة كلينا .. ولكلينا .. وبقوة الحياة ! » :

وفى المساء .. يقول تانر وهو يعلن خطبته على آن ، موجها الكلام الى رفاقه الآخرين : « ان ما صنعناه نحن الاثنين ، أنا ، وآن ، هذا المساء ، هو نبذنا للسعادة ، وللحرية ، وللهدوء .. وانصرافنا فوق كل شىء عن الامكانيات العاطفية « الرومنسية »

التى يتمخض عنها مستقبل مجهول .. وذلك فى سبيل الاهتمامات التى لابد منها لبناء منزل وقيام عائلة » .

وهكذا تنتصر الطبيعة ، وتفرض علينا قوانينها .. ان قوة الحياة تنفذ أغراضها بوسائلها التى لا نستطيع منها فكاكا .. « وما أذهاننا الا الوسيلة التى تحاول بها الطبيعة أن تفهم نفسها .. والفلاسفة أنفسهم هم أيضا فى قبضة هذه القوة .. قوة الحياة توجههم من حيث لا يشعرون الى خلق الانسان الأعلى .. والرجل ، وهو فى يد المرأة من أحسن الوسائل الاقتصادية التى توفر بها الطبيعة الكثير من الجهد فى تحقيق أغراضها » .

* * *

ومن هذه العبارات الخاطفة التى يفسد المسرحية تلخيصها ندرك أن شو أراد أن يكتب مسرحية النشوء والارتقاء فكتب بحثا فلسفيا جنسيا عويصا استخلصه — من وجهة نظره — من أسطورة دون جوان ، وأراد أن يقذف به الى خشبة المسرح فلم تحتمله مطلقا .. ولكن .. ما أمتع أن نجعل العقل مسرحا لهذا البحث الذهنى الصرف .

وقد ذكر شو بلاد المسلمين فى هذه المسرحية فوصفها بأنها البلاد التى تحمى الرجال من النساء ، وقد نسى شو ، بالرغم

من تقديره دائما للنظم العملية الاسلامية : وأنها خير ما يصلح أن يكون نظاما عمليا عالميا اذا أراد العالم أن يختار له نظاما دينيا واحدا يأخذ به ؛ أقول نسى شو أن الاسلام هو أول دين حمى المرأة من الرجل بجعله اياها حرة تتصرف فيما تملك .. فى حين كانت المرأة فى غير الاسلام لا تملك ولا تستطيع أن تتصرف فى شىء .. ولا ترث .. ولا تقبل ضمانتها المالية أمام المحاكم .. أما اذا كان شو يقصد حرية الرجل فى طلاق المرأة .. فقد أصبح الطلاق فى العالم الغربى هو النعمة الكبرى التى يفاخر بها كل من الرجل والمرأة .. على أننا ندع هذا لنصغى فى عرض صفوة مسرحيات شو .

ففى سنة ١٩٠٤ ظهرت مسرحيته المعروفة للمصريين جميعا « جزيرة جون بول الأخرى John Bull's Other Island » .. وأقول انها معروفة لنا جميعا لأن شو هاجم فيها الاستعمار الانجليزى القذر وسخر فيها بوسائل هذا الاستعمار الخسيس بمناسبة حادثة دانشواى المصرية ، وان صب السخرية فيها على بلاده هو بالذات « ايرلندة » قبل أن تنال استقلالها .. وكان شو قد بعد به العهد بتلك البلاد التى تركها نهائيا منذ أن بلغ به العمر العشرين عاما .

يصل الشابان الصديقان دويل Doyle وبرودبنت الى

قرية روسكلن Roscullen الريفية الأيرلندية ومسقط رأس دويل .. وبرودبنت Broadbent هـذا انجليزى قـح من الأحرار الذين يتزعمهم جلادستون ويحرصون على امتصاص دماء المستعمرات ليجددوا بأموالها بلادهم الانجليزية ، ومن ثمة فهم يطلقون اسم چون بول على برودبنت هذا .. أما دويل فشاب ذكى ، ساخر ، جواب آفاق ، عرك الدهر أشطره كما يقولون .. عاد الى قريته هذه بعد أن هجرها ثمانية عشر عاما . ويدخل الشابان معترك الحياة السياسية وينجح برودبنت فى الفوز بمقعد فى مجلس القضاء الايرلندى بفضل مقدرته فى انفاذ الأمور وبعد نظره واكبابه على حل المعضلات .. وبفضل وصـوليته وانتهازه للفـرص أيضا .. ويثق فيه المزارعون الأيرلنديون البسطاء ويعتقدون أنه بالرغم من كونه « حمـار شغل » الا أنه أقل اتساما بخلق الحمير من نائبهم الأيرلندى .. ويكون لدويل حبيبة قبل أن يغادر القرية ، ويكونان متعاهدين على الزواج ، فلما يهيم على وجهه هذه السنين الثمانى عشرة لا يسع الفتاة الا أن تصبر وتتذرع بالجلد الذى يشتهر به الكلتيون Celts كل هـذه المـدة الطويلة .. حتى اذا عاد دويل أشاح بوجهه عن الفتاة وخاس بوعده فى الزواج منها .. وهنا ينتهز الفرصة الانجليزى الفح برودبنت ويتقرب الى الفتاة

ويظفر بحبها ثم يتزوجهـا .. وهكذا يقهر صديقه — أى خصمه — الأيرلندى فى الميدانين جميعا .. ميـدان السياسة والأعمال وميدان الحب أيضا !

والرمز المنطوى فى القصة لا يخفى على أحد .. اذا ألقينا بالنا الى أن دويل يرمز الى الأيرلنديين وبرودبنت يرمز الى الانجليز الوصوليين الانتهازيين ، والمسرحية تتناول فى فصولها الأربعة مائة مشكلة ايرلندية من مشكلات زمانها .. حتى مشكلة التعريفة الجمركية .. ومن ثمة لم تنجح فى أمريكا النجاح الذى ظفرت به مسرحيات شو الأخرى . ومن عجب أن الشـاعر والكاتب المسرحى ييتس W.B. Yeats - وكاتب ايرلندة المسرحى الأول كان هو الذى طلب من شو كتابة مسرحية لتمثيـلها فى الـ Abbey Theatre فى دبلن .. فكتب تلك المسرحية التى يسخر فيها بأيرلندة والأيرلنديين .. الأمر الذى شجع حركة المقاومة العنيفة ضد الاستعمار الانجليزى .

وفى سـنة ١٩٠٥ ظهـرت مسرحيته Major Barbara ، وهى احدى روائع شو التى يسخر فيها من جمعيات الاحسانات الخيرية المنظمة ويهاجم فيها نظام الصدقات ابتغاء تخفيف آلام المحتاجين لأن حاجة المحتاج لا تعالج بالصدقات ولكن بالتنظيم الاقتصادى الذى يجتث الفقر من جذوره الحقيقية .. وتلخص

المسرحية فى انضمام هـذه الفتاة باربرة أندرشافت Barbara Undershaft الى جيش الخلاص لشعورها بوجوب معالجة الشرور الناجمة عن النظام الاجتماعى الحالى فى حين يكون أبوها أندرو أندرشافت — وهو ملك من ملوك امداد الجيش بالميرة والذخيرة ومن كبار أصحاب مصانع الأسلحة ومن أكبر محبذى النظم الرأسمالية الاحتكارية وقيام مجتمع رأسمالى يزداد غنى وثروة بكل الوسائل الممكنة ، ومن أهم تلك الوسائل اذكاء العداوات الدولية والنفخ فى نار الحروب لكى تروج صناعة الأسلحة .. أى أن الوالد يقف فى الجانب المعارض أو الجانب المواجه للجانب الذى تقف فيه ابنته باربره .. انه يقف فى الجانب المادى الصرف غير حافل بالقيم الروحية ، بينما هى تقف فى الجانب الروحى الصرف الذى لا يحفل بالقيم المادية . وتتحمس الفتاة بعدانضمامها لجيش الخلاص لهذه المبادىء الروحية ولا تنفك تهاجم المبادىء الرأسمالية وتصمها بكل عيب وكل نقيصة .. لكن أباها لا يزال بها يناقشها حتى تعترف آخر الأمر بأن قيام جيش الخلاص نفسه على مجرد هذه الصدقات التى لايدفعها له الا الرأسماليون هو نظام فاسد بدليل أن هذه الصدقات اذا لم تصل الى جيش الخلاص لم يستطع أن يصنع شيئا .. ثم يقنعها أبوها

كذلك بأن الفقر فقط هو الآفة الوحيدة التى يجب محاربتها والقضاء عليها .. وأن القيم الروحية لا جدوى لها ولا نفع منها فى شعب فقير لا يجد ما يقيم أوده فى عالم يتكالب على المنافع المادية قبل كل شىء .. ان الفقر هو الآفة الوحيدة التى يجب أن نخجل منها حتى يندى جبيننا .

وتظهر مسرحيته « حيرة الطبيب The Doctor's Dilemma سنة ١٩٠٦ .. حيرة الدكتور الجراح سيركولنسو ردچيون S. Colenso Ridgeon حينما تتقدم اليه السيدة چنيفر ديوبدات J. Dubedat ترجوه أن يعالج زوجها السيد لويس ديوبدات بعملية عاجلة .. لكن الدكتور يكون موشكا أن يجرى عملية لصديقه بلنكنسوب Blenkinsop الذى كان زميل صباه ورفيق أيام الدرس .. ويحار الطبيب .. ثم يترك زوج السيدة لجراح أقل منه مهارة فيجرى له العملية ويقضى عليه لكى ينقذ هو هذا الصديق القديم .

والمسرحية زاخرة بالسخرية بالطب والأطباء وادعائهم أنهم جنود الواجب وحماة البشرية وملائكة الرحمة .. مما يذكرنا بجهود موليير فى التثريب عليهم وغمزهم .

* * *

وفى مسرحية الزواج Getting Married (١٩٠٨) يهاجم شو نظم الزواج والطلاق فى انجلترا ويسخر من العرف الذى يجرى عليه الناس فيها . فهذا هو الأسقف ألفرد بردجنورث A. Bridgenorth يعتقد بأن نظام الزواج هو شىء من صنع الشيطان بصورته القائمة ، وان الناس ان عاجلا أو آجلا سوف يضربون عنه ؛ وهو يحذر رؤساء الوزراء مغبة هذا الاضراب ، ويقول انه قد تحقق بالفعل بين الطبقات المالكة ، وأن الحكومة لا تجرؤ على التدخل .. ويوافق الوزراء على وشك وقوع الاضراب العام الا أنهم يتحاشون اجراء الاصلاحات التى تحول دون وقوعه مخافة أن يخسروا معركة الانتخابات القادمة .. أما الأسقف فيحمد الله على أنه عقد زواج أخرى بناته .. الا أن هذه العروس الصغيرة تتسلم قبل زفافها خطابا بالبريد يشرح لها الغرض من الاضراب فتقتنع بوجوبه وتضرب عن البناء بزوجها بالفعل .. ان الرسالة تقول لها ان الزوجة لا تستطيع تطليق زوجها فى حالة ارتكاب جريمة قتل .. ويحاول العريس أن يقنعها بأنه لن يرتكب هذه الجريمة مطلقا ، لكنها ترفض التوقيع مع ذلك على قسيمة الزواج ما دامت تشتمل على مثل تلك الشروط المجحفة بحقوق المرأة ، وتصر على تغيير تلك الشروط .. ويقتنع مندوب القسيس فيبدل من

تلك الشروط ويغير ، لكن العقد الجـديد لا يكاد مع ذلك يختلف من العقد القديم فى شىء .. وهكذا يتضح أن الزواج ليس الا مهربا وحيلة من الحيل .. وأن الانسان لا يستطيع تحقيق الكمال فى أى شىء . ومن ثمة وجب عليه الاستعانة بالحيل والحلول المؤقتة ولو الى حين ، حتى لا ينقرض النسل ، ما دامت هذه الشرائع قائمة (!) .

* * *

وفى سنة ١٩٠٩ ظهرت مسرحيته .. أو لعنته الكبرى.. اظهار حقيقة بلانكو بوسنت The Shewing-up of Blanco Bosner ، وهى المسرحية التى صرح فيها شوعن معتقداته الدينية ورأيه فى الله — سبحانه — وايمانه بالغريزة كعامل هو المتصرف الحر التصرف فى أعمال الانسان .. وأن الطبيعة اله غشيم لا يزال يطور نفسه .. وقد خلقت الانسان ليقوم عنها بما تعجز هى عن القيام به نيابة عنها ! وبطل المسرحية بلانكو شخص وضيع وغد ولص يسرق حصانا ثم يجد أما تحمل طفلا مريضا فيدفع اليها بالحصان لكى تستطيع أن تبيعه وتعالج طفلها .. ثم يثور بلانكو حينما يفطن الى أنه بعمله هذا قد خضع لما يسمونه فعل الخير .. وفعل الخير لم يدر له ببال قط .. لأنه حينما دفع بالحصان الى أم الطفل انما دفعه بفعل الغريزة

المحض ، وليس بفعل الفضيلة الانسانية .. « انه خدمنى لأنه ادخر لى عملا .. وهو يتركنى أسير فى الحياة سيرة سائبة لا ضابط لها حتى يتم هذا العمل .. وأنا أعمله سواء كان فى عملى اياه شقى أو عدم شقى ! » .. وهذا يذكرنا بأوغاد شو جميعا .. مثل تلميذ الشيطان رتشرد ددجن .. الذى ذكرنا من قبل أنه اقتدى القس أندرسن الذى كان عاملا هاما من عوامل نجاح ثورة الأمريكيين فى نيوانجلند .. لقد فعل تلميذ الشيطان ما فعل بدافع غريزى محض .. ولم يفعله بدافع دينى أو لأن ما فعله هو الواجب الذى كان يجب أن يقوم به .

ولنترك شو فى هذه الناحية التى له أن يقول فيها ما يشاء لنتابعه فى مسرحيات أخرى . ولنقول انه كتب سنة ١٩١٠ عدة قطع كان أهمها مسرحية Misalliance أو العلاقات الزوجية السيئة وغير المتوافقة وقد تناول فيها الروابط الأسرية بين الآباء والأولاد ؛ كما كتب سنة ١٩١١ عدة قطع أخرى كان من أهمها مسرحيته : « أول تمثيلية لفنى Fanny's First Play » صرح فيها فى مقدمتها وختامها عن رأيه فى نقاد عصره المسرحيين.

أما سنة ١٩١٢ فكانت من أخصب السنين فى حياة شو المسرحية ؛ فلقد كتب فيها ثلاث مسرحيات كان من بينها مسرحيتاه الخالدتان : أندروكليس والأسد Androcles &

the Lion ثم طرفته اللطيفة بجماليون Pygmalion .. ولعل أحدا فى الشرق العربى لا يجهل موضوع المسرحية الأولى التى تصور آلام المسيحيين فى فجر التاريخ المسيحى .. أيام أن كان حكام الرومان يتلهون بقذف الشهداء المسيحيين المستمسكين بدينهم الجديد لتفتك بهم الوحوش الجائعة فى مضامير السباع بمدينة رومة .. وذهول الرومان حينما تقدم الأسد الجائع من الشهيد أندروكليس فاذا هو يلعق ملابسه ويتمسح به ولا يؤذيه .. واذا هذا الأسد هو الذى أنقذه أندروكليس حينما انتزع من قدمه شوكة كادت تقضى عليه .. فحفظ الحيوان الجميل ولم ينسه . وهكذا أفاق الامبراطور الرومانى وعفا عن جميع الشهداء .

أما بجماليون فقد بناها شو على الأسطورة اليونانية المشهورة التى صنع فيها المثال بجماليون — كاره النساء — تمثالا لربة الجمال والحب ڤينوس .. فلم يلبث أن هام بتمثاله حبا وجعل يضرع للربة أن تهب التمثال الحياة .. ففعلت .. وتزوج المثال التمثال ! .. فيا هو هذا المستر هجنز Higgins يراهن على أنه يستطيع تحويل الفتاة الوضيعة بائعة الأزهار اليزا Eliza الى سيدة من أرقى سيدات المجتمع الانجليزى ثقافة وسلوكا ومظهرا .. وقد أفلح هجنز فى ذلك وأصبحت

البزا سيدة صالون من أرقى طراز .. لكن الفتـاة تعشق أستاذها .. الا أن الأستاذ يستعلى على هذا الحب .: فاذا أدركت الفتاة ذلك وعشقها حبيب آخر وعزمت على الاستجابة لهذا الحب أفاق هجنز وبادر الى الزواج منها .. فلقد أدرك أنه يحبها حبا يخامر قلبه ويجرى فى دمه ؛ وتزوجها بالرغم من معارضة والدته فى ذلك .

أما مسرحيته الثالثة Overruled فهى مهزلة يسخر فيها من الخيانات الزوجية ومن المفتونين والمفتونات بالمظاهر الفارغة .

وفى سنة ١٩١٣ كتب مسرحيته الساخرة The Great Catherine التى اتخذ فيها من كاترين العظمى قيصرة روسيا لعبة أضحك الناس عليها .. كما كتب مجموعة من المسرحيات القصيرة ترجم عدد منها وصدر سنة ١٩٦٠ عن وزارة التربية .

ثم كان الجو العالمى يعصف وينذر بنشوب الحرب العالمية الأولى .. وكانت الظروف فى العالم كله ظروفا مخيبة للآمال .. والرأسمالية الأوربية .. بل الرأسمالية الانجليزية تتوسـل بأقذر الوسائل لابتزاز أموال الشعوب غير الانجليزية فى الخارج .. والرأسماليون الانجليز فى الداخل يحتالون بأقذر الوسائل لاصطياد أموال السذج وصغار المساهمين ليعيشوا بعد ذلك عيشة الطيش والسفه والاستهتار .. العيشة السائبة

المنحلة التى جعلت أوربا كلها .. وانجلترا بخاصة .. أشبه بالبيت الخرب الذى يكاد ينقض .. أو السفينة المشفية على الغرق ..

ففى هذه الظروف كان شو يكتب مسرحيته التى تقدم لترجمتها .. والتى سماها Heartbreak House ؛ والتى ترجمها الأستاذ المترجم .. منزل القلوب المحطمة .. والتى كنت أسميها أنا منذ أكثر من ربع قرن : منزل الحسرات .. لأنه منزل حسرات بالفعل .. وليس فيه الا قلب كبير واحد .. أو قلبان كبيران على الأكثر .

وقد أتم شو كتابتها سنة ١٩١٤ .. لكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تمثيلها فى انجلترا لسببين .. أولهما أن غارات الطائرات الألمانية على المدن الانجليزية ليلا .. ولا سيما على مدينة لندن لم تكن تسمح بفتح أبواب المسارح . أما السبب الثانى فهو هذه الحملة الشنيعة القاسية التى شنها شو فى المسرحية على الشعب الانجليزى بعامة ، وعلى قذارات الطبقة الوسطى البورجوازية بخاصة .. وما وسم به تلك الطبقة من النصب والتزوير واقتراف المآثم والالتجاء الى أسفل الطرق لمص دماء العاملين ومجهوداتهم ، ثم حياة أفراد تلك الطبقة .. تلك الحياة السائبة الممتلئة بالخيانات

الزوجية جهرة ومن وراء حجاب ، وعلى علم أحيانا من الأزواج والزوجات بما يرتكبه بعضهم ضد بعض . وهذا هو موضوع مسرحية بيت الحسرات .

ففى منزل الكابتن العجوز شوتوفر Shot over البالغ من العمر الثمانية والثمانين عاما .. ومن ربابنة السفن الكبيرة سابقا ، والسكير الذى لا يشبع من الشرب .. والذى يقضى شيخوخته الخرفة فى اختراع أسلحة الحرب والدمار ، واستنباط أنواع فتاكة من المتفجرات .. والذى يجرى وراء مثل خيالى أعلى يسميه قوة التركيز السابعة .. دليلا على عقليته المختلة .. فى المنزل الريفى لهذا الرجل تجتمع شرذمة من الأضياف تعمدت ابنة الرجل الكبرى أن تدعوهم الى منزل أبيها — أى منزلها .. وفى وقت واحد .. لما تنتويه من اثارة موضوع المسرحية .. وهو ما ينتويه أحد هؤلاء الأضياف .. والمدعو المستر ماتزينى دن من تزويج ابنته الرائعة الجمال .. والفتاة المفتان : ايللى دن .. من ذلك الرجل العجوز الطاعن فى السن المستر مانجان الذى يمثل فى المسرحية قذارة الوسائل الرأسمالية فى ابتزاز أموال السذج واستغلال مجهودات العاملين .. وماتزينى يريد تزويج ابنته ايللى من ذلك الرجل ليكون زواجها منه ضمانا لها — ولها أيضا — من الفقر

وطريقا الى الحياة الناعمة الراضية .. مهما كانت هى صغيرة ومهما يكن هو — أى مانجان — من الشيخوخة والضعف ، ومهما انبنى على ذلك الزواج من تعاسة الفتاة واشاعة الأحزان فى حياتها كلها .

ان مسز هشاباى Mrs. Hushabye .. ابنة صاحب المنزل الكبرى ، وزوجة هذا الرجل الفندور الجميل الطلعة ، المستر هكتور هشاباى ، الذى لا يكاد يلقى امرأة الا سحرها بجمال طلعته ، وحسن شاربه المفتول .. والذى لا عمل له الا هذا .. والا أنه زوج المسز هشاباى هذه .. أو من يسمونها تدليلا : هزيون .. ذات الجمال الصارخ هى أيضا .. والتى يتعشقها كل من يراها ..

ان مسز هشاباى هذه تراع لما يعتزمه المستر ماتزينى من تزويج ابنته ايللى من ذلك الرجل الطاعن فى السن .. مانجان .. لا لشىء الا ليكون هذا الزواج ضمانا له ولابنته من الفقر .. بعد الذى عاناه هو — أى ماتزينى من الخسارة فى جميع مشروعاته الاقتصادية .. ولخوفه من أن يترك ابنته الجميلة ايللى هدفا لمتاعب الحاجة ومطالب الحياة من بعده اذا هو غادر هذه الحياة .. وهو لذلك يلجأ الى هذا الحل .. ولا يكاد مانجان يطلب اليه يد ايللى حتى يجيب طلبه .. وهو لا يكاد

يتحدث الى ابنته فى أمر زواجها من مانجان حتى تلبى الفتاة وترحب .. ولا ترى فى هذا الزواج بالرغم من الفارق الكبير فى العمر ما يمنع من اتمامه .. انها مؤمنة بفكرة أبيها .. مؤمنة بأنه زواج مصلحة .. أو Marriage of Convenience كما يقول الانجليز : —

غير أننا نفاجأ فى سياق الحوادث بحضور الابنة الصغرى لصاحب المنزل المستر شوتوفر .. هذه الابنة التى ضاقت بالحياة فى منزل والدها ففرت مع حبيب — لورد — منذ ثلاث وعشرين سنة . وكسبت من الزواج منه لقب ليدى .. فهى الآن ليدى أترووود .. والتى ينادونها أحيانا باسمها الأصلى : آريادن .. هذا الاسم اليونانى الأسطورى .. والتى يدللونها فينادونها باسم التصغير : آدى ..

ان آريادن هذه .. أو آدى .. أو ليدى أترووود .. تقدم فجأة لزيارة أبيها وأختها بعد أن غابت عنهما ثلاثة وعشرين عاما .. فلا يكادان يعرفانها .. لا الأب .. ولا الأخت .. ولا المربية چينيس التى سهرت على تربيتها زمنا طويلا .. وهم جميعا لا يكادون يحتفون بها ولا يشعرون بقدمها .. والفتاة تدهش لذلك ، وتكاد تغادر المنزل لتعود الى الفندق الذى نزلت به هى وزوجها الذى لا نراه .. ولا نكاد نشعر به

فى تلك المسرحية .. ولكن آدى هذه لا تكاد ترى هكتور زوج أختها الغندور .. فاتن النساء .. حتى تهيم به ، ولا تقول : تميل اليه .. ولهذا فهى تبقى .. ولا تبارح المنزل .. والعجيب أن أختها مسز هشاباى .. تلاحظ ذلك فتصارح أختها به ، وتهنئها على ذلك الحب .. الا أنها تحذرها من زوجها .. هذا الزئبق الذى لا أمان له .

ولا تكون هذه أول صبوة تحدث فى هذا المنزل .. ان مس ايللى دن .. الحسناء التى أراد أبوها مستر ماتزينى أن يزوجها من مستر مانجان ليكون زواجها ضمانا لهما من الفاقة.. ان مس ايللى هذه لا تكاد هى الأخرى ترى مستر هكتور زوج هزيون — أو مسز هشاباى — حتى يفتنها ، وحتى تجن به غراما .. وهى لا ترى فى هذا الغرام بأسا .. انها تجعل من هكتور — الذى يدعى لها أن اسمه ماركوس — حاجة القلب ومنية النفس .. لكنها سوف تتزوج مانجان لتجعل منه حاجة الحياة وضمان الأمان ضد تكاليف الحياة .. ومن ثمة نعلم أن ايللى فتاة مغامرة لا تريد أن تتعرض لما تعرض له أبوها ماتزينى من صدمات مالية وافلاس .. وفقر .. وهى تعشق هكتور .. أو ماركوس .. هذا ، وهى لا تعلم أنه متزوج .. وزوج صاحبة الدار بالفعل .. فاذا استدرجتها مسز هشاباى وهى تحاورها

فى موضوع الصفقة .. وبالأحرى .. فى موضوع ما هى مقدمة عليه من أمر تلك النكبة التى توشك أن تحل بها بزواجها من مستر مانجان — ذلك العجوز الغنى — وعرفت منها أنها تحب .. أنها ممن ذاق نعمة الحب وعرف خفق القلوب .. ثم سألتها عن ذلك الحبيب ، ولماذا لا تتزوجه لتتفادى الزواج من مانجان العجوز .. اذا بماركوس يدخل فجأة وعلى غير انتظار .. واذا بها تقدم لمسز هشاباى فتاها الحبيب .. واذا بمسز هشاباى تضحك من صميم بطنها .. ولا نقول قلبها ، لأنها لم تكن تملك قلبا .. وتقول لايللى المسكينة انه : هكتور .. زوجى !! ..

وتخجل ايللى .. أو لا تخجل .. لأنها فتاه مغامرة .. لكنها تنسى الحب وتضعه فى جيبها .. وتصر أمام مسز هشاباى على الزواج من مانجان بالرغم مما تبديه لها صديقتها من تحذيرات ونذر ونصائح .

وتحار مسز هشاباى من اصرار ايللى على اتمام الصفقة ، فتحاول افسادها من جهة والد ايللى .. ومن جهة مانجان — العريس — أيضا .. الا أن حديثها مع ماتزينى والد ايللى لا يسفر عن شىء .. وان أسفر عن شىء فهو شىء غريب حقا .. شىء يدل على جنون أهل هذه الدار جميعا ، وجنون

أضيافهم أيضا .. ان الرجل — أعنى والد ايللى العجوز — يجد فى ابتسامات هزيون .. أى مسز هشاباى .. وفى طراوة صوتها الخاضع بالألحان ما يسبيه ويخلب لبه .. ثم يغزو قلبه ! .. انه يعشق السيدة المتزوجة .. والتى يعرف أن زوجها أجمل فتيان الجزائر البريطانية كلها ! .. ثم هو بالرغم من هذا العشق الذى لا يخفيه عنها لا يخضع لنصيحتها بعدم تزويجه ايللى لمانجان .. ولنفس السبب الذى جاهرت به ايللى !

ولا تبالى هزيون بهذا الاخفاق فى اقناعه بخطله ؛ كما لا تبالى بهذا العشق العجوز المتصابى .. وان لم تتلكأ فى تشجيعه .. حتى لا تكون عاقلة بين مجانين ؛ وذات قلب خال من الحسرات فى دار قلوب أهلها جميعا مستلىء بالحسرات .. وهى تنتهز فرصة اجتماع معظم من بالدار .. ومنهم أبوها ومانجان وماتزينى وايللى لتفتح موضوع هذا الزواج الغريب الذى لا يصح أن يتم .. انها تصارح مانجان رجل المال والأعمال والصفقات بأن زواجه هذا من ايللى سينتهى اذا وقع الى نكبة وهو لهذا يجب ألا يتم .. وهى تفيض فى شرح الأسباب ووجهات النظر .. ثم هى تقول للرجل ان الذى يطمع ايللى ويطمع أباها فى ابرام عقدة هذا الزواج هو مال مانجان ..

ذلك المال الذى سيكون لهما ضمانا من الحاجة والعوز ويدفع عنهما الفاقة والفقر .

وهنا يحدث ما يذهل الجميع .. ويذهل ايللى قبل كل شخص آخر ! ان الرجل يصارح مسز هشاباى بأنه فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئا .. فلا مال ولا نشب ولا أسهم ولا عمارات ولا شيء مطلقا .. انما هو جاهه وعمله فى الشركات والمشروعات وما يدره عليه هذا كله من مكاسب ينفقها أولا بأول .. فاذا مات .. لم يترك وراءه شيئا .. ثم هو يعلم أنه هامة اليوم أو غد .. وأن حبل حياته قصير لابد أن ينصرم بأسرع ما يظن من حوله ..

والرجل لا يكتفى بهذا .. بل هو ينتهز فرصة خروج ماتزينى .. والد ايللى .. ليقول رأيه فيه .. انه رجل نشيط يجيد التفكير فى مشروعات مربحة .. لكنه أبله كمعظم أصحاب المشروعات الرابحة الذين من جنسه .. والذين يندفعون متحمسين فى مشروعاتهم — دون أن يعملوا حسابا للنفقات الضخمة التى لابد منها لتنفيذ هذه المشروعات ؛ فضلا عن الأموال الطائلة التى لابد منها لتظل هذه المشروعات قائمة حتى تدر بعض الربح .. وهو لهذا ينتهز أمثال تلك الفرص لأتى بشركاء جدد ينفقون على هذه المشروعات أو ليشتروها اذا

أفلس أصحابها الأصليون .. فاذا وقع هؤلاء فى الغلطة نفسها جاء بشركاء آخرين ينفقون من جديد أو ليشتروا المشروع كله اذا أفلس من قبلهم .. وهكذا .. يظل يعقد الأمور دون أن ينفق مليما واحدا .. وحتى يصبح هو المشير الأول والأخير لجميع هذه المشروعات .. وبهذا تظل مفاتيح الخزائن بيده .. وهذا هو الذى يفعله لصوص الاقتصاد الجديد من رجال رؤوس الأموال فى انجلترا .. انهم دجاجلة ولصوص محتالون يمتصون دماء صغار المساهمين والبله ممن لا يعرفون فى دنيا الاقتصاد شيئا ..

وتدور الأرض قليلا برأس ايللى وهى ترى أحلامها فى الغنى والوفر والضمان من الفقر تتبدد وتتلاشى .. وهكذا تنجح هزيون .. تلك الشيطانة .. فى افساد هذا الزواج .. حتى اذا انصرفت هزيون .. وانصرف الموجودون ، الا ايللى والا هذا الشيخ الهرم .. صاحب الدار شوتوفر .. رأينا ايللى لا تبالى أن تحاول استبدال شوتوفر بمانجان .. وليكن له من العمر ثمانى وثمانون سنة أو أقل أو أكثر .. فهذا لا يهم .. لأن غرضها هو مال شوتوفر وليس شيئا آخر .

لكنها تعلم أن شوتوفر هذا رجل باع نفسه فى جزيرة زنجبار للشيطان .. حيث تزوج هناك امرأة زنجية لا يدرى

ان كانت قد ماتت أو ان كانت لا تزال حية ترزق .. وأنه أنجب منها هاتين الابنتين الساحرتين .. هزيون وليدى آترووود .. وأن الشيطان لا يزال يلاحقه من تلك الجزيرة الاستوائية النائية الى الجزائر البريطانية .. ولهذا كتب لعنته على ذلك البيت وعلى أهله وعلى كل من يدخله .. حتى أصبح يشبه البيمارستان أو دار المجاذيب ..

ثم يدخل كل من خرج .. فاذا ايللى ناعمة راضية .. تتناول يد شوتوفر وتعلن أنها زوجته ! .. زوجته فى السماء .. وليس فى هذه الأرض .. !

ولكن حادث سطو يقع فجأة .. ويقبض على اللص .. ويؤتى به الى المجتمعين .. وتتبين شخصية اللص فاذا هو بيلى دن وسمى ماتزينى دن والد ايللى الذى نعته شوتوفر باللصوصية أول ما رآه فى هذه المسرحية .. ويتبين أيضا أن اللص يتذرع باللصوصية لكى يعطف عليه أهل الدار فيمنحونه شيئا ويطلقون سراحه .. ولكن الذى يذهل الجميع أن هذا اللص بيلى دن كان زوج المربية چينيس منذ زمن بعيد ، وأنها لا تزال تلعنه حتى اليوم .

والى هنا .. تكون المسرحية قد استطالت وذهبت كل مذهب .. والظاهر أن شو كان قد تركها زمنا طويلا .. ثم عاد

ليتمها بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها .. فماذا يصنع ؟ ..

انه يرسل على الناحية غارة جوية من غارات الألمان .. فيلوذ المجتمعون كل منهم بناحية يظنها تنجيه من قنابل العدو .. ويفر اللص بيلى ويفر معه مانجان .. وهما من رجال الأعمال دائما .. الى مخبأ فى كهف بأسفل الدار ..

ثم اذا انتهت الغارة .. ورأينا الجميع سالمين لم يصبهم أذى :: الا .. بيلى ومانجان .. فان قنبلة تصيبهما اصابة مباشرة وتريح ظهر الأرض منهما !

* * *

وبعد .. فهذه خلاصة سريعة لتلك المسرحية الرمزية البديعة التى يشوهها التلخيص كما يشوه غيرها من المسرحيات .. انها المسرحية التى يقول الفنان الأمريكى اورنس لانجنر L. Langner مؤسس مسرح الجيلد بنيويورك ومؤلف كتاب : الستار السحرى The Magic Curtain انه لولا شراء هذه المسرحية من شو واخراجها بمسرحه لأفلس المسرح وأغلق أبوابه الى الأبد .. وقد أخرجت سنة ١٩١٩ فتهافت الأمريكيون على مشاهدتها كما لم يتهافتوا على مسرحية من قبل .. ولكن النقاد اختلفوا فيها مع ذلك .. فبعضهم رفعها الى مستوى

كانديدا وبجماليون .. والى مستوى القديسة جوان (جان دارك) التى كتبها شو فيما بعد .. وبعضهم عدها آية شو الكبرى .. لكن بعضهم لم يفهمها .. وقد سأل الذين لم يفهموها شو عن مغزاها والام ترمى .. فأجابهم ساخرا كعادته .. « انني أنا المؤلف فقط .. وعليكم أنتم أن تقولوا لى ما مغزاها ! » والحقيقة أن جمال المسرحية .. بل جمال مسرحيات شو دائما فهو احتشاد الأفكار فيها وأخذ بعضها بخناق بعض .. ثم هذه السخرية التى تأتى مفردة وتأتى مجتمعه .. يصبها شو على المجتمع والساسة والسخفاء جميعا .. وهذا القطيع الانسانى الذى ينهش بعضه لحم بعض .

لقد شق الكاتبان المسرحيان الانجليزيان پنيرو وچونس أبواب المذهب الواقعى بمشكلاته الاجتماعية التى لا تنتهى لشو .. ثم فتحه وليم آرشر على مصراعيه حينما ترجم الى الانجليزية مسرحيات ابسن .. أستاذ شو الأكبر .: ثم كانت سخريات أوسكار ويلد التى أخذ منها بنصيب .. ولكن الذى يجب علينا أن نتذكره ولا ننساه أبدا هو أن شو كان — كما قدمنا — ناقدا قبل كل شيء ، وأنه لم يكتب للمسرح الا لينتقد المجتمع الذى يعيش فيه .. وينتقده على أسس اشتراكية صارخة .. انه فيلسوف اشتراكى متطرف ينتقد نظم الحياة

الرأسمالية واساليبها القذرة التى زادها الانقلاب الصناعى والتوسع التجارى والاحتكار الانجليزى لأسواق العالم قذارة وتطرفا .. وشو يربط بين النتائج الاقتصادية والنتائج الأخلاقية فى فلسفته التى يشرحها شرحا وافيا فى كتابه الفذ : « مرشد المرأة الذكية .. » .

ويذهب بعض نقاد شو الى أن اليوم الذى سوف ينساه الناس فيه هو يوم قريب لا ريب فيه .. وهم يحتجون لهذا بأنه كان يتنبأ بأشياء ويدعو الى اصلاحات كاد معظمها أن يتم .. ومن ثمة تصبح الاصلاحات التى كان يدعو اليها غير ذات موضوع .. ومن ثمة أيضا سوف ينسى الناس شو .. وفى رأينا أن هذه مبالغة اذا صحت على عدد من مسرحيات الرجل فانها لن تصح على معظم مسرحياته .. ولا سيما مسرحياته الانسانية ذات الصبغة العالمية والتى لن يشبع العالم من تمثيلها وقراءتها أبدا .. وهذا هو ما كان حال مسرحيات شيكسبير التى أهمل الآن عدد كبير منها وكانت ترجمتنا له — واأسفاه — تضييعاً للجهد .. ولا أذكر المال ..

والذين يقولون هذا القول يفوتهم أن شو وان كان ينقد مشكلات زمن بعينه ويسخر من أهل الجيل الذى عاش فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والستين الأربعين من القرن

العشرين ، كان يسخر بطريقته الفذة التى تثير الضحك ، وسوف تظل تثيره طالما أن هناك انسانية فوق هذا الكوكب الذى نعيش فيه .. ذلك أن واقعية شو ليست واقع الحياة نفسها .. وهذه نقطة فى منتهى الأهمية ، ويجب على من يدرس شو أن يلقى باله اليها دائما .. ان واقعية شو هى واقعية أفكار تولدت فى ذهنه من انطباعات فعلت فعلها فيه ، ثم جعل يتمثلها ويجترها حتى أخرجها هذا الاخراج الساخر المضحك الذى يجعلها غريبة على واقع الحياة وبعيدة عن هذا الواقع الذى يعرفه الناس جميعا .. وسيظل هذا هو حال أفكار شو وحال مسرحياته طالما كانت هناك انسانية كما قدمنا .. ومن هنا أيضا ما فطن اليه بعض نقاد شو من أن شخصيات مسرحياته ليست شخصيات واقعية كسائر الشخصيات التى نعرفها فى مسرحيات غيره من الكتاب المسرحيين .. ان شخصيات شو لا تزيد على كونها « دمى » من صنع يديه هو .. ومن صنع ذهنه الواسع الشاسع الجبار .. يخلقها .. ثم يقذف بها فى المسرحية أو على خشبة مسرحه الذهنى ليؤدى كل منها الدور الذى تمثله ذهن شو ورسم له خطوطه بطريقته الغريبة التى لم يحد عنها قط منذ أن كتب للمسرح .. وفى هذا بالضبط يختلف شو عن شيكسبير الذى كان يرسم لنا فى شخصياته

واقع الحياة البشرية كما نعهد نحن هذا الواقع .. ولا سيما فى عواطفنا وأمزجتنا المختلفة المتعددة .. عواطفنا وأمزجتنا التى تتلاعب بنا وتحركنا لما نريد ومالا نريد ، كما كانت المقادير فى المسرحيات اليونانية الكلاسية تحرك الناس لما يريدون أو ما لا يريدون .. من هنا كان شيكسبير يمثل البشرية فى صورها الحقيقية .. ومن هنا كان شو لا يمثل الا نفسه ، وكانت جميع شخصياته لا تمثل الا نفسها ، لأنها شخصيات من خلق شو ومتولدة عن أفكاره ، ومن زاوية نظرته الى الناس والأشياء .. ولهذا فنحن نخرج من مسرحيات شو بأفكار تضطرب بها نفوسنا وأذهاننا .. أفكار تولدها المشكلات التى يعرضها علينا شو من وجهة نظره هو .. أفكار قلما تعطينا الصورة الحقيقية — أو الصورة الواقعية — لأية شخصية انسانية نعرفها .. واذا أردت المثال على ذلك من مسرحيات مشهورة تكون قد رأيتها . فاذكر الصورة التى رسمها لك شو عن نابليون فى « رجل الأقدار » .. ثم سل نفسك هل صحيح كان نابليون هو ذلك الرجل المضحك التافه الذى عبدته فرنسا ولا تزال تعبده ، ولا يزال القادة والناس جميعا يجلونه ويرفعون مكانته ؟ .. وقس على نابليون رتشرد ددجن فى « تلميذ الشيطان » وكانديدا فى « كانديدا » .. بل قس

على ذلك جميع الشخصيات فى جميع المسرحيات التى لخصناها لك من مسرحيات شو حتى تلك المسرحية التى تقدم لها .. انك ان فعلت هذا لتبين لك أن جميع شخصيات شو « دمى » حقا .. لكنها دمى تفلسف بلسان شو .. وهى تفلسف مهما كان الاطار الذى حبسها فيه .: فالخادم يفلسف ، والخادمة تفلسف ، والملك يفلسف ووزيره يفلسف .. وجميع مخلوقاته يفلسفون ..

وهم يفلسفون فلسفة عميقة أحيانا وفلسفة خرقاء حمقاء أحيانا .. ومن هنا مصدر الضحك عند شو الذى يتكلم بلسانه هو على ألسنة هذه الشخصيات جميعا .. هذه الشخصيات التى يتخذها بوصفه ناقدا اجتماعيا اشتراكيا وفيلسوفا يريد أن يغير وجه التاريخ البشرى فى جميع ملامحه .. يتخذها وسيلة لبث آرائه ووجهات نظره فى جميع شئون البشر .. ولهذا كان الصراع عند شو صراعا مضحكا بين أفكار وآراء متنافرة ، وليس صراعا بين شخصيات لكل منها هدفها الذى يريد أن تبلغه ، ولا تبالى أن تحطم فى سبيل الوصول اليه كل من يقف بسبيلها .. والصراع بين الأفكار عند شو هو الذى جعل معظم مسرحياته ملاهى دعابات ذهنية أو Comedy of fun .. قلما تبكينا .. وهى اذا أسالت الدموع فى مآقينا أسالت دموع الغبطة ولم تسل

دموع الغم ، كما تفعل بنا مآسى شيكسبير ومارلو وراسين .. وهذا فرق ما بين شو وبين شيكسبير وغيره من سائر الكتاب .. ومن ثمة كان ما يذهب اليه شو من تفضيل نفسه على شيكسبير نزوة لا تقوم على أساس .. لأنه شيء .. وشيكسبير شيء آخر .. واذا كان شو قد نعت شيكسبير بأنه « نشال » ينشل قصص الغير ثم يعمل فيها عبقريته .. فهذا نعت ينطبق على شو الى حد بعيد أيضا .. فشو لم يبتدع الاشتراكية ، بل أخذها عن غيره — ولا نقول نشلها - والاشتراكية هى التى كيفت ذهن شو .. ثم هو قد كتب طائفة من المسرحيات التى سبق غيره الى موضوعاتها .. ولا سيما المسرحيات التاريخية .. وهو قد قلد ابسن تقليدا واسعا ، بل قبس عنه كثيرا من موضوعاته — مثل كانديدا — وكثيرا من شخصياته .. مثل شوتوفر فى هذه المسرحية وهى التى قلد فيها شخصية اكدال فى مسرحية « البطة البرية » ، وان كان بارعا فى مواراة التقليد .

ومقدمات شو لمسرحياته .. تلك المقدمات المسرفة فى الطول .. انها جميعا عرض لمشكلات ناقشها الكتاب والفلاسفة ، وناقشتها الصحافة بالفعل ، وتناولها الاخصائيون فى كتب مستقلة .. فهل يصح أن نقول ان شو قد « نشلها » كما كان

يفعل شيكسبير ؟ وعلى ذكر هذه المقدمات نقرر أن عـددا قليلا جدا من المخرجين كان يحفل بقراءتها أو القاء النظـر الخاطف عليها .. ولعلهم كانوا على حق فى ذلك .. فالاخراج المسرحى عمـل فنى يجب أن ينحصر فى المسرحية نفسها .. وفى المسرحية من وجهة نظر المخرج ، وليس من وجهة نظر المؤلف ! .. وهـذا هو ما كان يذهب اليه ادوارد جوردون كريج .. الذى كان يعد توجيهات شو المسرحية توجيهات طويلة مملة مسرفة ، بل توجيهات طفيلية يتدخل بها شو فى صميم عمل المخرج .. حتى لقد طرده مرة وهو يخرج لوالدته الن ترى احدى مسرحياته « لتدخله السمج فى صميم عمله الفنى ! » .. ثم ضاق به بعد ذلك ذرعا فلم يُخرج له قط !

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن ظهور مسرحية « منزل القلوب المحطمة » أو « منزل الحسرات » هذه كان تطورا غريبا فى فن شو .. تطورا يتسم بما كانت تتسم به مسرحيات الكاتب الروسى تشيكوف الذى كان يحشد فى مكان واحد أفراد أسرة واحدة وهم يمرون بظرف تعس من ظروف الحياة .. فلا يزال يمضى بهم حتى يعبروا ذلك الظرف .. مع فارق واحد بين الكاتبين .. هو أن شو كان يحشد أفكارا .. بينما تشيكوف

كان يحشد أشخاصا حقيقيين نذكرهم بذواتهم بينما ننسى أشخاص شو ولا نذكر الا أفكارهم !

ولكن .. يا ترى ! ماذا كان من آمر شو بعد كتابته هـذه المسرحية ؟ ..

ذلك ما لا يتسع له المجال الآن .: فالى لقاء آخر ان شاء الله .

درينى خشبة

مقدمة المؤلف

منزل القلوب المحطمة وحظيرة الجياد

أين يقع منزل القلوب المحطمة ؟

ليس منزل القلوب المحطمة اسم المسرحية التى تلى هذه المقدمة فقط ، وانما هو أوربا المتمدينة العاطلة قبل الحرب ، وعندما بدأت كتابة هذه المسرحية لم تكن قد أطلقت رصاصة واحدة ، وكان الساسة المحترفون والقلة القليلة من هواة السياسة الخارجية هم وحدهم الذين يعرفون أن المدافع معبأة . وقد قدم المؤلف المسرحى الروسى تشيكوف أربع دراسات مسرحية فاتنة عن منزل القلوب المحطمة مثلت منها فى انجلترا ثلاث هى « بستان الكرز » و « العم فانيا » و « النورس » ، وأما تولستوى فقد أطلعنا عليه فى مسرحيته « ثمار المدنية » بطريقته المتكبرة المتوحشة ، ولم يعطف عليه لأنه كان بالنسبة اليه المنزل الذى ستختنق فيه أوربا حتى الموت ، وكان يعلم أن ما أصابنا من ضعف وعقم تام فى جو الصالونات الحار سيسلم العالم كله الى تحكم الدهاء والقوة المشوبين بالجهل الخالصين

من المروءة ، مع نتائجهما المخيفة التى لحقت به الآن . ولم يكن تولستوى متشائما ، فأبى أن يترك المنزل قائما ما دام فى استطاعته أن يهدمه على رءوس سكانه المترفين ذوى الجمال والظرف ، وقد أحسن استعمال المعول فى تصميم وعالج حالة السكان كما يعالج صرعى الأفيون ، اذ يقبض على المرضى بخشونة ويعاملون بعنف الى أن يفيقوا ، أما تشيكوف ، وهو أكثر ميلا الى القدرية ، فانه لم يثق بقدرة هؤلاء الناس ذوى الفتنة على تخليص أنفسهم ، فرأى أن تعرض ممتلكاتهم للبيع وأن يشردوا بأمر المحكمة ، ولذلك لم يحجم عن استغلال فتنتهم ، بل عن تملقها [1] .

السكان

ولما كانت مسرحيات تشيكوف أقل ربحا من الأراجيح فى مدنية الملاهى ، فانها لم يزد عرضها عن حفلتين قامت بهما « جمعية المسرح » ، فالمسارح فى انجلترا لا تزيد عن كونها أعمالا تجارية عادية . وقد حملقنا وقلنا « يا للطابع الروسى ! » ، ولكنها لم تؤثر فىّ من هذه الناحية ، فكما أن مسرحيات

(١) مسرحية « بستان الكرز » لتشيكوف تنتهى ببيع ممتلكات الأسرة الأرستقراطية الريفية التى تملك البستان . (المراجع) .

ابسن ذات الطابع النرويجى العميق تلائم تماما كل ضاحية من الضواحى التى تسكنها الطبقة المتوسطة وطبقة أرباب المهن فى أوربا ، فان هذه المسرحيات ذات الطابع الروسى العميق تلائم كل البيوت الريفية فى أوربا ؛ حيث حلت مباهج الموسيقى والفن والأدب والمسرح محل القنص والرماية وصيد السمك والمغازلة والأكل والشرب . فالناس اللطاف هم هم ، والعقم التام هو هو ، الناس اللطاف يستطيعون القراءة ، وبعضهم يستطيعون الكتابة ، وهم المستودع الوحيد للثقافة ، لديهم الفرص الاجتماعية للاتصال بالسياسيين وكبار الموظفين وأصحاب الصحف عندنا ، وكل الفرص للمشاركة فى نشاطهم أو توجيهه ، ولكنهم تباعدوا عن الاتصال بهم لأنهم يكرهون السياسة ولا رغبة لهم فى تحقيق المدينة الفاضلة لسواد الناس ، فهم انما يرغبون فى أن يحققوا قصصهم وأشعارهم المفضلة فى حياتهم الواقعة ، ولا يأنفون أن يعيشوا – اذا استطاعوا — على دخل لا يقومون بأى مجهود لكسبه . أما نساؤهم فانهن يقلدن فى صباهن كواكب المسرح الاستعراضى ، ثم يستقر بهن الأمر بعد ذلك على تقليد ألوان الجمال التى كان يتخيلها فنانو الجيل السابق . لقد أخذوا القسم الوحيد من مجتمعنا الذى يسمح بفرص سانحة للثقافة العالية وجعلوا منه خواء اقتصاديا

وسياسيا ، بل عملوا كل ما يستطاع لجعله خواء أخلاقيا أيضا ، ولما كانت الطبيعة تمقت الفراغ فقد ملأته فى الحال بالجنس وكل أنواع المسرات المصفاة ، وأصبح مكانا ممتعا يتجلى جماله فى لحظات الراحة ، أما فى غير تلك اللحظات فكان جالبا للنوائب ولكنه كان بالنسبة لرؤساء الوزارات ومن على شاكلتهم كابوا [1] حقيقية .

حظيرة الجياد

ولكن أين كان أكبر أعضاء الجمعيات التشريعية ان لم يكونوا هنا ؟ فحظيرة الجياد هى البديل لمنزل القلوب المحطمة وهى تتكون من سجن للخيول وملحق للسيدات والسادة الذين يركبونها ويعطادونها ويتحدثون عنها ويشترونها ويبيعونها ويخصصون تسعة أعشار أعمارهم لها ، أما العشر الباقى فيقسمونه بين الاحسان والذهاب الى الكنيسة (بدلا من الدين) وانتخاب المحافظين (بدلا من السياسة) . ولا شك أن الدائرتين تختلطان عند الحدود ، فالمنفيون من المكتبات وقاعات الموسيقى ومعارض الصور نجدهم وقد ذبلوا بين الحظائر وتملكهم الضجر والشقاء ، كما أن الفارسات الجريئات

(١) كابوا مدينة رومانية مشهورة بالترف والثقافة (المترجم)

اللائى يغلبهن النوم عند سماع أول نغمات شومان قد ولدن فى حدائق كلنجسور [1] وفى ذلك وضع للشىء فى غير موضعه ، ولكن أحيانا كان يظهر بين مروضى الخيول ومحطمى القلوب من يستطيع الحصول على أكبر منفعة من العالمين . ولكن الأعم الأغلب أن العالمين منفصلان ، وبناء على ذلك كان على الطبقة التى ينتمى اليها رئيس الوزراء أن تختار بين البربرية وبين الثقافة والترف ، ومن الصعب أن نقول أى الجوين كان أشد افسادا لفن الحكم .

ثورة على الرف

كانت النظريات الثورية — على الورق — مألوفة فى منزل القلوب المحطمة ، فقد كان هذا المنزل يبغى التقدم والتحرر الفكرى ، وقلما كانوا يذهبون الى الكنيسة أو يسبتون الا اذا أرادوا مزيدا من المرح فى عطلة نهاية الأسبوع . فاذا ما قضيت الفترة بين الجمعة والثلاثاء فى هذا المنزل فانك واجد فى حجرة نومك على الرف الى جانب دواوين الشعر والقصص

(١) شخصية ساحر فى أوبرا فاجنر « برسيفال » كان يستولى على النساء الجميلات ويستخدمهن فى اغواء فرسان طائفة «الجريل» (المراجع) .

كتب علماء الأحياء والاقتصاد الثوريين . واذا لم يوجد ثمة قليل من المسرحيات بقلمى وقلم مستر جرانفيل باركر ، وقليل من القصص بأقلام مستر هـ . ج . ويلز ومستر ارنولد بينيت ومستر چون جالزورثى ، فان المنزل لا يعد متقدما . وانك لواجد بليك من الشعراء والى جانبه برجسون وبتلر وسكوت هالدين وأشعار ميريديث وتوماس هاردى ، وعلى العموم كل الأدوات الأدبية التى تكون العقل الكامل للاشتراكى الحديث الذى يؤمن بالتطور الخالق [1] . وانها لتجربة غريبة أن تقضى يوم الأحد فى الغوص فى هذه الكتب ثم تقرأ صباح الاثنين فى الصحف اليومية أن البلاد قد وصلت الى حافة الفوضى لأن وزيرا جديدا للداخلية أو مديرا جديدا للشرطة — دون أن يكون لديه أية فكرة عن أن جدته الكبرى لم يكن لديها ما تعتذر عنه — رفض أن « يعترف » باحدى النقابات العمالية القوية ، تماما كما يرفض الجندول الاعتراف بوجود باخرة حمولتها عشرون ألف طن .

---

(١) « التطور الخالق » نظرية الفيلسوف الفرنسى برجسون ، الذى أراد أن يرد بها على الماركسية ، فالمزج بين الاشتراكية والتطور الخالق سخرية مقصودة من ضعف ذوى الترف الثقافى عن اتخاذ موقف فكرى واضح . (المراجع)

وبالاختصار كانت القـوة والثقافة منعزلتين كلناهما عن الأخرى . ولم يكن البرابرة فى مكان القيادة فقط بل كانوا -- حقيقة لا مجازا — فى المقاعد الأولى من مجلس السوم ، دون أن يجدوا من يصحح لهم جهلهم الفاضح بالفكر الحديث والعلوم السياسية الا محدثى النعمة من التجار الذين قضوا حياتهم فى ملء جيوبهم بدلا من عقولهم ، وكلا الفريقين ولا شك مدرب على التعامل مع المال والرجال الى الحد الذى يجعلهما يحصلان على المال ويستغلان الرجال ، وعلى الرغم من أن هذه البراعة لا تستحب مثلها مثل براعة البارون اللص فى القـرون الوسطى فانها تؤهل الرجـال لادارة ممتلكاتهم و تجاراتهم وفقا للروتين القديم دون حاجة الى فهم ، تماما كما يحافظ تجار بوندستريت وخدم المنازل عـلى استمرار المجتمع العصرى دون أى دراسة لعلم الاجتماع .

بستان الكرز

ولكن أصـحاب القـلوب المحطمة ما كانوا يسـتطيعون أو يرغبون أن يفعلوا شيئا من هذا القبيل ؛ فانهم — وقد امتلأت أذهانهم بتنبؤات مستر هـ . ج . ويلز كما خلت أذهان حكامنا الفعليين من تنبؤات ارازموس وسير توماس مور —

كانوا يرفضون عبودية السياسة ، وما كانوا ليحسنوا مثل هذا العمل حتى لو غيروا أفكارهم ، وما كان ليسمح لهم بالتدخل على أى حال ، فان وجودنا فى عصر التصويت العام يجعل دخول أى انسان ذى ثقافة حديثة جادة الى البرلمان أمرا مستحيلا الا اذا اتفق أن كان لوردا بالوراثة . ولكنهم لو دخلوه لأصبحوا — وقد اعتادوا حياة الخواء — خائبين لا تأثير لهم فى الشئون العامة ، فقد كانوا حتى فى حياتهم الخاصة خائبين مضيعين لما ورثوه ، كأشخاص تشيكوف فى مسرحية بستان الكرز ، وحتى هؤلاء الذين يعيشون فى حدود دخلهم كان يسيّرهم فى الحقيقية محاموهم ووكلاء أعمالهم ، فقد كانوا عاجزين عن تدبير ممتلكاتهم أو ادارة أعمالهم دون مساعدة مستمرة من هؤلاء الذين تعلموا كيف يقومون بمثل هذه الأعمال كمورد رزق لهم .

ولن يرجى أى اصلاح للحالة التى نحن عليها عن طريق ما يسمونه الديموقراطية ، فمن الأقوال المأثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التى يستحقها ، ولكن الأقرب الى الصحة أن كل حكومة تحصل على الناخبين الذين تستحقهم ، فان خطباء البرلمان يستطيعون حسب مشيئتهم أن يثقفوا الناخب الجاهل أو يفسدوه ، وهكذا تسير ديموقراطيتنا فى دائرة مفرغة من الاستحقاق وعدم الاستحقاق المتبادلين .

ديون الطبيعة الطويلة الأمـــد

من سوء الحظ أن طريقة الطبيعة فى معاملة الحـالات الفاسدة ليست مما يدفعنا الى اتخاذ تدبير للسداد على أساس الدفع العاجل ، فانها توهن عزيمتنا بالقروض الطويلة الأجل والشطط فى تجاوز الرصيد ثم تصدمنا بقسوة بنكبة الافلاس . خذ مثلا الاجراءات الصحية العادية فى المنازل ، فقد يصلها جيل كامل فى احدى المدن اهمالا تاما فاضحا ولا يصيبه من ذلك ضرر ما ، أو يصيبه من الضرر ما لا يفكر أحد فى أن يعزوه الى ذلك السبب ، وقد يسكت جيلان من طلبة الطب فى احـدى المستشفيات عن القذارة والاهمال ، ثم يخرجون الى الحياة العامة لينشروا مذهبهم فى أن الهواء الطلق ليس الا بدعة وأن حفظ الصحة ليس الا احتيالا قصد به منفعة السباكين ، ثم تنزل الطبيعة انتقامها فجأة ، فتصب على المدينة الطاعون وتصب على المستشفى وباء الغرغرينا وتظل تقتل يمينا ويسارا حتى يدفع الشـبان الأبرياء ثمن أخطاء الشيوخ ؛ ويتوازن الحساب ، ثم تعود مرة أخرى الى النوم وتعطى الناس فترة أخرى من الديون ، لا تختلف نتائجها عن النتائج السابقة .

وهذا هو ما حدث أخيرا فى أحوالنا الصحية السياسية ، فقد شهدت من اهمال الحكومات والناخبين للعلوم السياسية

مثلما حدث فى عصر شارل الثانى من اهمال علم الصحة . فالعلاقات الدبلوماسية الخارجية لم تكن الا أعمالا صبيانية بلا قانون ، من دسائس العائلات ، والقرصنة التجارية والاقليمية ، والاستكانة الناشئة عن طيبة مدعاة نتيجة الكسل ، ونوبات النشاط العنيف التى يحدثها الذعر . ولكنا ظللنا على اسرافنا فى هذه الجزيرة ، وقدمت الينا الطبيعة قروضا طويلة الأجل أكثر مما قدمت لفرنسا أو ألمانيا أو روسيا ، فعند البريطانيين الذين ماتوا حتف أنوفهم فى سنة ١٩١٤ كان الرعب من الاختفاء تحت الأرض خوفا من القنابل التى يسقطها الأعداء على لندن أبعد عن التصور وأوغل فى الخيال من الخوف من ظهور مستعمرة من ثعابين الكوبرا والحيات ذات الأجراس فى حدائق كنسنجتون . لقد حذرنا تشارلس ديكنز فى رواياته المليئة بالتنبؤات من كثير من الشرور التى حدثت من بعده ، ولكن لم يكن ثمة فئل ينبىء عن شر القتل أمام أبواب بيوتنا بأيدى الأعداء من الأجانب . لقد أقرضتنا الطبيعة قرضا طويل الأمد جدا ، وقد أتلفنا فيه ما شئنا ، ولكن عندما هاجمتنا الطبيعة كان هجومها انتقاما ، فقد ظلت أربع سنوات تغتال أطفالنا وتصب علينا الأوبئة التى لم تحلم بها مصر قط ، وكان من الممكن التغلب عليها جميعا كذلك الطاعون الكبير الذى

أصاب لندن ، وما حدثت الا لأنها لم تمنع ، ولم ينته أمرها بالانتصار فى الحرب ، فهذه الأرض لا تزال تنشق عن جثث المنتصرين .

نصف القرن الشرير

من الصعب أن نقول أيهما أكثر شرا : الاهمال واللامبالاة أم المبدأ الزائف ، ولكن لسوء الحظ أن منزل القلوب المحطمة وحظيرة الجياد مصابان بالمرضين جميعا . فقبل الحرب بنصف قرن كانت المدنية تندفع مسرعة نحو دمارها تحت تأثير علم كاذب جالب للنوائب شأنه شأن الكلفنية فى أشد صورها سوادا ، فقد كانت تعاليم الكلفنية تقول بأننا لن نستطيع تغيير قدرنا الذى كتب علينا من قبل : النجاة أو الهلاك ، ومع ذلك فان الكلفنية لم تبين للانسان الطريقة التى يعرف بها ان كان من أصحاب السعادة أو الشقاء ، ومن ثم فقد تركت لديه اهتماما معقولا بتشجيع آماله فى الخلاص وتلطيف مخاوفه من اللعنة بالتصرف كما يجب أن يتصرف أحد المقربين لا أحد المبعدين . ولكن فى منتصف القرن التاسع عشر أكد علماء الطبيعة والتاريخ الطبيعى للعالم ، باسم العلم ، أن الخلاص واللعنة هراء وأن الجبرية هى خلاصة الحق فى الدين ، بما أن

الناس ليسوا الا ثمرة بيئتهم ، فليست ذنوبهم وحسناتهم الا سلاسل من ردود الفعل الكيميائية والميكانيكية لا سلطان لهم عليها ، وقد اقنعوا أن خرافات العقل والاختيار والغرض والضمير والارادة وما أشبه ليست الا أوهاما ، صنعت لفائدتها فى صراع الآلة الانسانية المستمر للاحتفاظ بالوسط الذى يعيش فيه الناس فى حالة موافقة ، وهذه عملية تعرض فى أثنائها تدمير منافسى هذه الآراء أو اخضاعهم بلا رحمة ، فى سبيل الحصول على وسائل البقاء التى يمكن الحصول عليها (والمفروض أنها محدودة) . وقد علمنا بروسيا هذه الديانة ، ولكنها بزتنا فى تعاليمنا بكيفية جعلتنا نجد أنفسنا مضطرين الى أن نحطم بروسيا لنمنعها من تحطيمنا ، وكانت نتيجة ذلك أن كلا من الدولتين حطمت الأخرى لدرجة لا يرجى معها امكان اصلاحهما فى وقتنا الحالى .

ولعل سائلا يسأل كيف أمكن لمخلوقات ذكية أن تقبل مثل هذه العقيدة الخرقاء الخطرة ، وهذا ما سأجيب عنه اجابة مفصلة فى مقدمة المجموعة التالية من مسرحياتى التى سأخصصها لهذا الموضوع ، أما الآن فيكفينى أن أقول انه كانت هناك أسباب أقوى من هذا السبب الظاهر : أقوى من أن مثل ذلك العلم الكاذب يفتح مستقبلا علميا لرجال شديدى الغباء ، كما

يفتح كل أنواع المستقبل الأخرى للأوغاد الوقحاء بشرط أن يكونوا مثابرين الى درجة كافية ، صحيح أن هذا الدافع كان له تأثير قوى ولكن عندما بدأ الاتجاه الجديد فى المبادىء العلمية ، الذى اقترن باسم عالم التاريخ الطبيعى الكبير تشارلس داروين ، لم يكن ذلك رد فعل فقط لفلسفة غائية بربرية مدسوسة على الانجيل ، كانت تقف سدا منيعا أمام كل تقدم علمى ، ولكنها كانت مصحوبة فى وقتها باكتشافات بالغة الأهمية فى الطبيعة والكيمياء وهذه الطريقة الجامدة فى النشوء والارتقاء التى سماها الباحثون نظرية الانتخاب الطبيعى . ومع ذلك فلم يكن هناك الا نتيجة واحدة ممكنة فى النطاق الأخلاقى ، وهى ابعاد الضمير عن الأعمال الانسانية ، أو كما عبر عنها صامويل بتلر فى حرارة « نفى العقل من الكون » .

مرض الوهم

منزل القلوب المحطمة وعلى رفوفه كتب بتلر وبيرجسون وسكوت هالدين الى جوار كتب بليك وغيره من عظماء الشعراء (ولا نذكر شيئا عن ڤاجنر وغيره من شعراء النغم) لم تعمه تماما تلك المادية الغبية ، مادية المختبرات ، كما أعمت عيون غير المثقفين فى العالم الخارجى ، ولكنه لما كان منزلا تافها

فقد أصبح مريضا بالوهم ، يسعى دائما الى العلاج ، فقد يمتنع عن أكل اللحوم لا على الأسس السليمة المأثورة عن شيلى ولكن للتخلص من عفريت اسمه الحامض البولى ، وقد يتركك تخلع كل أسنانه ليطرد شيطانا آخر اسمه تقيح اللثة . وكان يؤمن بالخرافات ، ويدمن « دقات المنضدة » وجلسات تحضير الأرواح والكشف عن المستقبل وقراءة الكف والتطلع فى الكرة البللورية وما أشبه ، بحيث يمكن الشك فى أن العرافين والمنجمين والمطببين غير المرخص لهم قد نجحوا فى أى عصر سابق من تاريخ هذه الدنيا كما نجحوا خلال نصف القرن هذا الذى يجرف الناس نحو الهاوية ، فقد كان الأطباء والجراحون المسجلون فى عناء شديد من منافسة غير المسجلين لهم اذ لم يكونوا على مهارة تجعلهم يثيرون خيال أصحاب القلوب المحطمة واتتناسهم بفن الممثل والخطيب والشاعر والمحدث الناجح ، فاضطروا الى اللجوء بخشونة الى بث الرعب من العدوى والموت ، وكانوا يعالجون بالتطعيم والعمليات ، فكانوا يبترون أى جزء من جسم الانسان يمكن بتره دون قتل محتم ، وكثيرا ما كان يموت نتيجة للعملية (دون أن يكون ذلك لازما بالطبع) ، وقد تدرجوا من العمليات البسيطة فى اللهاة أو اللوزتين الى المبايض والزوائد الدودية

حتى لم يبق بطن أحد من الناس سليما . وقد قالوا ان أمعاء الانسان طويلة شديدة الطول ، وأنه ما من شيء يجعل ابن آدم فى صحة جيدة غير تقصير طريق الفتحة البوابية للمعدة وذلك بقطع جزء طويل من الأمعاء السفلى وربطها مباشرة بالمعدة . ولما كانت نظريتهم الميكانيكية قد علمتهم أن الطب هو شغل الكيميائى فى معمله ، والجراحة شغل النجار فى دكانه ، وعلمتهم أيضا أن العلم (ويقصدون بذلك ممارستهم وتجاربهم) كان له من خطر الشأن ما يجعل أى اعتبار لمصلحة مخلوق ما ، سواء أكان ضفدعة أم فيلسوفا ، دع عنك العموميات الدارجة من علم الأخلاق العاطفى — أقل من أن يرجح للحظة واحدة أدنى أمل فى اضافة شيء الى حصيلة المعرفة العلمية — لذلك فقد راحوا يجرون الجراحات ويشرحون ويطعمون ويكذبون بكثرة رهيبة ، وهم يصرخون طالبين ما حصلوا عليه فعلا من حقوق قانونية على أجساد اخوانهم المواطنين لم يستطع أن يدعيها قط ملك ولا بابا ولا برلمان ، حتى ان ديوان التفتيش نفسه كان مؤسسة حرة اذا ما قورن بالمجلس الطبى العام .

هؤلاء الذين لايعرفون كيف يعيشـــون يجب ان يموتوا بجـدارة

كان منزل القلوب المحطمة أشد كسلا وسطحية من أن يخلص نفسه من قصر السحر الشرير هذا . كان يتغنى بالحب

ولكنه يؤمن بالقسوة . وكان يخشى القساة من الناس ولكنه يرى أن القسوة على الأقل نافذة الأثر ، فالقسوة تصنع أشياء تجلب المال ، فى حين أن الحب لا يصنع شيئا الا أن يؤكد صحة قول لاروشفوكو ان قليلا جدا من الناس يمكن أن يقعوا فى الحب ان لم يقرأوا عنه قط ، وبالاختصار لم يكن منزل القلوب المحطمة يعرف كيف يعيش ، فلم يبق له الا أن يفخر على الأقل بأنه عرف كيف يموت . وهى كفاءة كئيبة أتاح لها نشوب الحرب الحالية فرصا غير محدودة للظهور ، وهكذا هلك الابن البكر لمنزل القلوب المحطمة ، وكفر الصغار الأبرياء المرجوون عن حماقة آبائهم وتفاهتهم .

جنون الحرب

هؤلاء الذين عاشوا خلال حرب من الطراز الأول فى بيوتهم لا فى ميادين القتال ، هؤلاء فقط يمكنهم أن يفهموا مقدار المرارة التى أحس بها شكسبير وسويفت اللذان مرا بنفس التجربة . ان الفزع الذى رآه بيرچنت فى مستشفى المجانين وقد نصبوه امبراطورا عليهم عندما أحسوا بالعظمة الناشئة من وهم الموهبة العظيمة ورؤى فجر عصر فاضل سعيد ، لفزع هادىء بالنسبة الى تلك التجربة . ولعل أحدا لم يستطع الاحتفاظ

بصفاء ذهنه حقا سوى أولئك الذين كان عليهم أن يفعلوا ذلك ليديروا الحرب بلا واسطة ، وما كنت لأستطيع أن أحافظ على صفاء عقلى (بالقدر الذى فعلته) لو لم أدرك من فورى أننى أنا أيضا علىّ واجب خطير قبل الناس أن أنقل واعيا للحقائق باعتبارى كاتبا وخطيبا . ولكن ذلك لم ينجنى من درجة واضحة من زيادة الحساسية . ومما لا شك فيه أنه وجد أناس سعداء لم تكن الحرب تعنى شيئا بالنسبة اليهم ، اذ كان كل ما يتعلق بالسياسة والأحوال العامة خارجا عن دائرة اهتمامهم الصغيرة ، ولكن المدنى العادى الذى أحس بالحرب أصيب بالجنون ، وكان الدليل الرئيسى لذلك هو اعتقاد بأن نظام الطبيعة كله قد انعكس فكان يشعر أن كل الأطعمة يجب أن تغش وكل المدارس يجب أن تغلق ، كما يجب ألا ترسل اعلانات الى الصحف التى يجب أن تظهر طبعاتها وتباع كل عشر دقائق . ويجب أن يمنع السفر ، فان تعذر ذلك فلتوضع عقبات كبيرة فى سبيله . ويجب أن تطرح كل الادعاءات حول الفنون الجميلة والثقافة وما أشبه لأن ذلك تكلف لا يحتمل ، ويجب أن تشغل معارض الصور والمتاحف والمدارس بعمال الحرب . وقد نجا المتحف البريطانى نفسه بمعجزة . وان الاخلاص فى ذلك كله ، وفى كثير غيره مما لا يكاد يصدقه أحد

لو أننى أرخته ، ليظهر فى مثل نهائى واحد من الجنون العام . كان الناس يتخيلون أنهم يستطيعون كسب الحرب بالتبرع بالمال ، فلم يكتفوا بالتبرع بالملايين لصناديق شتى لا يمكن تبين غرضها ، ولمنظمات خيرية مضحكة كى تقوم بأعمال يظهر بجلاء أنها من شأن السلطات المدنية والعسكرية بل انهم كانوا يسلمون المال فعلا فى الشوارع لأى لص (أو لصة) يدعى أنه يجمعه لاعادة الأعداء . وقد تجرأ المحتالون فافتتحوا المكاتب ، وسموا أنفسهم « أعداء الاتفاق مع الأعداء » وراحوا يملئون جيوبهم بالأموال التى تنهال عليهم ، ووجدت شابات ذوات ملابس جذابة أنه ما عليهن الا أن يسرن فى الشوارع حاملات صناديق التبرعات فى أيديهن ليعشن عيشة فاخرة بما يربحنه ، ومرت شهور كثيرة قبل أن تبدو أول علامة من علامات عودة العقل فزجت الشرطة بأحد سكرتيرى جمعية أعداء الأعداء الى السجن بتهمة « تشجيع الآخرين » ، وأصبح التحمس بجمع البنسات فى «أيام العَلَم» منظما بعض التنظيم.

الجنون فى المحاكم

ولم تخل قاعات المحاكم من الانحدار ، فكان الجنود تبرأ ساحاتهم ولو أثبت الاتهام أنهم ارتكبوا جريمة القتل العمد ،

حتى اضطر القضاة والمحققون أخيرا الى اعلان أن ما يطلق عليه القانون غير المكتوب الذى كان يعنى ببساطة أن الجندى يستطيع أن يفعل ما يشاء فى الحياة المدنية مع اعفائه من العقاب ، هذا القانون ليس قانون البلاد ، وأن صليب ڤيكتوريا لا يحمل معه غفرانا مطلقا دائما ، ومن سوء الحظ أن جنون المحلفين والمحققين لم يعلن عن نفسه دائما فى حالات التبرئة ، فلم تكن هناك أقل فرصة للنجاه لأى شخص دفعه سوء الحظ الى أن يتهم بأى تصرف ليس فيه طعم جنون الحرب مهما كان التصرف معقولا ونافعا . وقد كان يعيش فى البلاد أيضا عدد من الناس يعارضون فى الحرب معارضة مبنية على اقتناع ، باعتبارها عملا اجراميا أو غير مسيحى ، وقد أقر البرلمان قانون الخدمة الاجبارية ولكنه أعفى هؤلاء الأشخاص ، أعفاهم دون تفكير ، ولم يطلب منهم الا أن يثبتوا أصالة معتقدهم . وكان من فعلوا ذلك منهم غير حكماء اذا نظرنا الى الأمر من وجهة مصلحتهم الشخصية ، وقد عذبوا بوحشية على الرغم من القانون ، أما هؤلاء الذين لم يظهروا اعتراضا على الحرب مطلقا ، ولم يكتفوا بالتدريب فى معسكرات تدريب الضباط بل أعلنوا فى مناسبات عامة أنهم على استعداد تام للانضمام الى الحرب الأهلية للدفاع عن معتقداتهم السياسية ، هؤلاء سمح لهم

بالاستفادة من القانون باعتبار أنهم لم يرضوا عن هذه الحرب بالذات . ولم يكن القوم تأخذهم بالمسيحيين رحمة ، ففى الحالات التى يكون الدليل على أنهم قتلوا بسبب سوء المعاملة واضحا ، وأن الحكم سيكون القتل العمد بلا شك لو كان هوى المحلفين معهم ، فقد كان القرار يصدر أنهم غير مذنبين ، فلم تكن هناك الا فضيلة واحدة هى الميل الى الحرب ، ورذيلة واحدة هى الميل الى السلم ، وهذا شرط جوهرى للحرب ولكن الحكومة لم تكن لديها الشجاعة لسن قانون بناء على ذلك ، ولهذا أهمل القانون الحكومى ليحل محله الحكم العرفى .

وقد بلغ الخروج على القانون قمته فى فرنسا ، فقد قتل جوريز أكبر وزير اشتراكى فى أوروبا برصاصة أطلقها عليه سيد استاء من محاولاته لمنع الحرب ، وأطلق الرصاص على مسيو كليمنصو بيد سيد آخر أفكاره أقل شعبية من الأول ، ولكن لحسن الحظ لم يكن لرصاصته تأثير أكثر من أن يقضى كليمنصو يومين فى الفراش على سبيل الاحتياط ، أما قاتل جوريز فقد برىء بجرأة ، وأما من اعتدى على مسيو كليمنصو فقد أدين ببراعة ، وليس هناك من شك فى أن مثل هذا كان سيحدث فى انجلترا لو أن الحرب بدأت بمحاولة ناجحة لقتل كيرهاردى وانتهت بمحاولة فاشلة لقتل لويد چورچ .

الوباء الذى يصاحب الحرب عادة اسمه الانفلونزا ، وقد حام الشك حول حقيقة صلة هذا الوباء بالحرب ، فالواقع أن أشد حالات الوباء وجدت فى أماكن بعيدة عن ساحات الحرب وخاصة الشواطىء الغربية لأمريكا الشمالية والهند ، ولكن هذه الظاهرة نفسها تجلت فى الوباء الأخلاقى ، وهو وباء ناتج دون شك عن الحرب ، فقد يظن البعض أن حمى الحرب تثور بأشد قسوتها فى الأقطار التى تدور فيها الحرب فعلا ، وأن الأقطار الأخرى تكون أدنى الى التعقل ، وقد يلتمس العذر لبلجيكا والفلاندزر اذا كشفتا عن مشاعرهما بشدة أكثر من هز الكتفين والقول « انها الحرب » وذلك لأنه خربت فيها أماكن كثيرة حتى لم يعد فيها حجر على حجر حقيقة لا مجازا ، اذ كانت الجيوش المتقاتلة تتقدم وتتقهقر على أرضها بعد تمهيد فظيع من الضرب بالقنابل ، وانجلترا التى فلت قرونا كثيرة مصونة ، حتى لم يكن أحد ليصدق أن الحرب ستكتسح أرض الوطن الا كما يصدق عودة الطوفان ، لم يكن من المنتظر أن تحافظ على رقة تصرفاتها بعد أن عرفت أخيرا كيف يكون الحال عندما يضطر أهلها الى الاحتماء بالمخابىء ومحطات المترو تحت الأرض ، أو النوم على الفرش وقد انتابتهم الرعدة فى

حين تنفجر القنابل وتقوض المنازل وتوزع الطائرات قنابل الشرابنل [1] على الأصدقاء والأعداء على السواء حتى أن بعض واجهات المحلات فى لندن ، التى كانت تغص من قبل بالقبعات من أحدث طراز ، أصبحت تمتلىء بالخوذات الحديدية . ان فى جثث النساء والأطفال القتلى ، وأجسامهم المشوهة ، والمساكن المحترقة والمهدمة لعذرا لهذه اللغة العنيفة وللسخط الذى يستمر طويلا قبل أن يهدأ . ولكن حمى الحرب انتشرت انتشارا فاق كل اعتبار فى الولايات المتحدة حيث لم تقض الحرب مضجع أحد وبينما شهدت محاكم أوربا انحرافا عن القانون مبعثه شهوة الانتقام ، شهدت محاكم أمريكا جنونا هائجا . وليس لى أن أؤرخ لمبالغات أحد الحلفاء ؛ فلنترك ذلك لأمريكى صريح ؛ ويكفى أن أقول اننا ونحن نجلس فى حدائقنا فى انجلترا حيث نحس بالمدافع المنطلقة فى فرنسا وهى تخفق فى الجو حتى لنكاد نسمعها ، أو ندرس فى لندن أوجه القمر بقلوب منقبضة ونفكر فى مقدار ما يترتب عليها من احتمال أن يصبح الصبح وبيوتنا قائمة وأنفاسنا ما زالت تتردد ، أقول اننا — ونحن فى هذه الحالة — كنا نقرأ فى الصحف الأحكام التى تصدرها

(١) نوع من القنابل يحتوى على رصاص ينتاثر عند انفجار القنبلة . (المراجع)

المحاكم الأمريكية على الفتيات الصغيرات والشيوخ من الرجال لأنهم عبروا عن آراء كانت تعلن فى انجلترا أمام جمهور ضخم بين عاصفة من التصفيق ، ونقرأ التقارير السرية عن الطرق التى تجمع بها قروض الحرب الأمريكية فتتملكنا الدهشة حتى لننسى للحظات أصوات المدافع واحتمال غارات الأعداء الجوية .

الكلاب المسعورة لحراسة الحرية

لم يكتف مجانين الحرب بكل هذا الانتهاك الحقود للقانون الموجود ، بل اندفعوا فى هوس ليقضوا على كل الضمانات الدستورية للحرية والسعادة . لقد حل العنف محل القانون العادى ، فهوجمت الصحف وحطمت آلات الطباعة فيها بهجمات بوليسية بسيطة على الطريقة الروسية ، وقبض على الناس وأطلق عليهم الرصاص دون تكلف مظهر محاكمة يحضرها محلفون أو علنية فى الاجراءات أو أقوال الشهود . ومع أنه كان من أهم الضرورات أن يزيد الانتاج باتباع أفضل الوسائل العلمية فى التنظيم والاقتصاد فى العمل ، ومع أنه من الحقائق المقررة أن اطالة مدة العمل والافراط فى الجهد تقلل الانتاج بشكل واضح بدلا من أن تزيده ، فان قوانين المصانع عطلت وظل الرجال والنساء يعملون بطيئين أكثر من طاقتهم حتى

أصبح فقد كفاءتهم أمرا واضحا لا يمكن تجاهله ، وكان الاعتراض والتحذير يقابلان اما بالاتهام بالعمل لصالح الألمان ، واما بالتعبير الشائع « تذكر أننا الآن فى حالة حرب » . وقد قلت ان الناس افترضوا أن الحرب قلبت أوضاع الطبيعة ، وأن كل شيء سيضيع ان لم نفعل بالضبط عكس ما كنا نجده ضروريا ومفيدا فى وقت السلم ، ولكن الحقيقة كانت أسوأ من ذلك ، فان الحرب لم تغير عقول الناس بطريقة مستحيلة كهذه ، ولكن ما حدث فى الواقع هو أن وطأة القتل والتخريب ، وهى الحقيقة الوحيدة التى يستطيع كل مغفل أن يفهمها قد مزقت أقنعة التعليم والفن والعلم والدين عن جهلنا وبربريتنا ، وتركتنا تتباهى بشكل مضحك بالرخصة التى وافقت فجأة عواطفنا الخسيسة ومخاوفنا الدنيئة . فلم يزل مقررا منذ كتب توسيديد تاريخه أنه حين ينفخ ملك الموت فى بوقه يطير ادعاء المدنية عن رءوس الرجال الى الوحل كما تطير القبعات فى هبة ريح ، ولكن عندما تحققت هذه النبوءة بيننا لم يخفف من هول الصدمة أن قلة من دارسى التاريخ اليونانى لم يدهشوا لها . والحق أن هؤلاء الدارسين ألقوا أنفسهم فى هذه الوليمة الصاخبة دون خجل كغير المتعلمين . ولم يزل القس المسيحى الذى يشترك فى رقصة الحرب دون أن يخلع ملابسه الكهنوتية

أولا ، وناظر المدرسة المحترم الذى يطرد الأستاذ الألمانى مهينا اياه ومستعملا معه العنف قائلا انه لن يتعلم طفل انجليزى بعد الآن لغة لوثر وجيته ، يلقيان استحسانا بفضل الانكار الوقح لكل أدب من آداب المدنية وكل درس من دروس السياسة ، من جانب أولئك الأشخاص المعهود اليهم حراسة الثقافة باعتبارهم أساتذة جامعات ومؤرخين وفلاسفة وعلماء . لقد كان من الفجاجة الطبيعية ، ولعله كان من الضرورى لأغراض التعبئة أن يصور المحفيون ورجال التعبئة العسكرية الألمانية ومطامع الأسرة الحاكمة الألمانية بألوان سوداء وحمراء على أنها أخطار تهدد أوربا (وهى فى الحقيقة كذلك) تاركين للناس أن يستنتجوا أن عسكريتنا ونظامنا السياسى هما جنة الديمقراطية (وهى فى الحقيقة غير ذلك) ، ولكن عندما يصل الأمر الى التشهير المخبول بالكيمياء الألمانية وعلم الحياة الألمانى والشعر الألمانى والموسيقى الألمانية والأدب الألمانى والفلسفة الألمانية وحتى الهندسة الألمانية باعتبارها رجسا شريرا بينه وبين الكيمياء الانجليزية والفرنسية الخ .. من العلاقة مثل ما بين الجنة والنار — يبدو واضحا أن القائلين بهذا الهراء الهمجى لم يفهموا أو يهتموا قط بالفنون والعلوم التى يدعونها وينتهكون حرمتها ، ولم يكونوا الا بئس الخلف لرجال القرنين

السابع عشر والثامن عشر الذين لم يعرفوا حدودا وطنية فى مملكة العقل البشرى الكبرى ، والذين سموا بآداب اللياقة الأوربية فى تلك المملكة — سموا بلغ درجة التباهى فوق أحقاد المعارك الحربية . ان تمزيق وسام ربطة الساق [1] عن ساق القيصر ، وحذف أسماء الدوقات الألمان من سجل الأشراف عندنا ، وتغيير لقب الملك التاريخى اللامع الى اسم محلى غير معروف ، كل ذلك لم يكن عملا ينطوى على كثير من الكرامة . ولكن محو أسماء الألمان من سجلاتنا العلمية والتعليمية كان اعترافا بأن الاحترام القليل الذى تبديه انجلترا نحو العلم والتعليم ليس الا تظاهرا يخفى وراءه ازدراء وحشيا لكليهما ، حتى ليحس الانسان أننا يجب أن نغير صورة القديس چورچ والتنين المرسومة على عملتنا الى صورة جندى يشك برمحه جسد أرشميدس ، ولكن لم يكن هناك فى ذلك الوقت عملة معدنية ، ولم يعد باقيا الا العملة الورقية التى تتسمى فيها عشرة الشلنات باسم جنيه ، تماما كما يتسمى الناس الذين يحطون من شأن وطنهم بالوطنيين .

---

(١) أعلى وسام بريطانى يمنح للاشراف . (المراجع)

لم يكن الألم النفسى الناشىء عن العيش وسط هـذا الطنين القبيح الناتج عن رقصات الكرمنيول[1] والكروبارى[2] هو العبء الوحيد الذى تحمله العقلاء أثناء الحرب ، اذ كان هناك أيضا التوتر العاطفى الناتج عن قوائم المصابين وقد اختلط بشعور الاستياء من الأحوال الاقتصادية ، أما الأعبياء والأنانيون وضيقو العقول وميتو الاحساس وقاصرو الخيال فقد استراحوا من كثير ، وقد تحققت تقريبا نبوءة شكسبير حين قال « سيعم الدم والتخريب حتى لا يكون أمام الأمهات الا الابتسام وهن يرين أطفالهن وقد مزقتهن يد الحرب أشلاء » ، ففى الوقت الذى لم يكد يخلو فيه بيت من الحزن على قتيل من أبنائه ، كان الجنون هو ما يوشك أن يحيق بنا ان نحن اعتبرنا ثكلنا وثكل أصدقائنا نفس اعتبارهما وقت السلم ، لذلك كان من الضرورى أن نعطيهما اعتبارا زائفا فنعلن أن حياة الشبان قد ضحيت بجدارة وعظمة فى سبيل افتداء حرية الانسان بدلا من أن نقول انهم انما يكفرون عن طيش آبائهم وحماقتهم تكفيرا لا جدوى منه . بل اننا لم نجد بدا من ادعاء

(١) رقصة من رقصات الثورة الفرنسية . (المترجم)
(٢) رقصة ليلية رمزية عند القبائل الاشتراكية . (المراجع)

أن الآباء لا الأبناء هم الذين يقدمون التضحيات حتى اضطرت المجلات الهزلية أخيرا الى نقد الشيوخ ذوى الأجسام البدينة الذين يجلسون مستريحين على كراسيهم فى النادى وهم يفخرون بأبنائهم الذين « قدموهم » الى الوطن .

ما من أحد تذمر من هذه المسكنات للأحزان الشخصية الحادة ، ولكنها زادت مرارة هؤلاء الذين يعرفون أن الشبان يضرسون لأن آباءهم أكلوا حصرم السياسة . ثم فكر فى الشبان أنفسهم ! فكثير منهم لم يستهوهم ظن خادع بالسياسة التى أدت الى الحرب . بل ذهبوا بعيون مبصرة ليقوموا بواجب كريه فظيع ، فترك رجال ودعاء عقلاء بالضرورة أعمالهم الهامة مختارين وقضوا شهورا يتمرنون على السير فى طوابير فى أفنية المعسكرات وطعن أكياس القش أمام الجماهير ، حتى يذهبوا ليقتلوا ويشوهوا رجالا ودعاء مثلهم . هؤلاء الرجال — الذين كانوا كطبقة يكونون أكفأ جنودنا (كفردريك كيلنج مثلا) — لم ينخدعوا لحظة بالنفاق الميلودرامى الذى كان يغرى الآخرين ويقويهم ، ولكنهم تركوا أعمالهم الخلاقة ليسخّروا فى التخريب ، تماما كما كان يمكن أن يتركوها ليتناوبوا العمل على المضخات فى سفينة تغرق ، ولم يتباعدوا لأن السفينة قد أهملها ضباطها وأغرقها محطموها كما فعل بعض المعارضين

ذوى الضمائر الحية ، فقد كان يجب انقاذ السفينة ولو أدى ذلك الى أن يترك نيوتن قوانينه الرياضية وميكل أنجلو رخامة ، لذلك ألقوا بأدواتهم التى يعملون بها فى مهنهم النافعة الرفيعة ليحملوا الحربة الملطخة بالدم والقنبلة الفتاكة ، مجبرين أنفسهم على تحويل فطرتهم الخيرة لاتمام العمل الفنى الكامل الى اتقان استعمال هذه الأشياء الجهنمية ، وقلب قدرتهم التنظيمية المدبّرة الى اختراع وسائل التدمير والقتل . وقد اتهت مأساتهم نهاية ساخرة ، اذ أن مواهبهم التى اضطروا الى تلويثها لم تجعل هذا التلويث منتجا فحسب ، بل مشوقا أيضا حتى ان بعضهم رقوا بسرعة ووجدوا أنفسهم وقد أصبحوا ماهرين فى الحرب فعلا يزدادون تلذذا بها على الرغم من أنفسهم كنابليون وغيره من السياط التى سلطت على البشرية . ولكن كثيرا منهم لم يحصلوا حتى على هذا العزاء فقد ابتلوا بها وظلوا كارهين لها حتى النهاية .

الشر على عرش الخير

هذا الكرب الذى أحاط بالناس كان شديدا حتى أن أولئك الذين عانوا منه فى الحياة المدنية دون أن يريقوا بأيديهم قطرة دم أو يروا بأعينهم الخراب قلما كانوا يهتمون بأن يشكوا آلامهم الخاصة ، لكن حتى هؤلاء الذين ظلوا فى الوطن

سالمين ، لم يكن من السهل على من يضطرون منهم الى الكتابة والخطابة عن الحرب أن يلغوا ضمائرهم الحية ويعملوا عامدين للوصول الى مستوى من الشر الحتمى بدلا من المثل الأعلى لحياة أوفى . ويمكننى أن أذكر على الأقل شخصا واحدا وجد مشقة كبيرة فى التحول من حكمة المسيح والقديس فرانسيس الى حكمة رينشارد الثالث وجنون دون كيشوت ، ولكن هذا التحول كان واجبا ، وقد أضر بنا جميعا ، ما عدا هؤلاء الذين لم يكن بالنسبة اليهم — فى واقع الأمر — تحولا ما بل اعفاء من النفاق .

وتأمل أيضا حال أولئك الذين لم يكونوا من الكتاب أو المحاربين ولم يكن لديهم أبناء يخشون فقدهم، ولكنهم كانوا يعرفون أية خسارة لا تقدر بثمن تلك التى تحيق بالعالم خلال أربع سنوات من حياة جيل ضبعها فى التدمير ، فانه من الصعب أن تتخيل أعمالا من أعمال الفكر الانسانى التى صنعت التاريخ لم يكن من الممكن أن تعطل أو تدمر لو أبعد القائمون بها عن عملهم الطبيعى لمدة أربعة أعوام حاسمة ، وليس المقصود فقط أن يكون بين القتلى شكسبير أو أفلاطون ، بل ان كثيرا من خيرة ما أنتجه الجيل الذى نعيش فيه قد زرع فى تربة الخنادق القاحلة ، وليس هذا الاعتبار خاصا ببريطانيا ، فان قتل الشاب الألمانى لم يكن فى نظر المتمدن الحق والأوربى الطيب كارثة

أقل من قتل الشباب الانجليز . لقد كان الحمقى يفرحون « بالخسائر الألمانية » . ولكنها كانت خسائرنا نحن أيضا . وتصور كيف يمكن أن تفرح لقتل بتهوفن بطعنة صوبها اليه بيل سايكس .

يغص بالبهوضة ويبتلع الجمل

ولكن أكثر الناس لم يفهموا هـذه الأحزان ، فكانوا يبتهجون ابتهاجا طائشا بالموت من أجل الموت ، ولم يكن هذا الابتهاج فى حقيقته غير عجز عن ادراك أنها ميتات حقيقية لا مسرحية . وكلما شنت غارة جوية وألقيت قنبلة تمزق طفلا وأمه أشلاء كان الذين يرون هذا المنظر ينفجرون فى لعنات ثائرة على الألمان القتلة صارخين فى طلب الثأر القاسى الذى يرضيهم ، وهم هم الذين كانوا يقرأون مسرورين فى صحفهم يوما بعد يوم آلافا من مثل هذه الأحداث . وكان يبدو واضحا فى مثل هذه اللحظات أن الميتات التى لم يروها لم تكن فى أذهانهم أكثر من ميتات غير حقيقية عـلى شاشة السينما ، ولم يكن شهود الموت واجبا فى بعض الأحيان اذ يكفى أن يحدث تحت ظروف كافية من الجدة والغرابة ليكون له من الأثر ما للموت المرئى فعلا .

وعلى سبيل المثـال حدثت فى ربيع سنة ١٩١٥ مذبحة

مفزعة لجنودنا الشبان فى نيف تشابيل وعند محاولة النزول فى غاليبولى ، ولن أذهب بعيدا فأقول ان المدنيين كانوا مسرورين لقراءتهم مثل هذه الأخبار المثيرة فى صحف الصباح وهم يتناولون افطارهم ، ولكنى لن أدعى أنى لاحظت سواء فى الصحف أم فى الاتصال الشخصى أى شعور أكثر من الشعور العادى بأن العرض السينمائى فى الجبهة عرض ممتع ، وأن أولادنا من أشجع الشجعان . وفجأة جاءت الأخبار بأن الباخرة لوزيتانيا التى تسخر عباب الأطلنطى قد أغرقت بطوربيد ، وأنه كان بين الغرقى عدد كبير من المشاهير ركاب الدرجة الأولى ، منهم مدير مسرحى ذائع الصيت ومؤلف لمسرحية هزلية مشهورة ، وآخرون . ومن بين هؤلاء الآخرين سير هيولين ، ولكنهم لم يبرزوا خبر موته لأن الوطن لم يكن مدينا له بدرجة كبيرة الا فى دائرة الفنون الجميلة .

وفى الحال اكتسحت البلاد موجة من الحنق المذهل ، فهؤلاء الذين ظلوا حتى هذه اللحظة على هدوئهم أصابهم الجنون ، وكان مدار القلق قولهم « قتل الركاب المدنيين ! وماذا بعد ذلك ؟ » ، ولكنها جملة أتفه من أن تحمل صورة الغضب الذى تملكنا ، ولما كان ذهنى ممتلئا بالخسارة الفادحة التى منينا بها فى نيف تشابيل ويبريس والنزول فى غاليبولى فقد

بدت لى الضجة التى أثيرت حول لوزيتانا وقاحة قاسية ، هذا مع أنى كنت أعرف الضحايا المشهورين الثلاثة معرفة شخصية ، وكنت أفهم ربما أكثر من معظم الناس المصيبة التى حلت بموت لين ، بل انى وجدت رضى بشعا ، لعله مفهوم جدا بالنسبة لجميع الجنود ، فى حقيقة أن المدنيين — الذين كانوا ينظرون الى الحرب على أنها رياضة بريطانية رائعة — قد ذاقوا مرارة طعمها كما يعرفها المحاربون فعلا . وقد عبرت بكل صراحة عن ضيقى ، فقوبل احساسى الطبيعى الصريح فى هـذا الشأن بالاستنكار على أنه مناقضة فظيعة قاسية ، وعندما سـألت هؤلاء الذين فغروا أفواههم دهشة مما قلت عما يقولون عن مجزرة فستوبيرت زادت دهشتهم عن ذى قبل اذ كانوا قد نسوا كل شىء عن المجزرة بل لعلهم لم يعوها قط . وما كانوا أكثر قسـوة منى ، ولكن المصـيبة الفظيعة كانت أكبر مما يستطيعون ادراكه ، أما المصيبة الصغيرة فقد كان حجمها مناسبا لهم ، ولم يدهشنى ذلك . ألم أر الجمهور لنفس السبب يوافق دون كلمة على اعتماد بثلاثين ألف جنيه ثم يقضى ثلاثة اجتماعات خاصة تمتد الى الليل للمناقشة حول مبلغ سـبعة شلنات للمرطبات ؟

لا يمكن لأحد فهم شطحات عواطف الجماهير أثناء الحرب الا اذا وضع فى ذهنه أن الحرب فى حقيقتها الجسيمة لم تكن موجودة بالنسبة للمدنى العادى . فهو لا يتصور موقعة فما بالك بحملة . لم تكن الحرب بالنسبة لسكان الضواحى الا شجارا بين سكان الضاحية ، ولم تكن بالنسبة لعمال المناجم والفعلة الا معارك بالسونكى بين أبطال ألمانيا وأبطال انجلترا ، وكانت ضخامتها الهائلة فوق ادراك معظمنا ، فكان يجب أن تقلل حوادثها حتى تصل الى حد حوادث القطارات أو غرق السفن ليمكن أن تؤثر فى عقولنا تأثيرا ما . كان ضرب سكاربوروه ورامسجيت ببضع قنابل يبدو لنا مأسى جسيمة ، وموقعة جاتلاند مجرد أغنية قصصية ، ولم تكن كلمات « بعد التمهيد الكامل بالمدفعية » التى ترد فى أخبار الجبهة تعنى شيئا بالنسبة الينا ، ولكن عندما كان المتنزهون على شاطىء البحر يعلمون أن عجوزا يتناول افطاره فى فندق على الشاطىء حيث يقضى عطلة نهاية الأسبوع قد أزعجه سقوط قنبلة فى فنجان البيضة ، كان يتملكهم غضب وذعر لا حد لهما ، وكانوا يعلنون أن ذلك سيملأ نفوس الجنود بالحماسة ، ولا يشعرون لحظة أن الجنود فى الخنادق سيظلون عدة أيام يضجون بالضحك على هـذه

الحادثة ويقول بعضهم لبعض ان من الخير لهؤلاء المضايقين المقيمين فى الوطن أن يذوقوا بعض ما يذوقه المحاربون . وقد يكون ضيق النظرة مثيرا بلا اشفاق . فالرجل الذى يعمل فى أرض الوطن غير مبال بدعوة « تأمين الديموقراطية فى العالم » هذا الرجل اذا ما قتل أخوه فى الجبهة ترك عمله فى الحال واعتبر الحرب مسألة ثأر عائلى شخصى بينه وبين الألمان . وقد يكون الأمر فكاهيا ، فقد يسرحون جنديا لأنه جرح ، ولكنه يعود مرة أخرى الى الخنادق وقد صمم تصميما قاطعا على البحث عن الألمانى الذى جرحه ليقتص منه .

ولا يمكن تقديركم منا سواء أكنا مجندين أم غير مجندين ، كان يفهم الحرب وأسبابها السياسية مجتمعة فى ضوء فلسفة ما للتاريخ ، أو معرفة ما بمعنى الحرب ، وانى لأشك فى أن نسبة هؤلاء كانت تبلغ نسبة علماء الرياضيات العليا عندنا ، ولكن لا شك أن هذا القسم أقل كثيرا من الجهال نسبيا وذوى العقول الصبيانية . ولنذكر أن هؤلاء الناس يجب أن يثاروا ليقوموا بالتضحيات المطلوبة فى الحرب ، ولا يمكن فعل هذا بالاستشهاد بالمعلومات التى لا يملكونها والادراك الذى لا يستطيعونه ، وعندما أتاحت لى الهدنة أخيرا أن أقول الحق عن الحرب فى الانتخابات العامة التالية ، قال أحد الجنود

للمرشح الذى كنت أؤيده « لو أننى علمت كل ذلك سنة ١٩١٤ لما استطاعوا أن يلبسونى الزى العسكرى قط » لا جرم كان هذا بالضبط هو السبب الذى أوجب اسكاته بقصة خيالية يضحك منها أى سياسى . وهكذا زيد الخلط الطبيعى الناشىء عن الجهل بنشر خلط متعمد عن طريق قصص كقصص العفاريت التى تروى للأطفال ، وحكايات ميلودرامية فارغة ، وقد كان لذلك كله فى النهاية نتيجة تجاوزت الحد المطلوب ، فلم يكن يكفى لوقف الحرب تحقيق النصر بالتغلب على الجيش الألمانى وخلع قيادته الملكية العسكرية ، بل ارتكب خطأ كبير وهو تدمير وسط أوربا ، وهذا أمر لم يكن لتقدم عليه أية دولة أوربية عاقلة .

القادرون البكم والعاجزون الصخابون

اذا واجه القارىء الناقد هذه الصورة من الهوس والجنون الفارغين فانه سيحتج على الفور بأن انجلترا كانت طوال هـذا الوقت تقود حربا احتاجت الى تنظيم عدة ملايين من المحاربين والعمال الذين يمدونهم بالزاد والذخيرة ووسائل النقل ، وأن هذا لا يمكن أن يتم عن طريق ثلة من المتبجحين العصبيين ، وهذا لحسن الحظ صحيح ، فكان يكفى أن تنتقل من مكاتب الصحفيين ومنصات السياسيين ومدفئات النوادى وحجرات

الجلوس فى الضواحى الى الجيش ومصانع الأسلحة لتكون قد انتقلت من مستشفى المجانين الى أكثر عوالم العمل جدية وتعقلا ، وهناك تكتشف انجلترا من جديد ، وتجد الأرض الصلبة لمن ظلوا على الايمان بها ، ولكن الشرط الضرورى لهذه الكفاءة كان هو أن يعطى الأكفاء وقتهم كله للعمل تاركين ثلة الأوباش يهذون كما يشاءون ، والحق أن الهذيان كان مفيدا للأكفاء ، فانه لما كان دائما بعيدا عن الحقيقة ، كان غالبا ما يبعد الانتباه عن العمليات التى تقضى عليها الدعاية أو تعرقلها ، وكان هذا هو المطلوب ، وقد سعيت من أول الحرب — دون طائل — لنشر وصية تقول « اذا كان لديك ما تعمله فاذهب واعمله ، والا فبحق السماء لا تعرقل العمل » فلم ينفذ من هذه الوصية الا نصفها ، لأن القادرين قد ذهبوا حقا وعملوا ما لديهم ، ولكن العاجزين لم يمنعهم شىء من عرقلة عمل القادرين ، فقد كانوا يصيحون ويضجون ولم يمنعهم من العرقلة الفعلية للأعمال الا هذه الحقيقة المباركة وهى أنهم لم يعرفوا قط كيف تجرى تلك الأعمال . وهكذا كانت كل كفاءة انجلترا تعمل فى صمت وخفاء بينما كانت كل غباوتها تصم السماء بضجيجها وتلوث وجه الشمس بغبارها ، ومن سوء الحظ أيضا أنها كانت ترهب الحكومة حتى تلجئها الى

استعمال قوة الدولة التى لا تقاوم فى ارهاب العقلاء ، وهكذا استطاعت قلة وضيعة من الراغبين فى تدبير جرائم الاغتيال أن تقيم حكم ارهاب كان يمكن أن يقضى عليه فى أى وقت بكلمة واحدة حازمة من أحد الوزراء المسئولين ، ولكن وزراءنا لم تكن لديهم هـذه الشجاعة ، فلا منزل القلوب المحطمة ولا حظيرة الجياد قد ربتهم عليها ، ولا الضواحى من باب أولى . وعندما وصل الأمر فى النهاية الى حد نهب الحوانيت بواسطة مجرمين يدعون الوطنية كانت قوة الشرطة لا الحكومة هى التى أسرعت الى العمل ، بل انه مرت بنا فترة محزنة أثناء الذعر الذى استبد بنا من الغواصات عندما خضعت الحكومة لصياح كأنما يصدر عن الأطفال يطالب باساءة معاملة أسرى الحرب من رجال البحرية ، ثم اضطرت تحت ضغط الأعداء — وهذا هو الأمر المخجل — أن تحسن مسلكها . ومع ذلك فوراء كل هذه الأخطاء العلنية الكثيرة ، وسوء السلوك ، والشرور العقيمة ، كانت انجلترا الفعالة ماضية بأعظم ما يكون من قدرة ونشاط . كانت الصورة الظاهرية لانجلترا تجعل الامبراطورية تشمئز من عدم قدرتها على ضبط نفسها ومن جهلها وتوحشها وذعرها ، ومن هتافها الدائم الذى لا يحتمل بالأناشيد الوطنية للحلفاء فى مناسبة وغير مناسبة ، أما انجلترا الخفية فكانت تتقدم بلا مقاومة لاخضاع أوربا .

رجال الأعمال العمليون

ومنذ البدايه أثار من لا نفع فيهم صيحة المطالبة « برجال أعمال عمليين » قاصدين بذلك هؤلاء الذين أصبحوا أغنياء لأنهم قدموا مصالحهم الشخصية على مصلحة الوطن ولأنهم يقيسون نجاح أى نشاط بقيمة الفائدة المادية التى يجلبها لهم ولمن يعتمدون عليهم فى امدادهم برءوس أموالهم ، وكان الاخفاق المثير للرثاء لبعض العينات المشهورة من أول فرقة جربناها من هؤلاء المساكين عاملا ساعد على اعطاء الجانب الظاهر من الحرب جوا من المهزلة الفظيعة اليائسة ، فانهم لم يثبتوا أنهم غير صالحين للعمل بين الجماهير فقط ، بل أثبتوا أيضا أنهم ما كانوا ليسمح لهم بأن يديروا مشروعات فردية فى أمة حسنة التنظيم .

كيف نادى الحمقى بسقوط العقلاء

وهكذا كانت انجلترا كالأرض الخصبة التى يفسرها الطين ، فلم تبد ما يدل على عظمتها فى تلك الأيام التى كانت تظهر فيها كل قوتها لتنقذ نفسها من أسوأ نتائج حقارتها ، وكان معظم الرجال العاملين الذين تشغل الشئون العملية العاجله كل ساعة من وقتهم مضطرين لأن يتركوا للكسالى أو للخطباء المحترفين

أمر عرض الحرب على ضمير البلاد والعالم وخيالهما عن طريق الخطب والأشعار والبيانات واللوحات الاعلانية والمقالات الصحفية ، وقد كان لى حظ الاستماع الى بعض من أمهر قوادنا وهم يتحدثون عن عملهم ، كما شاركت الجمهور العادى فى قراءة بيانات عن هذه الأعمال نشرتها الصحف فى أنحاء العالم ، ولم يكن هناك أى تشابه بين التجربتين ، ولكن فى النهاية استطاع القوالون أن يتغلبوا على الفعالين البسطاء ، وذلك لأنه على الرغم من أن الفعالين العظماء هم دائما مقتدرون فى الخطابة ، وغالبا مجيدون فى الكتابة ، ولذلك لا يتركون لغيرهم مهمة التعبير عن آرائهم ، فان الرجل الفعال العادى كالمحارب العادى بالحربة لا يستطيع أن يعبر عن نفسه بالكلمات حتى ولو بينه وبين نفسه ، وهو عرضة لأن يلتقط ويتقبل ما يقرأ عن نفسه وعن غيره من الناس فى الصحف ، الا اذا تورط الكاتب فى الكتابة عن الأمور الفنية ، فلم يكن غريبا أثناء الحرب أن تسمع جنديا أو مدنيا مشتغلا بالأعمال الحربية وهو يصف الحوادث فى نطاق تجربته وصفا يهبط بما ينشر فى الصحف اليومية من هذيان وتخبط الى مستوى السخافة الكاملة ، وهو مع ذلك يردد آراء هذه الصحيفة كالببغاء ، ولهذا لم يكن كافيا لكى تهرب من سيادة الخلط والحماقة

أن تلتمس صحبة الرجل الفعّال العادى بل كان يجب أن تتصل بالرؤساء الموجهين ، وهو امتياز لا يمكن أن يتمتع به الا قلة من الناس ، أما المواطن الذى ليس له هـذا الامتياز فلم يجد مهربا ، فكان يرى البلاد مجنونة عقيما بلهاء عاجزة لا أمل لها فى الفوز الا أن يكون العدو على مثل جنونها ، وكان التفكير الثابت الرصين وحده هو الذى يجعله يطمئن نفسه الى أنه لو لم يكن خلف هذه المظاهر المفزعة أرض صلبة لما أمكن أن تستمر هذه الحرب يوما واحدا دون أن ينهار نظامها انهيارا كاملا .

الانتخابات المجنونة

ما كان أسعد الحمقى والعاملين دون تفكير فى تلك الأيام ! وشر ما فى الأمر أن الحمقى كانوا ممثلين بنسبة كبيرة فى البرلمان ، فليس الحمقى فقط هم الذين ينتخبون الحمقى ، بل انهم يقنعون الفعالين بانتخابهم أيضا . ولعل الانتخابات التى تلت الهدنة مباشرة كانت أكثر الانتخابات جنونا على الاطلاق ، فقد هزم الجنود الذين قاموا متطوعين فى الميدان بأعمال بطولية ، وانتصر عليهم أشخاص من الواضح أنهم لم يخاطروا أية مخاطرة ولم يصرفوا مليما كان من الممكن أن يدخروه ، بل انهم

اضطروا أثنـاء الانتخابات أن يعتذروا علانية عن اتهامهم لمنافسيهم بكراهية الحروب والميل الى الألمان . فزعماء الأحزاب كانوا يبحثون عن مثل هؤلاء الأتباع الذين يمكن الوثوق دائما بأنهم سيأتمرون بأمر سوط [1] الحـزب فى دهاليز البرلمان ، بشرط أن يضمن لهم الزعيم البقاء فى مقاعدهم بالطريقة التى كان يطلق عليها فى اشارة ساخرة الى نظام التموين الذى اتبع أثناء الحرب « اعطاءهم الكوبون » . وقد حدثت حوادث أخرى مضحكة لا أستطيع أن أذكرها دون أن يتمكن القارىء من معرفة أصحابها ، ولن يكون ذلك من العدل فى شىء ، فان اللوم لا يقع عليهم أكثر مما يقع على الآلاف غيرهم ممن تضطرنا الضرورة الى عدم ذكر أسمائهم . وكانت النتيجة العامة عبثا واضحا ، حتى ان الناخبين ، وقد ضاقوا بما يفعلون ، ارتدوا عـلى الفور الى النقيض وأسـقطوا جميع مرشحى « الكوبون » فى أول انتخابات تكميلية بأغلبية لا تقل بلاهة عن السابقة ، ولكن الضرر الذى نتج عن الانتخابات العامة لم يكن من الممكن تجنبه ، فان الحكومة لم تكتف بالتظاهر باساءة استعمال انتصارها فى أوربا كما وعدت، بل انها أساءت

(١) العضو الموكل بالمحافظة على النظام بين أعضاء الحزب . (المراجع)

استعماله فعلا بتجويع الأعداء الذين ألقوا سلاحهم . وخلاصة القول أنها نجحت فى الانتخابات بأن تعهدت أن تكون مسرفة فى الشر والقسوة والحقد ، ولم تجد التخلص من تعهداتها هذه سهلا كسهولة التخلص من العهود الأكثر شرفا ولم نصل الى النهاية بعد وأنا أكتب هذه السطور ، ولكن من الواضح أن هذه الوحشية التى ارتكبها الحلفاء دون تفكير سترتد اليهم بشدة ، حتى أننا سنضطر تحت ضغط الحاجة الشديدة الى أن نقوم بنصيبنا فى تضميد الجروح المميتة التى أصبنا بها أوربا بدلا من محاولة اتمام خرابها .

الوحش الانسانى والقرد الغاضب

بتأمل هذه الصورة التى وصلت اليها البشرية أخيرا — والتى لا يمكن انكار حقيقتها — يمكننا أن نفهم لماذا قارن شكسبير الانسان بالقرد الغاضب ، ووصفه سويفت بأنه وحش انسانى تزرى به فضيلة الحصان ، وأعلن ولنجتون أن الانجليز لا يحسنون التصرف لا فى حالة النصر ولا فى حالة الهزيمة . ومع ذلك لم يرد أحد من هؤلاء الثلاثة حربا كالتى شهدناها . لقد لام شكسبير عظماء الرجال بقوله « لو استطاع عظماء الرجال أن يرعدوا كما يرعد جوبيتر لما هدأ جوبيتر أبدا ، فان كل

ضابط صغير يود لو يستعمل سماء چوپيتر من أجل الرعد ، ولا شيء غير الرعد » ، فماذا كان يقول شكسبير لو رأى شيئا يفوق الرعد تخريبا فى يد كل عامل زراعى ، ووجد على سفح سينا فوهات المدافع التسعة عشر التى تستطيع أن تطلقها لمسة اصبع قد تكون اصبع طفل دون أن يقل مقدار تخريبها مثقال ذرة ؟ لعل شكسبير رأى صاعقة من صواعق چوپيتر تنقض على كوخ فى ستراتفورد ، ولعله ساعد فى اخماد النار التى اشتعلت فى السقف وتنظيف المكان من بقايا المدخنة المحطمة ، فماذا كان يقول لو رأى ما حل بپيريس ، أو عاد الى ستراتفورد ، كما يعود الفلاحون الفرنسيون اليوم الى قراهم ، وقرأ علامة الطريق وقد كتب عليها « الى ستراتفورد — ميل واحد » ، ولا شيء فى نهاية الميل غير بعض حفر فى الأرض وشظية وعاء لمخض الزبد هنا وهناك ؟ ألا يعجز بيانه أمام منظر القرد الغاضب فى يده قوى التدمير التى لم يكن ليدعيها چوپيتر ؟

ومع ذلك فماذا يمكن أن يقال سوى أن الحرب ترهق الطبيعة البشرية حتى تهدم نصفها الخير وتجعل النصف الشرير فضيلة شيطانية ؟ وخير لنا لو تهدم النصفين جميعا ، لأن ذلك سيمد أمامنا طريق التخلص من متاعبنا بالحرب وسنحاول جاهدين ألا نقع فيها ، والحق انه « ليس من الصعب أن

تموت » كما قال بيرون ، ولكن من الصعب جدا أن تحيا . وهذا يوضح السبب فى أن السلام ليس خيرا من الحرب فقط بل هو فى الحقيقة أكثر مشقة . هل واجه أى بطل من أبطال الحرب خطر الموت الكريم بشجاعة أكبر من شجاعة الخائن بولو حين واجه يقينه المخزى؟ لقد علمنا بولو كيف نموت، ولكن هل علمنا كيف نعيش ؟ فما يمر الآن أسبوع الا ونرى أحد الجنود الذين واجهوا الموت ببسالة فى ميدان الحرب حتى أنعم عليه بوسام أو نوه به من أجل ذلك ، نراه وقد جر أمام القضاء لأنه فشل فى مقاومة أهون مغريات السلم ، ولا عذر لديه سوى هذا العذر القديم : « على المرء أن يعيش » . وعجيب أن رجلا يفضل أن يبيع شرفه فى سبيل زجاجة خمر ومشاهدة عرض تمثيلى وقضاء ساعة مع امرأة غريبة بتقديم شيك بدون رصيد ، على أن يعمل عملا شريفا ، هذا الرجل يعرض حياته المخطر المحقق فى ساحة القتال ! ألا يبدو ذلك كأنما عظمة الموت على الرغم من كل شىء أرخص من عظمة الحياة ؟ وان لم يكن الحصول عليها أسهل ، فلماذا يحصل عليها كثير من الرجال ؟ على كل حال يبدو أن مملكة أمير السلام لم تصبح بعد مملكة هذا العالم ، فقد كانت محاولات الغزو التى قام بها تقاوم بعنف أكثر من محاولات القيصر ، ومع نجاح هذه

المقاومة فقد تراكم علينا نوع من « القرض الوطنى » لا يقلل من فداحته أننا لا نعرف له أرقاما ولا ننوى له سدادا . فان حصارا يمنع عنا رحمة الله هو فى المدى الطويل أصعب احتمالا من أنواع الحصار التى لا تمنع عنا الا المواد الخام ، وأمام ذلك الحصار يقف أسطولنا عاجزا . وقد أكد لنا المحاصر أن فى بيته منازل كثيرة ولكن أخشى ألا يكون من بينها منزل القلوب المحطمة ولا حظيرة الجياد .

لعنة الله على بيتيكم كليهما

وفى الوقت نفسه كانت معاول البلشفيين وقذائفهم تعمل فى أسس البنائين ، ومع أن البلشفيين قد يدفنون تحت الأنقاض الا أن موتهم ما كان لينقذ هذه الأبنية الفخمة ، ولكنها لسوء الحظ يمكن أن تبنى ثانية مثلها فى ذلك مثل « قصر الشك » فقد خرب عدة مرات بأيدى « القلوب الكبيرة » المتعاقبة ، ولكنه كان يبنى ثانية بأيدى « السذاجة » و « الكسل » و « الوقاحة » و « ضعف العقل » و « الجبن » وغير ذلك من المحلفين فى « سوق الخيلاء » [1] ، ويكفى جيل جديد من

(١) اشارة الى بعض الأمكنة والشخصيات الرمزية فى القصة الخيالية « رحلة الحاج » للكاتب الانجليزى جون بنيان (١٦٢٨ ـ ٨٨) . (المراجع)

خريجى المدارس الثانوية الخاصة والمؤسسات التى تقلدها بمصروفات أقل ، يكفى هذا الجيل ليبقى البناءين قائمين الى الحرب التالية .

انى أترك هذه الصفحات سجلا للحالة التى كانت عليها الحياة المدنية أثناء الحرب ، حتى يفيد منها ذلك الجيل ، فان التاريخ عادة لا يذكر هذه الأمور . ومن حسن الحظ أنهـا كانت حربا قصيرة جدا . حقا ان هؤلاء الذين كانوا يظنونها لا تستمر أكثر من ستة أشهر قد كذبتهم الحوادث تكذيبا واضحا ، فان كل ووترلو فى هذه الحرب كانت تدوم أشهرا بدلا من ساعات كما أشار سير دوجلاس هيج ، ولكن لم يكن لأحد أن يتعجب لو أنها استمرت ثلاثين عاما ، ولولا حقيقة أن الحصار نجح نجاحا مدهشا فى تجويع أوربا ، الشىء الذى ما كان ليحدث لو أنها أعدت نفسها للحرب وللسلم معا ، لولا هذا لاستمرت الحرب الى أن يتعب منها المحاربون بحيث لا يمكن ارغامهم على ارغام أنفسهم على الاستمرار فيهـا ، ولو نظرنا الى جسامة حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ لعددناها دون شك أقصر حرب فى التاريخ ، وقد جاءت النهـاية فجأة حتى ان المتقاتلين تعثروا فيها ، ومع ذلك فقد انتهت بعد عام كامل من الموعد الذى كان يجب أن تنتهى فيه لولا أن المحاربين كانوا

يخشون أن يواجهوا الموقف بفطنة وصراحة ، ان ألمانيا التى فشلت فى الاتفاق على الحرب التى بدأتها فشلت مرة أخرى فى التسليم قبل أن تنهك قواها انهاكا خطيرا ، كما أن خصومها ، وهم مثلها فى عدم التبصر ، أصبحوا على وشك الافلاس كما أصبحت ألمانيا على وشك الموت جوعا ، لقد كانت خدعة وقع فيها كلاهما ، وكما هى العادة فى سخرية الحرب لا يزال من المشكوك فيه أن تصبح ألمانيا وروسيا المهزومتان هما المنتصرتين ، لأن المنتصرين بدءوا فعلا يقيدون أنفسهم بالسلاسل التى كسروها من أطراف المنهزمين .

كيف سارت أحوال المسرح

فلنكره أنفسنا على تحويل أنظارنا من مسرح الحرب الأوربية الى المسرح الذى تدور فيه معارك صورية ، والذى يقوم فيه القتيل بعد نزول الستار مباشرة ليذهب الى بيته ويتناول عشاءه فى راحة بعد أن يكون قد غسل جروحه القرمزية . لقد مر ما يقرب من عشرين عاما منذ اضطررت لآخر مرة الى طبع احدى مسرحياتى لانعدام الفرصة لعرضها على المسرح فى صورة لائقة ، وقد اضطرتنى الحرب الى العودة الى هذه الوسيلة ، فلم تعرض مسرحية منزل القلوب المحطمة بعد

على المسرح ، وقد احتجزتها لأن الحرب قلبت الظروف الاقتصادية التى كانت تمكن المسرحيات الجادة من قبل من شق طريقها فى لندن ، ولم يكن هذا التغيير راجعا الى المسارح أو ادارتها أو المؤلفين والممثلين بل الى الجمهور ، فقد ظلت مسارح لندن تزدحم كل ليلة طوال أربع سنوات بآلاف من الجنود الذين حصلوا على اجازات من مواقعهم فى الجبهة ، ولم يكن هؤلاء الجنود هم رواد المسرح العاديين فى لندن . لقد حدثت لى حادثة وأنا طفل وضحت لى مفتاح حالتهم ، فقد صحبنى أهلى الى الأوپرا ، ولم أكن أعرف حينذاك ما هى الأوپرا ، وان كان فى استطاعتى أن أصفر بفمى عددا كبيرا من ألحانها ، وكنت أرى فى ألبوم والدتى صورا لكل كبار المغنين فى الأوپرا ، ومعظمهم بملابس السهرة ، فلما ذهبت الى المسرح وجدت نفسى أجلس أمام شرفة مذهبة يشغلها أشخاص فى ملابس السهرة ، فدار بخلدى أنهم مغنو الأوپرا ، واخترت امرأة ضخمة سوداء الشعر حسبتها ألبونى ، وكنت أتساءل متى تقف وتغنى ، وقد حيرنى أننى أجلس موليا ظهرى لهؤلاء المغنين بدلا من أن أواجههم ، وعندما رفعت الستار كانت دهشتى وسرورى لا حد لهما .

وفى سنة ١٩١٥ رأيت فى المسارح رجالا بالملابس العسكرية فى نفس الورطة التى كنت فيها ، وكان كل من يعرف مفتـاح حالتهم العقلية مثلى يرى بوضوح أنهم لم يشهدوا المسرح قط من قبل ، ولا كانوا يعرفون ما هو ، وقد حدث مرة أن جلست فى أحد مسارح الاستعراضات الكبيرة بجوار ضابط شاب ليس على الاطلاق من ذلك النوع الخشن ؛ وعلى الرغم من ارتفاع الستار الذى أوضح له أين يجب أن ينظر ليرى العرض فان الجزء التمثيلى منه لم يكن مفهوما له على الاطلاق ، ولم يكن يعرف كيف يقوم بدوره فى هذه اللعبة ، لقد كان يفهم أن يقوم القوم على المسرح بالغناء أو الرقص أو أداء الحركات الرياضية البارعة ، أما ذلك الغناء الذى كان يقلد الديوك فى صياحها والخنازير فى قباعها فانه لم يفهمه فحسب بل تمتع بما يقدمه متعة هائلة ، ولكن ما حيره حقا هو هؤلاء الذين كانوا يتظاهرون بأنهم أشخاص آخرون ، وأن الصورة الملونة خلفهم شىء حقيقى ، وقد أدركت فى وجوده كيف يظل الرجل العادى مضللا قبل أن يستطيع قبول مواضعات المسرح بسهولة أو فهم غرض التمثيلية بوضوح .

ومنذ اللحظة التى تقرر فيها نظام اجازات الجنود ، كانت

المسارح تكتظ الى آخرها بهؤلاء المبتدئين تصحبهم آنسات بريئات مثلهم (كان يطلق عليهن اسم البطات الصغيرات) ، وكان من الصعوبة بمكان فى أول الأمر أن تجد مادة سخيفة تكفى لارضائهم ، فكان خيرة الممثلين الفكاهيين فى المسارح الاستعراضية ينقبون فى ذاكرتهم عن الفكاهات القديمة والغرائب التى تضحك الأطفال حتى لا يتعبوا المتفرجين من الجنود ، وانى لأعتقد أن ذلك كان خطأ فى حق المبتدئين ، فقد كان من الممكن أن يألفوا تماما مسرحيات شكسبير أو المسرحيات التاريخية « لجورج بارنويل » و « ماريا مارتن » و « حلاق شارع فليت الشيطان » . ومع ذلك فقد كان المبتدئون أقلية ، وكان الجندى المثقف - الذى لم يكن يرضى فى زمن السلم بأقل من مشاهدة المسرحيات الممتازة التى ظهرت بعد ابسن ، فى أبدع اخراج فنى — يجد نفسه لدهشته يتعطش الى سماع النكات السخيفة ومشاهدة الرقص والاستعراضات الحسية الغبية من الفتيات الجميلات ، وقد أخبرنى أحد مؤلفى المسرحيات الجادة العابسة فى عصرنا أنه بعد أن صبر على حياة الخنادق عدة أشهر دون أن يلمح أنثى من نوعه كان يستلىء بلذة بريئة ولكنها مبهجة لمجرد رؤيته احدى البطات الصغيرات . لقد وجد رد الفعل الناتج عن ساحات القتال نوعا من الاحساس

العصبى الزائد الذى غير كل القيم المسرحية ، فاكتسبت الأشياء التافهة قوة والأشياء القديمة جدة ، وأصبح الممثل بدلا من أن يحاول ملاطفة الجمهور لاخراجه من حالة الملل التى دفعته الى ارتياد المسرح وهو ضيق الصدر ليلتمس نوعا من التسلية ، أصبح وليس عليه الا أن يستغل سعادة رجال مبتسمين استراحوا من القتال وقيود النظام العسكرى ، وأصبحوا الآن فى حالة من النظافة والراحة ومزاج يجعلهم مستعدين لأن يسروا من أى شىء وكل شىء يقدمه لهم سرب من الفتيات الجميلات ورجل مضحك ، أو حتى سرب من اللائى يدعين الجمال ورجل يحاول أن يكون مضحكا .

وهكذا أصبح من الممكن مشاهدة المسرحيات الهزلية القديمة كل ليلة على المسارح . تلك المسرحيات التى يكون فيها المنظر عبارة عن غرفة نوم ذات أربعة أبواب ونافذة فى الوسط ، ويكون مفهوما أنها تشبه تماما حجرتى النوم فى الشقة التى فوقها والشقة التى تحتها ، وكل من هذه الشقق الثلاث يسكنها زوجان تأكلهما الغيرة ، وعندما كان هؤلاء القوم يعودون الى منازلهم فى الليل سكارى يخطىء كل منهم الطابق الذى يسكنه ومن ثم ينام فى فراش غير فراشه ؛ لم يكن المبتدئون فقط هم الذين يجدون فى الارتباكات والفضائح التى تنتج عن ذلك

براعة وتسلية رائعة ، ولا البطات الصغيرات الساذجات مثلهم اللائى لا يستطعن منع أنفسهن من الصراخ بطريقة تدهش الممثلين القدامى عندما يتظاهر الممثل الذى دخل خطأ من النافذة وهو سكران بخلع ملابسه وهو بين الحين والحين يسمح بأن تظهر أجزاء من جسده العارى ، بل ان الرجال الذين قرأوا منذ مدة وجيزة خبر موت تشارلس ويندهام وتذكروا فى حزن مسرحيته « العباءات الحمراء » وما تلاها فى أوج عظمته من سيل المسرحيات الهزلية الى أن أصبحت كل حيله قديمة تبعث على الاشمئزاز بدلا من الضحك ، هؤلاء الرجال المحنكون أيضا كانوا اذا عادوا من ساحة القتال يسرون كثيرا مما يعرفون أنه بال وسخيف بالضبط قدر ما يسر المبتدئون بما يظنونه جديدا وبارعا .

التجارة فى المسرح

لقد قال ويلنجتون ان الجيش يتقدم بمقدار ما يحس أفراده من شبع ، وهذا القول ينطبق على المسرح فى لندن ، اذ يجب على الرجل أن يأكل قبل أن يمثل وأن يدفع ايجار مسكنه قبل أن يعرض فنه على المسرح ، وليس فى لندن مسارح مقامة لصالح الشعب فانها كلها منشأة لغرض واحد هو أن تقدم

لمالكها أكبر دخل ممكن ، فان كانت الشقق المتشابهة والأسرة المتشابهة تدر دخلا أكثر من مسرحيات شكسبير بجنيه واحد فليذهب شكسبير ولتأت مسرحيات الشقق المتشابهة والأسرة المتشابهة ، وان كان سرب الفتيات الجميلات الغبيات والرجل المضحك يدران دخلا أكثر من موزارت فليذهب موزارت .

شكسبيرنا

وكانت قد بدأت محاولة لعلاج ذلك قبل الحرب بانشاء مسرح قومى احتفالا بسرور ثلاثمائة سنة على موت شكسبير ، وتألفت لجنة انضم اليها كأعضاء شرف كل الشخصيات المشهورة والشخصيات ذات النفوذ للاهتمام بثقافتنا القومية ، وكانت مسرحيتى « سيدة الأغانى السمراء » مثلا من أمثلة هذه الدعوة ، وبعد بضعة أعوام من الجهاد حصلنا على هبة كبيرة واحدة من أحد السادة الألمان . وكما فعل اللعّان المشهور فى حكاية العربة التى كانت تحمل كل أثاثه فسقط غطاؤها الخلفى عند قمة التل فتدحرج كل ما فيها وتحطم عند السفح ، لا أستطيع الا أن أقول : « هذا موقف لا يمكننى أن أوفيه حقه » ثم أترك الأمر كله بلا كلمة أخرى .

اختفاء المسرحيات الراقية

يمكننا الآن تصور تأثير الحرب على مسارح لندن ، فالأسرة وأسراب الفتيات أبعدت عنها كل أنواع المسرحيات الراقية ، وقد ارتفعت الايجارات ارتفاعا لم يسبق له مثيل وتضاعفت الأثمان فى كل مكان ما عدا شباك التذاكر ، وزادت نفقات الاخراج الى حد جعل من العسير الحصول على أى ربح الا اذا كان المسرح مستغلا عن آخره كل ليلة ، بل ان مجرد الحصول على ما يكفى لسداد الالتزامات كان يحتاج الى شعبية واسعة . أما ما جعل المسرحية الجادة ممكنة الى حد ما قبل الحرب فهو أنها كان يمكن أن تغطى نفقاتها اذا امتلأ المسرح ولو الى نصفه فيما عدا يوم السبت والى ثلاثة أرباعه يوم السبت . وكان المنتج المتحمس الذى يفنى نفسه فى العمل الجاد والذى تعرض له منحة مالية لمساعدته من مليونير ميال الى الفن ثم تقابله نسبة لائقةمن هذه الحوادث السعيدة النادرة التى تكون فيها المسرحيات الجادة فى نفس الوقت مسرحيات رابحة ، كان مثل هذا المنتج يستطيع الصمود عدة سنوات قد يظهر خلالها متحمس آخر يحل محل الأول ، ولهذا لا لسبب آخر حدث ذلك الانتعاش العجيب فى المسرحية البريطانية فى أوائل هذا القرن ، مما أمكن معه أن أعيش فى انجلترا على

الكتابة للمسرح ، أما فى أمريكا فانى كنت قد وطدت مركزى ، لا كجزء من الجهاز المسرحى العادى ، ولكن بالاشتراك مع عبقرية ريتشارد مانسفيلد [1] الفذة . ولم أجد صعوبة فى ألمانيا والنمسا لأن نظام الاعانات التى كانت تقدم للمسارح العامة من القصر أو المجالس البلدية حافظ على حياة نوع المسرحيات التى أكتبها . ولذلك كنت مدينا لامبراطور النمسا بفخامة اخراج مسرحياتى حينما كانت اللغة الرسمية الوحيدة من القصر البريطانى هى اعلان لكل المتكلمين بالانجليزية أن بعض مسرحياتى غير صالحة للتمثيل أمام الجمهور . على أنه كانت ثمة مقاصة كبيرة ايذا الاعلان فى أن القصر البريطانى فى تردده على دور التمثيل لم يهتم بالصفة السيئة التى خلعها علىّ كبير أمنائه .

ومع ذلك فان ثبات مسرحياتى على مسارح لندن ، وما تلاها من مسرحيات جرانفيل باركر وجلبرت موري وچون مانسفيلد وسانت چون هانكين ولورنس هاوسمان وأرنولد بينيت وچون جالزورثى وچون درينكووتر وغيرها من المسرحيات التى كانت

---

(١) رينشارد مانسفيلد (١٨٥٤ ـ ١٩٠٧) ممثل أمريكى ولد فى ألمانيا لأبوين انجليزيين . كان مهتما بتفسير المسرح المعاصر ، ومن أوائل من قدموا برنارد شو للمسرح الأمريكى (المراجع)

فرصة ظهورها على المسرح فى القرن التاسع عشر أقل من ظهور محاورات أفلاطون ، دع عنك بعث مسرحيات أثينا القديمة واعادة عرض مسرحيات شكسبير كما كتبها ، كل ذلك جعل من الممكن أن تعيش المسارح على دخل الشباك فقط ، فقد كان هذا الدخل يغل ضعف ما يصرف على الايجار والاعداد والعرض . ففى مثل هذه المسارح التى تتجه الى قلة نسبية من المثقفين ولا تستطيع من ثمة أن تجذب أكثر من نصف أو ثلاثة أرباع الجمهور الذى تجذبه الملاهى الرخيصة ، كان يمكن أن تعيش على أيدى شبان مغامرين لا يدفعهم الا حب المسرح ، ولا يضطرهم كبر السن وازدياد المسئوليات الى الاهتمام الشديد بالقيمة التجارية لوقتهم ومجهودهم . ولكن الحرب نسفت هذا الأساس بالطريقة التى بينتها ، وكانت التكاليف التى تصرف على أرخص مسرح فى الوست اند يزيد بمقدار الربع على أكبر مبلغ يمكن أن تحصله المسرحية الراقية ، طبقا للواقع الثابت . وهكذا أصبحت المسرحية الراقية التى لم تكن فى يوم من الأيام عملا تجاريا ناجحا ، أصبحت عملا تجاريا مستحيلا . وبناء على ذلك بذلت محاولات لايجاد ملجأ لها فى مسارح ضواحى لندن ومسارح الأقاليم التى تقدم مسرحيات منتخبة . ولكن فى اللحظة التى سرح فيها الجيش

البقية الباقية من الرعيل الأول المجيد من المسرحيين الذين ابتلعهم من قبل ، اذا بهم يجدون أن الظروف الاقتصادية التى كانت أولا سببا فى زعزعة عمدهم فحسب جعلته الآن مستحيلا ما دام ميدانه هو حى الوست اند فى لندن .

الكنيسة والمسرح

لا أظن أن كثيرا من الناس لهم اهتمامات خاصة ، فما نشئنا لنهتم ، ولبس الاحساس بالأهمية القومية للمسرح فطريا فى الجنس البشرى ، فالرجل الطبيعى — كعدد كبير من الجنود فى بداية الحرب — لم يكن يعرف ما المسرح ، ولكنى أرجو أن تلاحظ أن هؤلاء الجنود الذين لم يعرفوا ما هو المسرح كانوا يعرفون ما هى الكنيسة ، وقد لقنوا أن يحترموا الكنائس ، ولم يحذرهم أحد من الكنيسة أنها مكان تستعرض فيه الطائشات من النساء أنفسهن فى أبهى الملابس ، وتقرأ بصوت عال قصص النساء الخاطئات كزوجة بوطيفار والشعر الغزلى كنشيد الأنشاد ، وتستحب موسيقى شوبير ومندلسون وجونود وبرامز الحسية والعاطفية أكثر من الموسيقى الجادة التى وضعها موسيقيون أعظم شأنا ، وتثير الخيال والحواس أجمل أنواع الصور لأجمل القديسات من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون ، ويساعد فنا النحت والعمارة فن التصوير .

ولم يذكرهم أحد بأن هذه الأشياء سببت فى بعض الأحايين أشكالا من النحل الوثنية الغرامية ، حتى ان رجالا لم يكونوا هواة متحمسين فحسب للأدب والرسم والموسيقى بل فنانين مشهورين فيما قد ابتهجوا فعلا عندما كان الغوغاء بل والجيوش النظامية المنفـذة لأوامر صريحة يشوهون تماثيل الكنيسة ويهشمون نوافذها ويحطمون آلات الأرغن ويمزقون الأوراق التى كانت تقرأ منهـا موسيقى الكنيسة وتغنى . وكانوا اذا رأوا التماثيل المحطمة فى الكنائس قيل لهم ان هذا من عمـل المشاغبين الأشرار من الكفرة بدلا من أن تقال لهم الحقيقة وهى أن بعضه من عمـل متعصبين مصرين على طرد الدنيا والجسد والشيطان من المعبد ، وبعضه الآخر من عمل متمردين أصبحوا فقراء فقرا لا يحتمل لأن المعبد أصبح كهف لصوص . ولكن كل الآثام والانحرافات التى أخفيت عنهم بعناية من تاريخ الكنيسة قد ألقيت على أكتاف المسرح ، هـذا المكان الخانق غير المريح الذى نكفر فيه عن سيئاتنا ونعانى أشـد الحرج عندما نظفر بأقل فرصة للحصول على مضغة طعام لأرواحنا الجائعة . لقد تجاوب العالم كله بصيحات الاستفظاع لانتهاك حرمة المعابد عندما ألقى الألمان قنابلهم على كتدرائية ريمس ، ولكن الصحف لم تذكر شيئا مما حدث عندما ضربوا

« المسرح الصغير » فى أدلفى بالقنابل ، وكادوا يقتلون كاتبين مسرحيين كانا يعيشان على بعد ياردات قليلة من المسرح ، ولو نظرنا الى متعة الحواس لما وجدنا أى مسرح يبلغ مستوى هيكل ريس ، ولا أية ممثلة تبلغ جمال العذراء فى هذا الهيكل ، ولن يكون أى تينور فى الأوبرا الا غبيا اذا قورن بداودها ، وقد كانت صورها الزجاجية رائعة حتى لأولئك الذين شاهدوا زجاج شارتر [1] . لقد كانت رائعة حتى فى صورها القبيحة ، والا فمن ينظر الى صورة « حمار بلوندين » بعد أن يرى صورة حوتها الكبير ؟ وعلى الرغم من زخاف أدلفى الآدمية التى أغدقت عليها مس كنجستون من ذوقها وعنايتها ، فان « المسرح الصغير » اذا قورن بريمس يبدو أكثر الزوايا قتامة لجماعة صغيرة من المنشقين على الكنيسة ، والحق أن الكتدرائية من وجهة نظر المتطهرين يجب أن تكون قد أغوت مليون شهوانى مقابل كل واحد جعله « المسرح الصغير » يذهب الى فراشه الطاهر مفكرا بعد أن يرى مسرحية « سحر» لتشسترتون أو « الغارمين » لبريو ، ولعل هذا هو السبب الحقيقى لتمجيد الكنيسة وسب المسرح ، ومهما كان

(١) بلد فى فرنسا على بعد ٩٦ كيلو متر الى الجنوب الغربى من باريس ، مشهورة بكتدرائيه القديمة التى تحتوى على آثار فنية رائعة من الزجاج الملون . (المراجع)

الأمر فالثابت أن السيدةالتى أدين لحبها للخدمة العامة وادراكها للقيمة القومية للمسرح بأول عرض منتظم لاحدى مسرحياتى قد أخفت عملها هذا وكأنه جريمة ، فى حين أنها لو أعطت هذا المال للكنيسة لأحاطوها بهالة من أجل ذلك . وانى لأسلم كما فعلت دائما بأن هذه الحالة التى تجرى عليها الأمور حالة معقولة جدا ، فقد طالما سألت اللندنيين لماذا يدفعون نصف جنيه لدخول المسرح فى الوقت الذى يستطيعون فيه الذهاب الى كنيسة سانت پول أو وستمنستر أبى بدون مقابل، فما كانوا يجدون جوابا الا أنهم انما يذهبون الى المسرح لرؤية شىء جديد ، ولعله أن يكون سيئا خبيثا ، ولكن المسارح غالبا ما تخيب رجاءهم فى الأمرين . ولو أن ثورة جعلت منى دكتاتورا لفرضت رسما كبيرا لدخول كنائسنا ، على أن يتسلم كل من يدفع عند باب الكنيسة تذكرة تخول له أولها الحق فى الدخول بالمجان لمشاهدة عرض مسرحى فى أى مسرح يفضله أو تفضله ، وبذلك تؤدى المباهج الحسيه للصلاة الكنسية اعانة مالية لفضيلة التمثيل الأشد صرامة .

الطور المقبل

لن يدوم الموقف الحاضر . وعلى الرغم من أن الصحيفة التى كنت أقرأها على مائدة الافطار هذا الصباح قبل أن أكتب

هذه الكلمات تحوى احصاء يدل على أنه ليس أقل من ثلاث وعشرين حربا تشن فى الوقت الحاضر لتثبيت السلام ، فان انجلترا لم تعد فى حالة حرب . وقد حدث رد فعل قوى للغذاء المسرحى الفج الذى استمر أربع سنوات مخيفة ، وسرعان ما تحدد ايجارات المسارح على أساس أنها لا يمكن أن تمتلىء دائما ، بل ولا أن يمتلىء نصفها من أسبوع لآخر فى المتوسط ، وستتغير الأسعار ، ولن تكون خسارة المسرحيات الراقية أكثر منها قبل الحرب ؛ بل لعلها ستفيد أولا من أن الكثيرين منا قد انتزعوا من جنة البلهاء التى كان يتجر فيها المسرح من قبل ، واصطدموا بأقسى الحقائق والضرورات حتى فقدنا الايمان والصبر على الادعاءات المسرحية التى لا أساس لها من الحقيقة أو الضرورة ، وثانيا من التغيير المذهل الذى أحدثته الحرب فى توزيع الدخل . فلم يبعد بنا العهد مذ كان المليونير هو ذلك الذى يحصل على دخل سنوى قدره خمسون ألف جنيه ، أما اليوم — وهو يدفع ضريبة الدخل والضريبة التصاعدية وقسط التأمين على حياته لمصاريف الجنازة — فانه يكون محظوظا ان بقى له من دخله عشرة آلاف جنيه مع العلم بأن أملاكه الاسمية بقيت كما هى . وكان ذلك كله نتيجة ميزانية « استراحة للأغنياء » . وفى الكفة الأخرى من الميزان نجد

ملايين من الأشخاص حصلوا لأول مرة فى حياتهم على دخل ثابت ، ولأول مرة فى حياتهم أيضا تعود رجالهم أن يلبسوا ويأكلوا ويسكنوا ويتعلموا التصميم على ضرورة عمل بعض الأشياء . وقد أطلقت مئات الألوف من النساء من أقفاصهن المنزلية وتذوقن النظام والاستقلال جميعا ، وتنبهت الطبقات المتوسطة الطائشة المتصنعة للوجاهة بفضل ما عانته من خراب محزن لم يسبق له مثيل . لقد أصابتنا جميعا هزة هائلة ، وعلى الرغم من أن الفكرة السائدة ان صدمة الحرب ستكون نتيجتها الحتمية أرضا جديدة وسماء جديدة وأن الكلب لن يرجع فى قيئه والخنزيرة لن تعود الى التمرغ فى الطين ، على الرغم من أن هذه الفكرة قد ظهر ضلالها ، فقد أصبحنا أكثر احساسا بحالتنا مما كنا وأقل ميلا الى الخضوع لها . ان الثورة التى لم تكن الى وقت قريب الا فصلا مثيرا من فصول التاريخ أو دعوى ديماجوجية قد أصبحت الآن امكانية قريبة ، بحيث لا تكاد حكومتنا تستطيع تجنبها فى الداخل الا بمحاولة قمعها فى الخارج بقوة السلاح والتشهير ، مسمية هذه العملية مكافحة الشيوعية .

ولعل الرئيس الأمريكى الذى كان يوما ما مؤرخا هو

الشخصية التى تمثل قمة المأساة فى أيامنا هذه [1] ، فقد أصبحت مهمته فى تلك الأيام أن يبين لنا كيف أن المنتصرين الذين ووجهوا بمهمة بطولية وهى مهمة اعادة البناء بعد تلك الحرب العظيمة فى أمريكا ، والتى يبدو واضحا أكثر من أية حرب أخرى أنها قامت لتحقيق فكرة ، قد انقلبوا على أعقابهم فقضوا خمسة عشر عاما يسيئون استعمال هذا النصر متظاهرين بأنهم يتممون المهمة التى كانوا يعملون كل ما فى وسعهم لجعلها مستحيلة . يالأسف ! لقد صدق هيجل حينما قال اننا نتعلم من التاريخ أن الانسان لم يتعلم من التاريخ أى شىء . فبأى عذاب عقلى يرانا رئيس الولايات المتحدة — نحن المنتصرين الجدد — وقد نسينا كل ما ادعينا أننا نحارب من أجله ، وجلسنا وقد سال لعابنا نتناول وجبة كاملة لعشر سنوات من الانتقام والاذلال لعدونا الذى خر على وجهه ! هذا ما لا يستطيع أن يتخيله الا أولئك الذين يعرفون كما يعرف كم أن التوبيخ لا يغنى ، وكم كان انكولن سعيدا اذ مات قبل أن تصبح رسائله الملهمة قصاصات ورق . انه يعلم جيدا أنه

(١) بدأ وودرو ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢١ حياته العملية أستاذا للتاريخ والاقتصاد السياسى (المراجع)

مهما يبذل من جهد فلن يصدر عن مؤتمر الصلح قرار يمكنه أن يهيب فيه — كما أهاب لنكولن « بحكم البشر المنصف ، ورحمة القدير الواسعة » . لقد قاد شعبه ليحطم الروح الحربية فى زابيرن [1] وها هو ذا الجيش الذى هبوا لنجدته مشغول فى كولونيا بسجن كل ألمانى لا يحيى ضابطا بريطانيا ، بينما الحكومة فى أرض الوطن وقد سئلت ان كانت توافق على ذلك تجيب بأنها لا ترى وقف هذه الزابيرنية حتى بعد عقد الصلح ، بل انها لتتطلع الى جعل الألمان يحيون الضباط البريطانيين حتى نهاية العالم . هذا ما تفعله الحرب بالرجال والنساء . وسيزول ذلك ويثبت أن شر ما يهدد به لا يمكن أن يبقى عملا . ولكننا أنا ورئيس الولايات المتحدة — فنحن متساويان فى العمر — سنغدو شيوخا قبل أن ينتهى احتقار القلب المتواضع التائب وسيكون أمامه — فى الوقت نفسه — تاريخ آخر ليكتبه ، وأمامى كوميدية أخرى لأكتبها ، ولعل الحرب — بعد هذا كله — لم تخلق الا لهذا ، ولعل المؤرخين والكتاب المسرحيين لم يخلقوا الا لهذا ، فاذا كان الناس يأبون أن يتعلموا الا بأن تكتب دروسهم بالدم ، فيجب أن يحصلوا على الدم ، والأفضل أن يكون دمهم .

(١) مدينة قرب ستراسبورج بالألزاس واللورين بفرنسا . (المترجم)

ولكن لا أهمية لذلك كله بالنسبة للمسرح ، فمهما يسقط من قلاع الباستيل فان المسرح باق ، لقد انهار عرش هابسبورج ذو الرسالة ، وانزوى هوهنزلرن العظيم فى هولندا مهددا بالمحاكمة بتهمة كبيرة وهى أنه حارب انجلترا من أجل وطنه ، وقيل ان القيصر رومانوف مات ميتة بائسة بقتلة أسرع ، ولعله حى أو لعله ميت ، فلا أحد يهتم بذلك الا كما يهتم الناس بحياة أو موت أحد الفلاحين ، وقد تساوى لورد هيلاس مع خدمه فى سويسرا الجمهورية ، وفقد رؤساء الوزارات والقواد أمجادهم القصيرة الأمد يوم كان كل منهم صولون أو فيصر وانتهوا الى الخيبة وخمول الذكر واحدا بعد الآخر وكأنهم سلالة بانكو ، ولكن يوروبيد وأريستوفان وشكسبير وموليير وجيتة وابسن ظلوا فى مقاعدهم الخالدة .

كيف تكلم الحرب الشاعر المسرحى

أما عن نفسى فقد يسأل سائل لماذا لم أكتب مسرحيتين عن الحرب بدلا من رسالتين ؟ والجواب عن ذلك ينطوى على معنى كبير . فانك لا تستطيع أن تشن الحرب على الحرب وعلى جارك فى نفس الوقت ، ولا تستطيع الحرب أن تنحل تقريع

الكوميديا العنيف ولا ضوء الضحك القاسى الذى يسطع على المسرح ، وعندما يموت الرجال ببطولة فى سبيل وطنهم فلن يكون من المناسب أن تبين لأحبائهم وزوجاتهم وآبائهم وأمهاتهم كيف أنهم يضحون فى سبيل أخطاء الأغبياء ، وجشع الرأسماليين ، وطموح الفاتحين ، وانتخابات الديماجوجيين ، ونفاق الوطنيين ، وفى سبيل الجشع والكذب والحقد والتعطش لسفك الدماء ؛ تلك الصفات التى تحب الحرب لأنها تفتح لها أبواب سجنها وتضعها على عروش القوة والشهرة . فانه مالم تفضح هذه الأشياء كلها دون رحمة فستختفى على المسرح تحت ستار المثل العليا ، تماما كما يحدث فى الحياة .

ومع أنه من الجائز أن تكون هناك أشياء أفضل يمكن الكشف عنها ؛ فانه قد لا يكون من الملائم من الناحية العسكرية أن نكشف عنها . بل من المؤكد أننا لا نستطيع الكشف عنها بينما القضية لا تزال معلقة . فقول الحق لا يتفق مع الدفاع عن المملكة . اننا نقرأ الآن اعترافات قادة الجيش والأسطول وقد رفعت الهدنة الكمامات من أفواههم ، لقد أخبرنا القائد « أ » أثناء الحرب فى رسائله المؤثرة من ميدان القتال كيف أن القائد « ب » اكتسى مجدا خالدا فى معركة كذا وكذا ، أما الآن فانه يخبرنا أن القائد « ب » كان على وشك أن يجلب

علينا الهزيمة لأنه خالف أوامره فى ذلك الوقت وحارب بدلا من أن ينسحب كما كان يجب أن يفعل . لا شك أن هـذا موضوع رائع لكوميديا بعد انتهاء الحرب ، ولكن ماذا يكون وقع هذه المعلومات على جنود القائد « ب » لو أن القائد « أ » أفشاها فى وقتها ؟ وماذا عسى أن يكون وقع الأمر على الأمة لو أن المسرح كشف عن رأى رئيس الوزراء ووزير الحربية الذى يرأس القائد « أ » فى هذا القائد ورأى القائد فيهما كما ظهر فى المناقشات الحامية التى دارت بينهم ؟ هذا هو السبب الذى يضطر الكوميديا الى أمانة الصمت على الرغم من الاغراء الشديد ؛ ففن الشاعر الدرامى لا يعرف الوطنية ، ولا يلتزم بشىء الا الصدق نحو التاريخ الطبيعى ، ولا يبالى ان كانت ألمانيا أو انجلترا هن التى تفنى ، وهو على استعداد لأن يصيح مع برينهيلد قائلا « فلنمت ، فلنهلك ونحن نضحك » مفضلا ذلك على أن يَخدع أو يُخدع . وهكذا يصبح فى زمن الحرب خطرا عسكريا أكبر من السم أو الصلب أو المتفجرات الشديدة ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أحبس « منزل القلوب المحطمة » عن خشبة المسرح أثناء الحرب ، فقد كان من الممكن أن يحول الألمان الفصل الأخير من المسرحية فى أية ليلة الى حقيقة جادة ، بل لا ينتظروا دورهم ليتكلموا .

يونية سنة ١٩١٩ **چورج برنارد شو**

الفصل الأول

حجرة بنيت على هيئة مؤخرة سفينة من طراز قديم عالى المؤخرة فى نهايتها دعليز مرتفع . يبدو من خلال نوافذها منظر ساحر لمنطقة التلال الواقعة وسط الحدود الشمالية لاقليم سسكس فى مساء لطيف من أواخر شهر سبتمبر . النوافذ خشبية ضخمة كأنها نوافذ سفينة ، وهى مقسمة بطول الحجرة قدر ما تسمح قوة احتمال الحائط . تحت النوافذ صف من الصناديق ذوات الأقفال تستعمل كمقاعد غير مفروشة ، يقطعها باب زجاجى مزدوج يقع نسبيا فى منتصف المسافة بين حافة المؤخرة والجدار . وثمة باب ثان ـ مبالغة فى التوهم ـ يبدو كأنه فى الجانب الأيسر من السفينة ، وهو مع ذلك لا يؤدى بنا الى البحر بل الى بهو فى مدخل البيت ، وبين هذا الباب والدعليز المرتفع رفوف من الكتب ، كما توجد مفاتيح الكهرباء بين الباب الموصل الى البهو والباب الزجاجى فى الدعليز المرتفع .

الى الجانب الأيمن منضدة نجار وقد ثبت فى المنجلة لوح من الخشب ، وعلى الأرض نثار من نشارة الخشب فاض عن سلة المهملات ، وعلى المنضدة فارتان لمسح الخشب ومنقب .

فى الجدار نفسه بين المنضدة والنوافذ فتحة ضيقة بها باب نصفى يمكن أن نلمح من فوقه الحجرة الداخلية وهى كيلار به رفوف صفت عليها الزجاجات وغيرها من لوازم المطبخ .

فى الجانب الأيمن قرب الوسط منضدة رسم بسيطة من البلوط ، عليها لوحة رسم ومسطرة حرف T ومساطر مستقيمة

ومثلثات وغير ذلك من أدوات العلوم الرياضية ، وأوان صغيرة للألوان المائية وقدح به ماء غير ملون وحبر شينى وأقلام وعدد من الفرش . وقد وضعت منضده الرسم بحيث تكون النافذة على يسار الجالس اليها .

على الأرض عند طرف المنضدة الأيمن دلو مما يستعمل فى السفن لاطفاء الحرائق .

فى الجانب الأيسر من الحجرة بالقرب من رفوف الكتب أريكة ظهرها الى النوافذ ، وهى مصنوعة من خشب الموجنة المتين وقد فرشت مع محدتها بقماش من قلوع السفن بطريقة شاذه وعلق على ظهرها دثاران .

بين الأريكة ومنضدة الرسم كرسى كبير من القش له مسندان عريضان وظهر منحفض مع ميل الى الخلف . وقد وضع بحيث يكون الضوء من خلفه .

بجوار الجدار الأيسر بين الباب ورفوف الكتب منضدة صغيرة ولكنها متينه مصنوعه من خشب الساج ، مستديرة السطح ذات قوائم يمكن طيها ، وهى الشيء الوحيد فى الحجرة الذى يوحى ايحاء ضعيفا بلمسة أنثوية فى ترتيب الأثاث .

أرضية الحجره المصنوعة من ألواح صيقة عارية من السجاد وهى مجلفطة ومغطاة بحجر الرخمة كأرضية السفن .

الحديقة التى يوصل اليها الباب الزجاجى تنحدر نحو الجنوب قبل أن يرتفع المنظر ثانية نحو التلال .

فى الفراغ ترتفع فى مرصد ، وبين المرصد والمنزل سارية علم فى ساحه صغيرة ، وعلى جانبها الأيمن أرجوحة للنوم من الشبك ، وعلى جانبها الأيسر مقعد طويل من مقاعد الحدائق .

على المقعد الملاصق للنافذة تجلس فتاة بكامل ملابسها : القفاز والقبعة والمعطف الواقى من الغبار ، وقد مالت بجسدها لتستطلع

مشاهدة المنظر ، مسنده ذقنها الى يدها بينما تدلى يدها الأخرى ممسكة مجلدا من طبعة « تمبل » لأعمال شكسبير واصبعها مدسوس على الصفحة التى كانت تقرأ فيها ·

تدق الساعة السادسة ·

تلتفت الفتاة وتنظر فى ساعتها ثم تقف كمن انتظر طويلا حتى كاد يفقد صبره · وهى فتاة جميلة شقراء هيفاء ذكية النظرات ، تلبس ملابس جميلة وان لم تكن غالية ، ومن الواضح أنها ليس من صنف الكسولات المتأنقات · تنهد فى تعب المستسلم ثم تسير نحو كرسى الرسم وتجلس وتبدأ فى قراءة شكسبير ، وسرعان ما يسقط الكتاب فى حجرها وتغمض عينيها ويغلبها النعاس ·

تدخل من الصالة خادمة عجوز تحمل صينية عليها ثلاث زجاجات مختومة من الروم . وتقطع الحجرة الى الكيلار دون أن تلحظ الفتاة ، فتضع الزجاجات على الرف وتملأ الصينية بزجاجات فارغة، وبينما هى فى طريق عودتها بالزجاجات يسقط الكتاب من الشابة فتستيقظ وتفزع الخادمة العجوز حتى تكاد تسقط الصينية ·

الخادمة : يالله ! (ترفع الشابة الكتاب من الأرض وتضعه على المنضدة) آسفة لأنى أيقظتك يا آنسة ، انى حقا آسفة ، ولكنى لم أرك من قبل ، ماذا تنتظرين هنا الآن ؟

الفتاة : أنتظر انسانا ما يبدو عليه أنه يعرف أنى مدعوة الى هنا .

الخادمة : أوه ، أنت مدعوة اذن ، ومع ذلك لم يستقبلك أحد ؟ يا للعجب ! يا للعجب !

الفتاة : جاء سيد عجوز وحشى النظرات ونظر من النافذة ثم سمعته يصيح : « أينها المربية ، هنا شابة صغيرة جميلة تنتظر فى مؤخرة السفينة ، اذهبى اليها واسأليها ماذا تريد » ؛ أأنت المربية ؟

الخادمة : نعم يا آنسة ، أنا المربية جينيس ، وذلك السيد هو القبطان شتوفر العجوز ، والد مسز هشاباى . لقد سمعت زئيره ولكنى ظننته لأمر آخر ، أحسب أن مسز هشاباى هى التى دعتك يا بطتى ؟

الفتاة : فهمت أن هذا ما فعلته ، ولكن أظن أنه خير لى فى الحقيقة أن أرحل .

المربية جينيس : أوه ، لا تفكرى فى ذلك يا آنسة ، ان كانت مسز هشاباى قد نسيت كل ما يتعلق بالدعوة ، فان رؤيتها اياك ستكون مفاجأة سارة لها ، أليس كذلك ؟

الفتاة : كانت مفاجأة لى غاية فى السوء عندما لم أجد أحدا ينتظرنى .

المربية جينيس : ستعتادين ذلك يا آنسة ، فهذا المنزل ملىء بالمفاجآت لمن لا يعرفون طريقة حياتنا .

القبطان شتوارت : (ينظر فجأة من الصالة ، وهو شيخ هرم ولكنه ما زال قويا ، ذو لحية ضخمة بيضاء ، يلبس سترة بحار قصيرة ويعلق فى رقبته صفارة) أيتها المربية ، على الدرجات الأمامية حقيبة سفر كبيرة وحقيبة يد يتعثر فيهما كل انسان ، وكذلك مضرب تنس ، أى شيطان تركها هناك ؟

الفتاة : أخشى أن أقول انها تخصنى .

القبطان : (يتقدم الى منضدة الرسم) أيتها المربية ، من هذه الفتاة المضللة سيئة الحظ ؟

المربية جينيس : انها — كما تقول يا سيدى — ضيفة مس هيسى.

القبطان : أو ليس لها صديق أو أبوان ليحذروها من دعوات ابنتى ؟ يا له من بيت عجيب وحق السماء، شابة صغيرة جميلة تدعى الى هنا ، فتترك حقائبها على درجات السلم ساعات طويلة ، وتترك هى نفسها فى مؤخرة السفينة وحيدة متعبة جائعة ، هذا حسن ضيافتنا ، وهذه أخلاقنا ، فلا حجرة أعدت ، ولا ماء ساخنا قدم ، ولا مضيفة ترحب

بها ، وعلى ضيفتنا أن تنام فى سقيفة الآلات وأن تغتسل فى برميل .

الربة جينيس : لا بأس الآن يا قبطان ، سأحضر للسيدة شايا ، وستكون حجرتها معدة قبل أن تفرغ من احتسائه (للفتاة) اخلعى قبعتك يابطتى وخذى راحتك (تتجه الى الباب المؤدى الى الصالة) .

القبطان : (أثناء مرورها به) بطتى ! أتظنين أيتها المرأة أنه ما دامت هذه السيدة الشابة قد أهينت وأهملت ، فمن حقك أن تخاطبيها كما تخاطبين طفلتىّ المسكينتين اللتين ربيتهما على الجهل بأوليات الآداب الاجتماعية ؟

الربه جينيس : لا تهتمى به يا عروستى (فى عدم مبالاة تامة تخرج الى الصالة فى طريقها الى المطبخ) .

القبطان : أتشرفيننى يا سيدتى بذكر اسمك ؟ (يجلس على كرسى القش الكبير) .

الفتاة : اسمى ايلى دَنْ .

القبطان : دن ! شخص اسمه دن عمل معى رئيسا للبحارة، وكان فى الأقل قرصانا فى الصين . وقد اشتغل

ممونا للسفن ببضاعة لا شك أنها مسروقة منى ؛ فلا ريب أنه أصبح غنيا ، أنت ابنته ؟

ايلى : (غاضبة) كلا ، لست ابنته بالطبع ، انى لأفخر بأنى أستطيع القول ان أبى وان لم يكن انسانا ناجحا فان أحدا لم يستطع أن يتقول عليه بكلمة، وانى لأعتقد أن أبى أفضل رجل عرفته فى حياتى.

القبطان : لابد أنه تغير تغيرا كبيرا ، هل وصل الى درجة التركيز السابعة ؟

ايلى : لست أفهم شيئا .

القبطان : ولكن كيف يستطيع ذلك وله بنت ؟ ان لى يا سيدتى ابنتين ، احداهما هزيون هشاباى التى وجهت اليك الدعوة ، والتى كلما نظمت هذا المنزل أشاعت فيه الاضطراب ، وكلما أردت الوصول الى درجة التركيز السابعة استضافت ضيوفا وتركت لى أمر العناية بهم (تعود المربية جينيس بصينية الشاى وتضعها على المنضدة الصغيرة) ولى ابنة ثانية ، وانى لأحمد الله لأنها فى مكان بعيد من الامبراطورية مع زوجها الأبله، كانت تعتقد وهى طفلة أن التمثال الذى على

رأس سفينتى « الباسلة » أجمل شىء على وجه الأرض ، وزوجها يشبه هذا التمثال ، فله نفس التعبير : جامد ولكنه جذاب . وقد تزوجتـــه ، ولن تضع قدمها فى هذا المنزل بعد الآن .

الربة جينيس : (تحمل المنضدة وعليها أدوات الشاى وتضعها بجانب ايلى) فى الحق انك لم تكن قط أكثر خطأ منك فى هذه المرة ، فهى فى انجلترا فى هذه اللحظة نفسها ، وقد أخبروك ثلاث مرات هذا الأسبوع أنها ستعود الى المنزل لتبقى عاما من أجل صحتها ، وكان الواجب أن تكون مسرورا غاية السرور لأنك ستـرى ابنتك بعد هـذه السنين الطويلة .

القبطان : لست مسرورا ، فالمدة الطبيعية لتعلق الحيوان الآدمى بذريته ست سنوات ، وقد أنجبت ابنتى أريادن وأنا فى السادسة والأربعين ، وقد بلغت الآن الثامنة والثمانين من عمرى ، فاذا جاءت فأنا لست موجودا ، واذا أرادت شيئا فلتأخذه ، واذا سألت عنى فأعلميها أننى أصبحت شـيخا هرما وأننى نسيتها نسيانا تاما .

الربة جينيس : ليس هذا بالحديث الذى يلقى على مسامع شابة صغيرة ؛ هيا يا بطتى ، اشربى قليلا من الشاى ولا تستمعى اليه . (تصب فنجانا من الشاى)

القبطان : (ينهض فى غضب) يا للسماء ، انهم يقدمون الى هذه الطفلة البريئة شايا هنديا من تلك النفاية التى يدبغون بها جلودهم الداخلية . (يمسك الفنجان والبراد ويصب ما فيهما فى الدلو الجلدى) .

ايلى : (تكاد تبكى) أوه ، أرجوك ، انى فى أشد حالات التعب ؛ وأى شىء يرضينى .

الربة جينيس : أود ، ماذا فعلت ؟! ان المسكينة على وشك الاغماء .

القبطان : سأقدم اليك بعض الشاى الذى أشرب منه ، ولا تلمسى هذه الكعكة التى ملأ الذباب منها بطنه ، فلا أحد هنا يأكل منها الا الكلاب (يختفى فى الكيلار) .

الربة جينيس : يا له من رجل ! يقال انه باع روحه للشيطان فى

زنجبار قبل أن يصبح قبطانا ، وكلما تقدم فى السن زاد يقينى بصحة ذلك .

صوت امرأة : (فى الصالة) هل فى المنزل أحـد ؟ هزيون ! « داده » ! بابا ! فليحضر أحد ليدخل حقائبى .

(يسمع طرق أشبه بطرق مطلة على حشب الجدران)

الربه جينيس : يا ربى ! انها مس آدى ، ليدى أتروود ، شقيقة مسز هشـاباى ، تلك التى كنت أتحـدث مع القبطان بشأنها (تصيح) سأحضر يا مس ، سأحضر (تنقل المنضدة الى مكانها بجوار الباب، وأثناء اسراعها الى الخارج تعترض طريقها ليدى أتروود التى تندفع الى الداخل فى هياج . هى شقراء جميلة جدا ، أنيقة جدا ، شديدة الاندفاع فى حديثها وحركاتها ، حتى أن الانطباع الأول لمن يراها أنها على شىء من البلاهة المضحكة ؛ ولكنه انطباع خاطىء) .

ليدى أتروود : أوه ، أهذه أنت يا دادة ؟ كيف حالك ؟ يبـدو كأنك لم تتقـدمى فى السن يوما واحـدا ، ألا يوجد أحد فى المنزل ؟ أين هزيون ؟ أليست

فى انتظارى ؟ أين الخدم ؟ حقائب مَن تلك التى على الدرج ؟ أين بابا ؟ أنيام كلهم ؟ (ترى ايلى) أوه ، أرجو المعذرة ، أظنك احدى بنات أختى (تتقدم منها وقد مدت ذراعيها) تعالى وقبلى خالتك يا عزيزتى .

ايلى : لست الا زائرة ، وحقائبى هى تلك التى على الدرج .

الربيه جينيس : سأذهب لاحضار بعض الشاى الطازج يابطتى (تحمل الصينية) .

ايلى : ولكن السيد العجوز قال انه سيعد الشاى بنفسه .

الربيه جينيس : أبعد الله عنك الشر ! لقد نسى الآن ما ذهب من أجله ، ان ذهنه يقفز من موضوع الى موضوع

ليدى أترووود : أظنك تعنين بابا ؟

الربيه جينيس : نعم يا آنسة .

ليدى أترووود : (بعنف) لا تكونى حمقاء يا دادة وتنادينى بالآنسة .

الربيه جينيس : (برصانة) نعم يا حبيبتى (تخرج بالصينية) .

ليدى اترووود: (تجلس على الأريكة بحركة مندفعة) أنا أعلم ما يمكن أن تحسى به ، أوه ، هذا البيت ، هذا البيت ! لقد عدت اليه بعد غيبة ثلاثة وعشرين عاما لأجده كما هو لم يتغير فيه شيء ، الحقائب ملقاة على الدرج ، الخدم مدللون لا يطاقون ، لا أحد فى البيت ليستقبل أى انسان ، لا وقت محدد للطعام ، لا أحد يجوع أبدا لأنهم دائما يلوكون الخبز بالزبد أو يقضمون التفاح ، ثم أسوأ من ذلك : نفس الانسطراب فى الأفكار والكلام والشعور . عندما كنت طفلة كنت معتادة ذلك ، فلم أكن أعلم أن هناك ما هو خير منه ، ولو أنى كنت تعيسة ، وكنت مشوقة دائما — ويا له من شوق — لأن أكون محترمة ، لأن أكون سيدة ، لأن أعيش كما يعيش الآخرون ولا اضطر الى أن أفكر فى كل شيء بنفسى . وتزوجت فى سن التاسعة عشر لأهرب من هذا البيت ، وكان زوجى سير هيستنجز أترووود حاكما لكل مستعمرات التاج واحدة بعد الأخرى ، وكنت دائما سيدة قصر الحاكم ،

فكنت فى غاية السعادة ونسيت أن هنـاك من يعيش هكذا ، وأردت أن أرى أبى وشقيقتى وأبناءها وبناتها فهذا واجب على الانسان كما تعلمين — وكنت أترقب هـذه اللحظة ، والآن ، انظرى الى حالة البيت ! والطريقة التى قوبلت بها ! والوقاحة وقلة الاعتناء من هـذه المرأة جينيس ، مربيتنا العجوز ! على الأقل كان يجب أن تكون هزيون هنا ، وأن يكون هناك ترتيب ما من أجلى . اعذرينى لانطلاقى هكذا فى الكلام ، فانى فى الحقيقـة أحس بالاهـانة والغضب وزوال الأمل الكاذب ، ولو أنى تأكدت من أن الحالة ستكون على ما هى عليه لما جئت ، بل انى لأفكر جديا فى أن أنصرف دون أن أزيد كلمة واحدة (تكاد تبكى) .

ايلى : (وهى كذلك فى أشد حالات التعاسة) أنا أيضا لم أجد أحدا فى انتظارى ، وقد فكرت مثلك فى أن أنصرف ، ولكن كيف أستطيع يا ليـدى أرووود ، وحقائبى على درجات السلم ، وعربة المحطة قد ذهبت .

(يدخل القبطان من الكيلار حاملا صينية من الخشب المدهون باللاكيه وعليها أدوات شاى غاية فى الجمال ، ثم يضعها مؤقتا على حافة المنضده ، ويبزع لوحه الرسم ويضعها على الأرض مسندة الى رجل المنتصدة ، ويضع الصينية فى المكان الذى خلا ، تعجب ايلى لنفسها فنجانا من الشاى بنفسها)

القبطان : شايك أيتها السيدة الصغيرة ، عجبا ! سيدة أخرى ! فلأذهب لأحضر فنجانا آخر (يتجه الى الكيلار) .

ليدى أنروود : (تنهض من الأريكه وقد غلبها الانفعال) بابا ! ألا تعرفنى ؟ اننى ابنتك .

القبطان : هراء ! ابنتى نائمة فى الطابق العلوى (يختفى وراء الباب النصفى) .

(تتراجع ليدى أتروود الى النافذة لتخفى دموعها)

ايلى : (تذهب اليها بالفنجان) لا يحزنك الأمر هكذا . خذى فنجان الشاى هذا ، انه عجوز هرم وغريب الأطوار جدا ، وقد عاملنى بنفس الطريقة ، أنا أعلم كم يؤلمك هذا ، فان أبى هو الدنيا كلها

بالنسبة لى ، أود ، أنا واثقة أنه لم يقصد شيئا بما فعل .

(يعود القبطان بفنجان آخر)

القبطان : الآن كل شيء قد تم (يضع الفنجان على الصينية) .

ليدى أتروود : (فى عصبية) بابا ! لا يمكن أن تكون قد نسيتنى ، أنا أريادن ، أنا بادى باتكنز الصغيرة، ألا تقبلنى؟ (تذهب اليه وتحيط رقبته بذراعيها).

القبطان : (يتحمل عناقها بجمود) كيف يمكن أن تكونى أريادن ؟ انك امرأة فى منتصف العمر ، حقا انك يا سيدتى ما زلت محتفظة بجمالك ، ولكنك لم تعودى صغيرة .

ليدى أتروود : فكر يا أبى فى كل تلك السنين الطويلة التى غبتها عنكم ، لم يكن هناك مفر من أن أكبر كما يحدث لغيرى من الناس .

القبطان : (يخلص نفسه منها) كان يجب أن تكبرى عن تقبيل الأغراب من الرجال ، فلعلهم من المجاهدين لبلوغ الدرجة السابعة من التركيز .

ليدى أتروود : ولكنى ابنتك التى لم ترها منذ سنين طويلة .

القبطان : وهذا أسوأ ما فى الأمر ! اننا نفكر فى حسنات أقاربنا الذين يعيشون بيننا والا لما أمكننا تحملهم، ولكنهم اذا غابوا عنا فاننا نتسلى عن غيابهم بتذكر سيئاتهم . وهكذا أصبحت أفكر فى ابنتى زيادة على أنها شيطانة كاملة ، فلا تحاولى أن تنالى عطفنا بانتحال شخصيتها (يتجه فى ثبات الى الجهة الأخرى من الحجرة) .

ليدى أتروود : أنال العطف حقا ! (بعزة) حسن جدا يا بابا (تجلس الى منضدة الرسم وتصب لنفسها فنجانا من الشاى) .

القبطان : لقد أهملت واجباتى الاجتماعية ، أتذكرين دن ، بيلى دن ؟

ليدى أتروود : أتقصد ذلك البحار المجرم الذى سرقك ؟

القبطان : (مقدما ايلى) هذه ابنته (يجلس على الأريكة).

ايلى : (معترضة) كلا ..

(تعود المربيه جينيس بشاى جديد)

القبطان : ألقى بغسالة المطبخ هذه الى الخارج ، أتسمعين؟

الخادمة : انك تذكرت الشاى بالفعل ! (لايلى) أوه يا آنسة ، انه لم ينسك رغم كل شىء ! ان لك لتأثيرا عليه .

القبطان : (فى حزن) الشباب ! الجمال ! الجدة ! انا فى أشد الحاجة اليها فى هـذا البيت ، فأنا بلغت أقصى العمـر ، وهزيون فى منتصف العمـر ، وأبناؤها لا شباب فيهم .

ليدى اترووود: كيف يرجى من الأطفال أن يكون فيهم شباب فى هذا البيت ؟ لقد كنا قبـل أن تتعلم الكلام تمتلىء أدمغتنا بأفكار قد تليق بفلاسفة وثنيين فى الخمسين من عمرهم ، ولكنا لم نكن نصلح للحياة مع المحترمين من الناس فى أى سن .

الخادمة : كنت دائما تميلين الى الأشياء المحترمة يا مس آدى .

ليدى اترووود: دادة ، أرجوك أن تتذكرى دائما أننى ليـدى أترووود ، وأنى لست مس آدى ، ولست حبيبتك أو عزيزتك أو عروستك ، أتسمعين ؟

الخادمة : نعم يا بطتى ، لا بأس ، سأخبرهم جميعا لينادوك بياسيدتى الليدى (تخرج بالصينية بهدوء تام).

ليدى اترووود: أين هى الراحة ؟ وما معنى الاحتفاظ بخـدم لا يعرفون الأدب ؟

ايلى : (تنهض وتتجه الى المنضدة لتضع عليها فنجانها الخالى) أتظنين يا ليدى أتروود أن مسز هشاباى تتوقع زيارتى حقا ؟

ليدى اتروود : أوه ، لا تسأليني ، فيمكنك أن ترى بنفسك أنني أنا شقيقتها حضرت توا بعد غياب ثلاثة وعشرين عاما ! ويبدو أن لا أحد يتوقع حضورى .

القبطان : وما الفرق ان كان أحد يتوقع زيارة هذه الفتاة أو لا ، اننا نرحب بها على كل حال ، فالأسرة فى البيت كثيرة ، والطعام موجود ، سأجد لها حجرة بنفسى .

(يتجه نحو الباب)

ايلى : (تتبعه لتوقفه) أوه ، أرجوك .. (يخرج) لا أدرى ما أفعل يا ليدى أتروود ، فان أباك يصر على الاعتقاد بأن والدى كان بحارا سرقه .

ليدى اتروود : خير لك أن تتظاهرى بأنك لم تلاحظى ذلك ، ان أبى رجل ذكى جدا ولكنه كثير النسيان ، وقد زاد الأمر سوءا الآن بالطبع بعد أن تقدم به

العمر ، ويجب علىّ أن أحذرك أنه فى أوقات كثيرة يكون من الصعب الوثوق بأنه ينسى حقا .

(تندفع مسز هشاباى الى الحجرة كالعاصفة وتعانق ايلى . مسز هشاباى أكبر من ليدى اتروود بعامين وأجمل منها . فشعرها الأسود رائع ، وعيناها كبحيرات « حشـــبون » ، وعنقها كعنق تمثال نبيل ، قصير من الحلف طويل بين كتفيها من الامام ، وهى بخـلاف أختها لا تلبس مشـــــدا ، وتلبس ـ دون اعتناء ـ ثوبا غاليا من القطيفة الســـوداء يعلبر بياض لونها واستدارة جسمها)

مسز هشاباى : ايلى يا حبيبتى ، يا صغيرتى (تقبلها) منذ متى وأنت هنا ؟ فأنا لم أغادر المنزل طول الوقت ، كنت أضع الأزهار والأشياء اللازمة فى حجرتك ، وعندما جلست لحظة على الكرسى ذى المساند لأجرب كم هو مريح غلبنى النوم ، وقد أيقظنى أبى وأخبرنى أنك هنا ، كلما أتصور انك لم تجدى أحدا وأنك أهملت وتركت وحيـدة ! (تقبلها ثانية) يا حبيبتى المسكينة ! (تجلس ايلى على الأريكة ، وفى نفس الوقت تترك أريادن المنضدة وتتقدم مطالبة بنصيبها من الاهتمام)

أوه ، لقد اصطحبت صديقة معك ، عرفيني بها .

ليدى أترووود : هزيون ، أمن الممكن أنك لم تعرفيني ؟

مسز هشاباى : (مجاملة) بالطبع أذكر وجهك جيدا ، أين تقابلنا ؟

ليدى أترووود : ألم يقل لك بابا انى هنا ؟ أوه ، حقا ان هذا كثير .

(تلقى بنفسها على المقعد الكبير وقد نجهم وجهها)

مسز هشاباى : بابا !

ليدى أترووود : نعم بابا ، أبونا أيتها التعسة العديمة الاحساس (تنهض غاضبة) سأذهب توا الى فندق .

مسز هشاباى : (تمسكها من كتفيها) يا للعجب العجاب ؛ أتعنين بقولك انك آدى !؟

ليدى أترووود : بالتأكيد أنا آدى ، ولا أظن أنى تغيرت بحيث لا يمكنك أن تذكريني لو كنت تحبينني حقا ، وبابا ، انه لا يرانى أستحق مجرد الاشارة الى وجودى !

مسز هشاباى : يا له من أمر مسل ! اجلسى . (تدفعها للجلوس على الكرسى بدلا من تقبيلها وتقف خلف

الكرسى) يبدو أنك فى حالة طيبة ؛ وانك لأجمل من أى وقت مضى ، لا شك أنك تعرفت بايلى ، انها ترغب فى الزواج من مليونير خنزير من أجل أبيها الذى هو أفقر من فأر الكنيسة ، يجب أن تساعدينى على منعها .

ايلى : أوه ، أرجوك يا هزيون .

مسز هشابای : ان الرجل قادم اليوم مع والدك يا صغيرتى ليبدءا فى تعذيبك ، وبعد عشر دقائق سيرى كل انسان هذه الحالة ، فما الداعى لأن تجعلى من الأمر سرا ؟

ايلى : انه ليس خنزيرا يا هزيون ، أنت لا تعرفين كم كان طيبا ورائعا مع أبى ، وكم أنا معترفة له بالجميل اعترافا عميقا .

مسز هشابای : (للبدى أتروود) والدها يا آدى رجل ممتاز ، اسمه ماتزينى دن ؛ كان ماتزينى رجلا له شهرة كبيرة فيما لا أدرى ، وكان صديقا لجد ايلى وجدتها ، وقد كانا كلاهما شاعرين كآل برونتج ، وعندما ولد أبوها قال ماتزينى « ها قد ولد جندى آخر من جنود الحرية ! » فسمياه

ماتزيني ، ومنذ ذلك الحين ظل يحارب فى سبيل الحرية بطريقته الهادئة ، وهـذا هو سبب فقره الشديد .

ايلى : انى فخورة بفقره .

مسز هشباى : بالطبع يا صغيرتى ، فلماذا لا تدعينـه فى فقره وتتزوجين شخصا تحبينه ؟

ليدى اترووود : (تنهض فجأة وتنفجر قائلة) هزيون ! أتنوين تقبيلى أم لا تنوين ؟

مسز هشباى : ولماذا تريدين أن تقبّلى ؟

ليدى اترووود : أنا لا أريد أن أقبّل ، ولكنى أريد أن تتصرفى بلباقة وأدب ، فنحن شقيقتان وقد افترقنا ثلاثة وعشرين عاما ، فالواجب عليك أن تقبلينى .

مسز هشباى : غدا صباحا يا عزيزتى قبل أن تنجمـلى ، فانى أكره رائحة البودرة .

ليدى اترووود : أوه ، أنت جامدة الاحساس .. (يقطع كلامها دخول القبطان) .

القبطان : (لايلى) غرفتك معدة الآن (تنهض ايلى) كانت ملاءات السرير منداة ولكنى غيرتها (يتجه الى باب الحديقة فى الجانب الأيسر) .

ليدى آتروود : أوه ! وماذا عن ملاءات سريرى ؟

القبطان : (يتوقف عند الباب) اسمعى نصيحتى وانشريها، أو انزعيها واكتفى بالبطانيين ، ستنامين فى حجرة أريادن القديمة .

ليدى آتروود : بالتأكيد لن أفعل ذلك ؛ هذا الجحر الصغير ! من حقى أن أنزل فى أحسن حجره خالية .

القبطان : (يستمر فى حديثه دون تأثر) لقد تزوجت غبيا ؛ وقالت لى انها ستتزوج أى رجل لتترك هذا البيت .

ليدى آتروود : أنت تدعى أنك لا تعرفنى لغرض فى نفسك ؛ سأغادر البيت .

(يدخل ماتزينى دن من اليهو ، وهو كهل حاد صئيل الجسم ، فى عينيه الساذجتين ححوظ ، يلبس سترة كحلية من الصوف الخشن فوقها معطف واق من المطر مفكوك الازرار ، ويحمل قبعه سوداء لينة تشبه قبعات القساوسة)

اللى : أخيرا ! ها هو أبى يا قبطان شتوفر .

القبطان : هذا ! هراء ! ليس فيه أى شبه منه

(يخرج الى الحديقة ويغلق الباب وراءه بعنف)

ليدى اترود: لن أقبل هذا التجاهل والتظاهر بأنى امرأة أخرى ، سأنهى هذا الأمر مع أبى الآن ، هذه اللحظة (لماتزينى) معذرة .

(تتبع القبطان الى الخارج بعد أن تحبى ماتزينى باحناءة سريعة من رأسها فيردها)

مسز هشاباى : (تصافحه فى ترحيب) انه فضل منك أن تحضر يا مستر دن ! لعلك لا تغضب من أبى ، أليس كذلك ؟ فان فيه جنونا ، ولكنه لا يؤذى أحدا ، وهو مع ذلك شديد الذكاء ، وستتبادل معه بعض الأحاديث التى تبعث البهجة فى نفسك .

ماتزينى : أرجو ذلك (لايلى) ها قد جئت يا عزيزتى ايلى (يضع يدها فى يده بمحبة) واجب علىّ أن أشكرك يا مسز هشاباى لعطفك على ابنتى ، فلا أظنها كانت تتمتع بعطلة لولا أنك دعوتها .

مسز هشاباى : لا داعى للشكر ، فانه لطف منها أن تحضر لتجذب الشبان الى بيتنا فنتمتع بوجودهم .

ماتزينى : (مبتسما) أخشى أن أقول يا مسز هشاباى ان ايلى لا تهتم بالشبان ، فان ذوقها أميل الى جانب الجد والرزانة .

مسز هشاباى : (فى تهلل مفاجىء لا يخلو من صرامة) ألا تخلع معطفك يا مستر دن ؟ ستجد فى ركن الصالة صوانا للمعاطف والقبعات وغيرها .

مانزينى : (يترك ايلى بسرعة) نعم — أشكرك — خير لى — (يخرج) .

مسز هشاباى : (بنبرة جازمة) الوحش العجوز !

ايلى : مَنْ ؟

مسز هشاباى : مَنْ ! هو ، هو (تشير الى حيث ذهب ماتزينى) « جانب الجد والرزانة » ، حقا !

ايلى : (فى ذهول) لا تعنين أنك كنت تتحدثين عن أبى بهذه الطريقة !

مسز هشاباى : بل هذا ما فعلته ، وأنت تعلمين ذلك .

ايلى : (بعزة) سأغادر منزلك على الفور (تتجه الى الباب) .

مسز هشاباى : سأخبر والدك بالسبب ان حاولت .

ايلى : (تلتفت ثانيا) أوه ! كيف تعاملين ضيفة بهذه الطريقة يا مسز هشاباى ؟

مسز هشاباى : ظننت أنك ستنادينني باسم هزيون .

ايلى : ليس الآن بالتأكيد ؟

مسز هشاباى : حسن جدا ، سأخبر والدك .

ايلى : (فى جزع) أوه !

مسز هشاباى : اذا بدبت أى - اذا وقفت دقيقة واحدة فى صفه ضدى وضد قلبك فسأضطر الى أن أصرح ببعض ما فى نفسى لهذا الجندى المولود للدفاع عن الحرية ، حتى يقف على رأسه العجوز الأنانى لمدة أسبوع .

ايلى : هزيمن ! أبى أنانى ! ما أقل ما تعرفين ..

(تقاطع بدخول ماتزينى الذى يعود فى اضطراب وقد بلله العرق)

ماتزينى : ايلى ، لقد حضر مانجان ، ورأيت أن أخبرك ، عفوا يا مسز هشاباى ، ان السيد العجوز غريب الأطوار ..

مسز هشاباى : بابا : نعم ، انه كما قلت .

ماتزينى : أوه ، أرجوك المعذرة ، ولكن سلوكه جعلنى أرتبك ، فقد جعل مانجان يساعده فى عمل ما بالحديقة ، وهو يريد منى أيضا ..

(يسمع صفير عال)

القبطان : أنت أيها البحار (يتكرر الصفير) .

ماتزيني : (فى قلق) يا للعجب ! أعتقد أنه يناديني بصفيره (يخرج مسرعا) .

مسز هشاباى : يمكنك أن تقولى الآن ان أبى رجل رائع .

ايلى : استمعى الىّ يا هزيون فانك لا تعلمين ، ان أبى ومستر ما نجان كانا زميلى طفولة ، ومستر ما ...

مسز هشاباى : لا يعنينى ماذا كانا ، علينـــا أن نجلس ما دمت ستبدأين الحكاية من هذا الزمن القديم (تجذب ايلى من خصرها لتجلس بجانبها على الأريكة) والآن يا صغيرتى ، خبرينى بكل ما تعلمين عن مستر مانجان ، انهم يدعونه الرئيس مانجان ، أليس كذلك ؟ وهو نابليون فى الصناعة ، وفاحش الثراء ، أليس كذلك ؟ لماذا لم يكن أبوك ثريا ؟

ايلى : ما كان ينبغى لأبى المسكين أن يشتغل بأعمال التجارة والصناعة ، فقـــد كان أبواه شاعرين ، وقد ورثاه أنبل الأفكار ، ولكنهما لم يستطيعا أن يجعلا له مهنة .

مسز هشاباى : تصورى جدك وجدتك وأعينهما تدور فى جنون بديع ! وهـــكذا اضـــطر أبوك المســـكين الى الاشتغال بأعمال التجارة والصناعة ، ألم ينجح فى عمـــله ؟

ايلى : تعوّد أبى دائما أن يقول انه يستطيع أن ينجح لو كان بيده رأس مال ؛ وقد كافح طول عمره ليمنحنا بيتا نعيش فيه ويربينا تربيـة حسنة ، ولكنه كان كفاحا مستمرا ، وكانت تعترضه دائما صعوبة عدم وجود رأس المال الكافى ، لست أدرى كيف أصف لك الأمر .

مسز هشابای : مسكينة يا ايلى ! انى أعرف ، كأنما كان يجذب الشيطان من ذيله .

ايلى : (متألمة) أوه ، لا ، ليس هذا ، فقـد كان على الأقل محافظا على كرامته .

مسز هشابای : وهذا ما يزيد الأمر صـعوبة ، أليس كذلك ؟ لو كنت مكانه لما اصطنعت الكرامة وأنا أجذب الشيطان من ذيله ؛ بل لجذبت بشدة (من بين أسنانها) بشدة . وبعد ؟ استمرى .

ايلى : وأخيرا خيل الينا أن متاعبنا كلها قد انتهت ، فقد قام مستر مانجان بعمل غاية فى النبل ، لم يدفعه الى ذلك الا صداقته الخالصة لوالدى واحترامه لشخصيته ؛ فقد سأله عن مقدار رأس المال الذى يحتاج اليه وأعطاه اياه ؛ لا أعنى أنه أقرضه المبلغ ،

أو أنه وظف المال فى العمل الذى قام به أبى . بل انه قدمه اليه هدية لا غير ، ألم يكن ذلك عملا رائعا منه ؟

مسز هشاباى : وهل أشترط أن تتزوجيه مقابل ذلك ؟

ايلى : أوه ، كلا ، كلا ، كلا ، فقد حدث ذلك وأنا طفلة ، ولم يكن قد رآنى قط ، ولا زار منزلنا ، لقد كان عملا بريئا من كل غرض ،لم يكن الا كرما خالصا .

مسز هشاباى : أوه ! انى أعتذر للسيد ، حسن ، وماذا كان مصير المال ؟

ايلى : اشترينا جميعا ملابس جديدة ، وانتقلنا الى منزل آخر ، وذهبت الى مدرسة غير مدرستى لمدة عامين .

مسز هشاباى : عامين فقط ؟

ايلى : نعم ، فقد أفلس أبى افلاسا تاما فى نهاية العامين.

مسز هشاباى : كيف ؟

ايلى : لا أعرف ، ولم أستطع أن أفهم الأمر قط ، ولكنه كان أمرا فظيعا ، فان أبى لم يستدن قط ونحن فقراء ، ولكنه عندما سار فى الأعمال على نطاق

واسع اضطر الى الاستدانة ؛ ولما صفى العمل كان ما عليه من الديون أكثر من المال الذى أعطاه اياه مستر مانجان .

مسز هشاباى : أظنها كانت لقمة أكبر من أن يستطيع مضغها .

ايلى : أراك تتحدثين عن هذا الأمر بشيء من القسوة .

مسز هشاباى : لا تهتمى بطريقتى فى الحديث يا صغيرتى ، فقد كنت يوما مثلك حساسية ودقة ، ولكنى تعلمت من الأطفال الكثير من الألفاظ السوقية ؛ حتى أصبحت فى الحقيقة أتكلم بطريقة غير مقبولة . أظن أن طبيعة والدك ليست طبيعة رجال الأعمال ولهذا اختلط الأمر عليه .

ايلى : أوه ، هذا بالضبط يريك أنك لم تستطيعى فهمه قط ، فقد كانت نتيجة العمل نجاحا ساحقا ؛ انه الآن يعطى ربحا قدره أربعة وأربعون فى المائة بعد خصم ضرائب الأرباح الاضافية .

مسز هشاباى : لماذا اذن لا تتمرغين فى المال ؟

ايلى : لا أدرى ، ان الأمر يبدو لى ظلما بيّنا ، فقد انحدر أبى الى الافلاس ، وكاد ذلك يحطم قلبه ، لأنه أغرى عددا من أصدقائه بتوظيف أموالهم

فى العمل ، اذ كان واثقا من نجاحه ، وقد أثبتت الأحداث أنه كان على صواب ، ولكنهم جميعا فقدوا أموالهم ، وكان الأمر فظيعا ، ولست أدرى ماذا كنا نفعل لولا مستر مانجان .

مسز هشابای : عجبا ! هل تقدم الرئيس مانجان للنجدة ثانيا بعد أن ضاعت نقوده كلها ؟

ايلى : أجل ، هذا ما فعله دون أن يقول كلمة لوم واحدة لأبى ، لقد اشترى ما بقى من المشروع — المبانى والآلات وهذه الأشياء ، اشتراها من الحارس القانونى بمبلغ يكفى لأن يدفع أبى ستة شلنات وثمانية بنسات فى الجنيه ويبرىء ذمته ، وقد كان الجميع يعطفون على أبى كثيرا ، ويرون بوضوح أنه رجل شريف ، ولذلك قبلوا منه ستة شلنات وثمانية بنسات فى الجنيه بدلا من عشرة شلنات ، ثم كون مستر مانجان شركة لتواصل العمل ، وعين أبى مديرا فيها لينقذنا من الموت جوعا ، لأنى اذ ذاك لم أكن أكسب شيئا .

مسز هشابای : يا لها من قصة ! ومتى أظهر الرئيس عاطفته الرقيقة ؟

ايلى : أوه ، بعد ذلك بسنين ، هذا شيء حديث العهد جدا ، فقد رأس فى احدى الليالى حفلة موسيقية شعبية كنت أغنى فيها ، هاوية كما تعلمين ، أقبض نصف جنيه لمعروفاتى وأغنى ثلاث أغنيات يطلب منى اعادتها مرة أخرى ، وقد سرّ من غنائى حتى أنه سألنى أن أسمح له بتوصيلى الى بيتى ، ولم أر قط مثل اضطرابه عندما اصطحبته معى الى البيت وقدمته الى أبى ، مدير مصنعه ، وفى تلك الليلة حدثنى أبى عن مسلكه النبيل ؛ وبالطبع اعتبرت هذه فرصة عظيمة لى ؛ نظرا لما كان عليه من غنى ، و .. و .. وصلنا الى نوع من التفاهم .. أظننى أستطيع تسميته خطبة .. (يبدو عليها الجزع ولا تستطيع الاستمرار) .

مسز هشابای : (تنهض وتتجول فى الحجرة) لعلك انسقت الى ذلك ، ولكنى سأتنشلك منه يا صغيرتى ان كان لى فى هذا الأمر يد .

ايلى : (بقنوط) كلا ، لا فائدة ، فان ما يربطنى هو الشرف وعرفان الجميل ، وسأستمر فى الأمر الى النهاية .

مسز هشابای : (معنفة اياها وهى خلف الأريكة) أنت تعرفين ولا شك أنه ليس من الشرف ولا عرفان الجميل أن تتزوجى رجلا لا تحبينه ، فهل تحبين هـذا الرجل مانجان ؟

ايلى : نعم ، على الأقل ..

مسز هشابای : لا أريد أن أعرف شيئا عن هذا الأقل ، بل أريد أن أعرف الحقيقة مهما تكن سيئة ، فالفتيات فى مثل سنك يقعن فى حب كل الأنواع غير المعقولة من الرجال ، وبخاصة المسنين .

ايلى : انى أميل الى مستر مانجان ميلا شديدا ، وسأظل دائما ..

مسز هشابای : (مكملة الجملة فى نفاذ صبر وهى تقفز فى ضيق الى اليمين) معترفة بجميله لعطفه على أبى العزيز ، أعرف ذلك ، هل هناك شخص آخر ؟

ايلى : ماذا تعنين ؟

مسز هشابای : هل هناك شخص آخر ؟ أتحبين شخصا آخر ؟

ايلى : كلا بالطبع .

مسز هشابای : ايه ؟! (تلحظ الكتاب الموضوع على منضدة الرسم فتلتقطه ثم يبدو بوضوح أن عنوان

الكتاب كان غير ما تنتظر ، فتنظـر الى ايلى وتسألها فى ظرف) أواثقة أنت تمام الثقة من أنك لا تحبين ممثلا ؟

ايلى : كلا ، كلا ، لمـاذا تسـألين ؟ ما الذى جعلك تفكرين فى ذلك ؟

مسز هشاباى : هذا كتابك ، أليس كذلك ؟ لأى سبب آخر اذن تقرأين عطيل ؟

ايلى : لقد علمنى أبى أن أحب شكسبير .

مسز هشاباى : (تلقى بالكتاب على المنضدة) حقا ! يبدو أن والدك كاد يصل الى أقصى الحدود .

ايلى : (فى سذاجة) ألم تقرئى شكسبير قط يا عزيزتى؟ هذا يبدو لى غريبا ، انى أحب عطيل .

مسز هشاباى : أتحبينه حقا ؟ لقد كان غيورا ، ألم يكن كذلك ؟

ايلى : أوه ، لا أعنى هذا ، فانى أرى أن كل ما يتعلق بالغيرة فى الرواية أمر فظيع ، ولكن ، ألا ترين أنه لابد أن تكون تجربة رائعة لديدمونه التى نشئت فى جو البيت الهادىء أن تقابل رجلا طاف بالعالم يقوم بكل أعمال الشجاعة ويتعرض لكل المخاطر الفظيعة ، ومع ذلك يجد فيها شيئا

يحبه فى الجلوس اليها متحدثا عما قام به من أعمـــال ؟

مسز هشاباى : أهذه أحلامك اذن ؟

ايلى : ليست أحلاما بالضبط فقد يحدث مثل ذلك حقا.

(يبدو فى عينى ايلى أنها لا تناقش وانمـــا تعيش فى حلم من أحلام اليقظة ، تلاحظها مسز هشاباى فى تطلع ، ثم تعود مفكرة الى الاريكة وتجلس بجانبها)

مسز هشاباى : يا عزيزتى ايلى ، ألا تلاحظين أن بعض هـــذه القصص التى قصها عطيل على ديدمونة لا يمكن أن تحدث ؟

ايلى : اوه ، لا ، لقد رأى شكسبير أنهـــا يمكن أن تحدث .

مسز هشاباى : هِم ! كانت ديدمونة تظن أنها حدثت ، ولكنها لم تحدث .

ايلى : لماذا يبدو عليك كل هذا الغموض وأنت تتحدثين عن هذا الموضوع ؟ انك غامضة كأبى الهول ، وانى لا أعرف أبدا ماذا تعنين .

مسز هشاباى : لو عاشت ديدمونة لعرفت حقيقة أمره ، وانى

لأتساءل أكان هـذا هو السبب الذى جعـله يختنقها .

ايلى : لم يكن عطيل كذابا .

مسز هشابای : كيف عرفت ؟

ايلى : لو كان كاذبا لذكر شكسبير ذلك ، هناك رجال يا هزيون قاموا بأعمال عجيبة ، رجـال كعطيل الا أنهم بالطبع بيض الوجوه وفى غاية الحسن و ...

مسز هشابای : آه ، ها قد وصلنا الى ما نريد ، خبرينى بكل شيء عنـه ، فقـد كنت أعلم أنه لابد هنـاك شخص ما ، والا لما وجدت كل هذه التعاسة فى أمر مانجان ، بل لعلك كنت ترين الزواج منـه حظا عجيبا .

ايلى : (يحمر وجهها بشدة) أنت فظيعة يا هزيون ، ولكنى لا أريد أن أجعل من الأمر سرا ، ولو أنى بالطبع لا أحدث به كل انسان ، هذا فضلا عن أنى لا أعرفه .

مسز هشابای : لا تعرفينه ! ما معنى هذا ؟

ايلى : حسن ، بالطبع أنا أعـرفه معـرفة تكفى لأن نتحادث سويا .

مسز هشابای : ولكنك تريدين أن تعرفيه معرفة أوثق ، أليس كذلك ؟

ايلى : لا ، لا ، انى أعرفه معرفة وثيقة ... تكاد تكون وثيقة .

مسز هشابای : انك لا تعرفينه ، وأنت تعرفينه معرفة تكاد تكون وثيقة ، ما أوضح ذلك !

ايلى : أعنى أنه لا يزورنا ، ولكنى .. ولكنى حادثته مصادفة فى حفلة موسيقية .

مسز هشابای : يبدو أنك تقضين وقتا ممتعا فى حفلاتك الموسيقية يا ايلى .

ايلى : أبدا ، فاننا جميعا نتبادل الحديث ونحن فى الحجرة الخضراء فى انتظار أدوارنا للظهور على المسرح ، وقد حسبته أحد الفنانين ، اذ كان يبدو رائعا ، ولكنه لم يكن الا واحدا من أعضاء الجمعية ، واتفق أن أخبرته بأنى أنقل صورة فى المتحف الوطنى ، فأنا أكسب بعض المال من هذا الطريق ، لست ماهرة فى الرسم ولكن بما أنى أنقل نفس الصورة فى كل مرة فانى أفعل ذلك بسرعة معقولة ، وأنال عن عملى جنيهين أو ثلاثة ،

واتفق أن جاء هو فى أحـد الأيام الى المتحف الوطنى .

مسز هشباى : فى أحد الأيام المخصصة للطلبـة ، دفع سـتة بنسات ليتعثر كل خطـوة فى هذا الزحـام من منصات الرسم ؛ فى حين أنه كان يستطيع الذهاب فى اليوم التالى بلا مقابل ليجد الأرض خالية ! هل كان حضوره محض مصادفة ؟

ايلى : (مزهوة) كلا ، بل عن قصد ، فقـد أحب أن يتحدث معى ، انه يعـرف الكثيرين من عليـة القوم ، سيدات المجتمع كلهن مشغوفات به ، ولكنـه فرّ منهن ليرانى فى المتحف الوطنى ، ويزين لى الخروج معـه للنزهة حول حديقـة ريتشموند فى سيارة أجرة .

مسز هشباى : انك تتقـدمين بـرعة يا صـغيرتى ، ما أعجب ما يمكن أن تفعلنه أيتها الفتيات الطيبات دون أن يتقول عليكن أحد !

ايلى : أنا لا أحضر حفلات المجتمع ياهزيون ، واذا لم أنشىء صـلات بهـذه الطريقة فلن يكون لى معارف أبدا .

مسز هشابای : حسن ، لا بأس مادمت تستطيعين المحافظة على نفسك ، هل لى أن أسأل عن اسمه ؟

ايلى : (ببطء وفى نغم موسيقى) ماركوس دارنلى .

مسز هشابای : (ترجع صدى الموسيقى) ماركوس دارنلى ! ما أروعه من اسم !

ايلى : أوه ، انى لسعيدة اذ ترين ذلك ، فان هذا هو رأيى أيضا ، ولكنى كنت أخشى الا يكون ذلك الا وهما سخيفا منى .

مسز هشابای : هِم ! أهو أحد أفراد أسرة أبردين دارنلى ؟

ايلى : لا أحد يعلم ، تصورى ! لقد وجدود فى صندوق أثرى ...

مسز هشابای : ماذا ؟

ايلى : صندوق أثرى ، فى حديقة ورد ، صباح أحد أيام الصيف بعد ليلة عاصفة مرعدة .

مسز هشابای : وماذا بالله كان يفعل فى الصندوق ؟ هل دخل فيه خوفا من البرق ؟

ايلى : أوه ، لا لا ، فقد كان طفلا ، وكان اسم ماركوس دارنلى مطرزا على ملابسه وبجانبه خمسمائة جنيه من الذهب .

مسز هشابای : (تنظر اليها بحدة) ايلى !

ايلى : حديقة الڤيكونت ..

مسز هشابای : دى روچمونت ؟

ايلى : (ببراءة) كلا ، دى لا روش چاكلين ، أسرة فرنسية ، ڤيكونت ، لقد كانت حياته قصة رائعة طويلة ، نَمِرْ ..

مسز هشابای : هل ذبحه بيديه ؟

ايلى : أوه ، كلا ، لا شيء من هذه السوقية ، لقد أنقذ حياة النمر من جماعة خرجت للصيد ، احدى جماعات صيد الملك ادوارد فى الهند ، وقد أشعل ذلك غضب الملك ، وهذا هو السبب فى أنه لم يكافأ كما ينبغى على خدماته العسكرية ، ولكنه لا يهتم بذلك ، فهو اشتراكى يحتقر الألقاب ، وقد اشترك فى ثلاث ثورات وحارب وراء المتاريس .

مسز هشابای : كيف يمكنك أن تجلسى هكذا مطمئنة لتقصى علىّ مثل هذه الأكاذيب ؟ أنت يا ايلى من بين الناس جميعا ! وأنا التى كنت أظنك مثال السذاجة والاستقامة والطيبة .

ايلى : (تنهض بعزة وقد استبد بها الغضب) أتعنين أنك لا تصدقيننى ؟

مسز هشباى : بالطبع لا أصدقك ، فقد كانت كل كلمة قلتها من اختراعك ، أتظنيننى حمقاء ؟

(تحملق ايلى فيهـــا . فمن الواضـــح أن صراحتها حيرتها)

ايلى : وداعا يا هزيون ، انى جد آسفة ، فقد وضح لى الآن أن القصـــة تبدو مستحيلة حين أرويها ، ولكننى لن أستطيع البقاء ما دام هذا رأيك فىّ .

مسز هشباى : (تمسك ثوبهـــا) لن تذهبى ، اذ لا يمكن أن أكون مخطئة الى هذا الحد ، انى أعرف تماما كيف يكون الكذاب ، فلا شك أن شخصا ما خبرك بكل ذلك .

ايلى : (فى خجل) لا تقولى يا هزيون انك لا تصدقينه ، فهذا ما لا أحتمله .

مسز هشباى : (ترضاها) بالطبع أصدقه يا عزيزتى ، ولكن كان واجبا عليك أن تطلعينى على الأمر شـــيئا فشيئا (تجذبها الى مقعدها) والآن خبرينى بكل شىء عنه ، أتحبينه ؟

ايلى : أود ، كلا ، فأنا لست حمقاء الى هذا الحد ، انني لا أقع فى غرام أحد ، فلست شديدة البلاهة كما تظنين .

مسز هشباى : فهمت ، انما هو شيء تفكرين فيه .. شيء يجعل للحياة معنى وبهجة .

ايلى : بالضبط ، هذا كل شيء فى الواقع .

مسز هشباى : انه يجعل الوقت يمر بسرعة ، أليس كذلك ؟ لا انتظار ممل قبل النوم كل ليلة ، ولا تساؤل ان كان الانسان سينام نوما قلقا مضطربا . وما أبهج الاستيقاظ فى الصباح ! انه أجمل ألف مرة من أسعد الأحلام ! الحياة كلها تتغير ! فلا يعود الانسان يتمنى أن يكون لديه كتاب ممتع يقرؤه لأن الحياة أبهج من أى كتاب ! ولا يرغب فى شيء الا أن يظل وحده فلا يحادث أحدا ، أن يظل وحده يفكر فى هذا الشيء .

ايلى : (تحتضنها) يا لك من ساحرة يا هزيون ، كيف عرفت ؟ انك أعظم امرأة فى العالم عطفا ورقة .

مسز هشباى : (تربت عليها) أيتها الصغيرة ، يا صغيرتى ، كم أحسدك ! وكم أشفق عليك !

ايلى : تشفقين علىّ ؟ أوه ، لماذا ؟

(يدخل من الصالة رجل فى الخمسين من عمره على درجة كبيرة من الوسامة ، بشارب مبروم كشوارب فرسان القرون الوسطى ، يلبس قبعة أنيقة ذات حافة عريضة ملوية ، ويمسك فى يده عصا متقنة الصنع ، يقف فجأة عندما يرى المرأتين الجالستين على الأريكة)

ايلى : (تراه فتقف وقد ملأتها المفاجأة سرورا) أوه ، هزيون ! هذا هو مستر ماركوس دارنلى .

مسز هشباى : (تقف) يا له من أمر مسل ! انه زوجى .

ايلى : ولكن كيف .. (تسكت فجأة وتعلو وجهها صفرة وتترنح فى وقفتها) .

مسز هشباى : (تمسكها وتجلسان معا على الأريكة) تجلدى يا صغيرتى .

الرجل : (بمزيج من الاضطراب والوقاحة ، وهو يضع قبعته وعصاه على المنضدة الصغيرة) هكتور هشباى هو اسمى الحقيقى يا مس دن ، وانى لأترك لك الحكم ان كان هذا اسما يحب أى انسان حساس أن يعترف به . اننى لا أستعمله أبدا ما دام ذلك فى امكانى ، لقد كنت مسافرا

لمدة شهر ، ولم يخطر على بالى قط أنك تعرفين زوجتى أو أنك ستجيئين الى هنا ، ولكن ذلك لا يقلل من سرورى لوجودك فى منزلنا الصغير.

ايلى : (فى جزع شديد) لا أعرف ماذا أعمل ، هل لى أن أحادث أبى ؟ أرجـوك أن تتركنى . انى لا أستطيع احتمال الأمر .

مسز هشباى : اخرج ياهكتور .

هكتور : أنا ...

مسز هشباى : بسرعة ، بسرعة ، اخرج .

هكتور : اذا كنت ترين أن هذا أفضل — (يخرج وقد أخذ معه قبعته ولكنه ترك العصا على المنضدة).

مسز هشباى : (تجعل ايلى تستلقى على طرف الأريكة) ها قد ذهب يا صغيرتى ، ولم يعد فى الحجرة الا أنا ؛ ففرجى عن نفسك ، ابكى كما تشائين ولا تمنعى نفسك من البكاء .

ايلى : (ترفع رأسها) اللعنة !

مسز هشباى : رائع ! أوه ، يا للفرج ! ظننت قلبك سينحطم ؛ لا تهتمى بى والعنيه مرة أخرى .

ايلى : أنا لا ألعنه وانما ألعن نفسى لأنى كنت على هذا

القدر من البـلاهة (تنهض) كيف أمكن أن أنخدع هكذا (تسير فى الحجرة جيئة وذهابا ، وقد ذهب اشراقها وبدا عليها أنها كبرت وصلب عودها بشكل غريب) .

مسز هشابای : (فى مرح) ولم لا يا صغيرتى ؟ قليل جدا من الشابات من يستطعن مقاومة هكتور ، أنا نفسى عندما كنت فى سنك لم أستطع مقاومته ، فانه فى الحقيقة رائع كما تعلمين .

ايلى : (تلتفت اليها) رائع ! نعم ، انه بالطبع جميل الطلعة ، ولكن كيف يمكنك أن تحبى كذابا ؟

مسز هشابای : لا أدرى ، ولكنك تستطيعين لحسن الحظ ، والا لأصبح الحب فى الدنيا قليلا جدا .

ايلى : ولكن أن يكذب هكذا ! أن يكون متبجحا ! جبانا !

مسز هشابای : (تقف فى رعب) لا شىء من هذا يا صغيرتى ، أرجوك ، فلو أنك أشرت الى أقل شك فى شجاعة هكتور لاندفع خارجا وقام بأشد الأعمال خطورة ليقنع نفسه أنه ليس جبانا ، وان له لطريقة مخيفة فى الخروج من نافذة بالطابق

الثالث والدخول من أخرى لا لشيء الا ليمتحن أعصابه ، ولديه درج مليء بميداليات ألبرت التى حصل عليها لانقاذ حياة الناس .

ايلى : انه لم يخبرنى بذلك قط .

مسز هشابای : انه لا يفخر أبدا بأى شيء فعله حقا ، فهذا ما لا يحتمله ، وانه ليخجل اذا تحدث بأعماله

ايلى : (تتقدم منها) أتعنين أنه شجاع حقا ، وأنه ذو مغامرات حقا ، ومع ذلك يحكى أكاذيب لم يفعلها ولم تحدث قط ؟

مسز هشابای : نعم ياصغيرتى ، هذا ما أعنيه ، ففضائل الناس ورذائلهم ليست منفصلة عن بعضها البعض ، ولكنها موجودة عندهم مختلطة ممتزجة .

ايلى : (تحملق فيها مفكرة) فى هذا البيت شيء من الشذوذ يا هزيون ، بل انك أنت أيضا فيك هذا الشذوذ ، لست أدرى لماذا أحادثك وأنا هادئة هكذا ، فانى أحس احساسا فظيعا بأن قلبى قد تحطم ، ولكن تحطمه لا يشبه ما كنت أظنه سيكون .

مسز هشابای : (ملاطفة اياها) ليس ذلك الا درسا من دروس

الحياة ياصغيرتى . كيف شعورك الآن نحو الرئيس مانجان ؟

ايلى : (تخلص نفسها منها وتقول فى تقزز) أوه ، كيف أمكنك أن تذكرينى به ياهزيون ؟

مستر هشابای : آسفة ياعزيزتى ، أظننى أسمع صوت هكتور عائدا ، ولن يهمك ذلك الآن ، أليس كذلك ياعزيزتى ؟

ايلى : لن يهمنى اطلاقا . لقد شفيت تماما .

هكتور : (وهو يفتح الباب ويدع ما تزينى يتقدمه) ثانية واحدة وكانت المرأة تصبح فى عداد الأموات !

ماتزينى : عجبا ! عجبا ! ياللحظ ! ايلى ياحبيبتى ، كان مستر هشابای يقص علىّ الآن أغرب ...

ايلى : نعم ، لقد سمعتها (تتجه الى الجانب الآخر من الحجرة) .

هكتور : (يتبعها) انها حادثة أخرى ، وسأقصها عليك بعد العشاء ، وأظنها ستعجبك ، الحق أننى ألفتها من أجلك ، وكنت أنتظر اللحظة السارة ، عندما

أقصها عليك ، ولكن عندما طردت من الحجـرة انتابتنى حالة ضجر جعلتنى أقذف بها الى والدك

ايلى : (تلتفت متحفزة وقد أسندت ظهرها الى منضدة النجار ، وتقول بثبات وازدراء) انك لم تقذف بها ، فقد صدقها ، ولو كنت أنا التى سمعتها لما صدقتها .

ماتزينى : (بطيبة) ان ايلى شقية جدا يا مستر هشاباى ، طبعا ليس هذا رأيها الحقيقى (يذهب الى رفوف الكتب ويفحص عناوين المجلدات) .

(يدخل الرئيس مانجان من الصالة يتبعـه القبطان . مانجان يلبس الفراك بأناقة كأنه ذاهب الى الكنيسة أو الى اجتماع المديرين ، وهو رجل فى نحو الخامسة والخمسـين ، يبدو على وجهه الهم والارتياب ، يراعى فى مسلكه كبرياء موهومة لا أساس لها . لونه كاب وشعره طويل خال من البريق وملامحه عادية بحيث يستحيل وصفها)

القبطان شنوفر : (مقدما القادم الجديد لمسز هشاباى) يقول ان اسمه مانجان . وهو ليس قوى الجسم .

مسز هشاباى : (مرحبة) كيف حالك يا مستر مانجان .

مانجان : (يصافحها) سعيد جدا بمعرفتك .

القبطان شتوفر : لقد فقد دن قوة عضلاته ولكنه استرد قوة أعصابه ، وقلما يستطيع أحد ذلك بعد أن يصاب بالهذيان الكحولى ثلاث مرات (يذهب الى الكيلار) .

مسز هشباى : أهنئك يا مستر دن .

ماتزينى : (مذهولا) اننى لم أذق الخمر طول عمرى .

مسز هشباى : أهون عليك جدا أن تترك أبى على رأيه ، ولا تحاول أن توضح له الأمر .

ماتزينى : ولكن -- ثلاث مرات بالهذيان الكحولى ! حقا !

مسز هشباى : (لمانجان) أتعرف زوجى يا مستر مانجان ؟ (تشير الى هكتور) .

مانجان : (يتجه الى هكتور الذى يستقبله مادًا ذراعيه) سعيد جدا بمعرفتك (يلتفت الى ايلى) أرجو ألا تكونى قد وجدت الرحلة متعبة يا مس ايلى (يتصافحان) .

مسز هشباى : أرشد مستر دن الى حجرته يا هكتور .

هكتور : بلا شك ، هيا بنا يا مستر دن (يخرج مع ماتزينى) .

ايلى : انك لم ترشدينى الى حجرتى بعد ياهزيون .

مسز هنسباى : يا لغبائى ! تعالى معى ، خذ راحتك يا مستر مانجان ، وسيسامرك أبى (تنادى أباها من الكيلار) أبى ، تعال لتصف البيت لمستر مانجان.

(تخرج مع ايلى فى الوقت الذى يدخل فيه القبطان من الكيلار)

القبطان شتوفر : انك ستتزوج ابنة دن ، لا تفعل ذلك ، ففرق السن بينكما كبير .

مانجان : (مذهولا) عجبا ! هذا كلام خشن ياقبطان .

القبطان شتوفر : ولكنه الحق .

مانجان : ليس هذا رأيها .

القبطان شتوفر : بل هو رأيها

مانجان : رجال أكبر منى سنا - -

القبطان شتوفر : (يتمم عبارته) ارتكبوا حماقات . هذا أيضا صحيح .

مانجان : (بعزة) لست أرى أن هذا من شئونك .

القبطان شتوفر : انه من شئون كل انسان ، فان النجوم فى مساراتها ترتجف عندما يحدث شىء كهذا .

مانجان : ومع ذلك فسوف أتزوجها .

القبطان شتوفر : وما أدراك ؟

مانجان : (مصطنعا أسلوب الرجل القوى) هذا ما أريده، هذا ما أنويه ، أفهمت ؟ وما عزمت على فعل شيء قط الا ونفذته ، فهذه طبيعتى ، ومن الخير لكى يكون بيننا تفاهم أن تذكر ذلك دائما ياقبطان.

القبطان شتوفر : انك تتردد على دور السينما .

مانجان : ربما ، من أخبرك ؟

القبطان شتوفر : تكلم كرجل لا كشخص فى رواية سينمائية ، أتعنى أنك تربح مائة ألف فى العام ؟

مانجان : لست متباهيا ، ولكنى عندما أقابل شخصا يربح مائة ألف فى العام أرفع قبعتى محييا وأمد يدى مصافحا وأناديه يا أخى .

القبطان شتوفر : اذن فأنت أيضا تربح مائة ألف فى العام ، هِه ؟

مانجان : كلا ، هذا ما لا أزعمه ، لعلى أربح خمسين ألفا .

القبطان شتوفر : اذن فأنت أخو غير الشقيق (ينصرف عنه فى فظاظة كعادته ليجمع فناجين الشاى ويضعها على الصينية) .

مانجان : (فى ضيق) استمع الىّ ياقبطان شتوفر . لست أفهم وضعى هنا . لقد جئت تلبية لدعوة ابنتك ، وانى لأسأل أفى منزلها أنا أم فى منزلك ؟

القبطان شنوفر : انك تحت قبة السماء ، فى بيت الله ، كل ما هو حق بين هذه الجدران فهو حق خارجها . اقطع البحار ، اصعد الجبال ، طف خلال الوديان ، انها ستظل على الرغم من ذلك أصغر منك كثيرا .

مانجان : (فى ضعف وتخاذل) ولكنى لم أتجاوز الخمسين الا بقليل .

القبطان شنوفر : انك دون الستين بقليل ، أيها الرئيس مانجان ، لن تتزوج ابنة القرصان (يحمل الصينية الى الكيلار) .

مانجان : (يتبعه الى الباب النصفى) ابنة أى قرصان ؟ عم تتحدث ؟

القبطان شنوفر : (وهو فى الكيلار) ايلى دن ، انك لن تتزوجها .

مانجان : من ذا يسعنى ؟

القبطان شنوفر : (يبرز من الكيلار) ابنتى (يتجه الى الباب الموصل الى الصالة) .

مانجان : (يتبعه) مسز هشاباى ! أتعنى أنها أحضرتنى الى هنا لتفسخ الخطبة ؟ .

القبطان شنوفر : (يقف ويلتفت اليه) لا أعرف الا ما رأيته فى عينيها ؛ انها ستفسخ الخطبة . اسمع نصيحتى

وتزوج زنجيـــة من جزر الهند الغربيـــة فانهن زوجات صالحات . لقد تزوجت احداهن لمدة عامين .

مانجان : يا لنكد طالعى !

القبطان شتوفر : هذا ما ظننته ، وقد كنت كذلك سنين طويلة ، وخلصتنى الزنجية .

مانجان : (بضعف) هذا عجيب ، يجب أن أخرج من هذا البيت .

القبطان شتوفر : لماذا ؟

مانجان : حسن ، ان أسلوبك فى الكلام قد يسوء رجلا كثيرين .

القبطان شتوفر : هراء ! ان النوع الآخـر من الكلام هو الذى يسبب الشجار ، أما أنا فلا أحد يتشاجر معى ألبتـــة .

(يدخل من البهو سيد تدل أناقة ملابســـه ونعومة مسلكه على أنه من أهالى وست اند المهذبين . يبدو على مظهره ظرف شاب صغير أعزب ، فاذا دققت النظر فيـــه رأيت أنه تجاوز الأربعين على الأقل)

السيد : معذرة لتطفلى بهذه الطريقة ، ولكنى لم أجـد

مطرقة على الباب ؛ ويبـدو أن جرس البـاب لا يدق .

القبطان شتوفر : وما الحاجة الى مطرقة ؟ ولماذا يدق الجرس ؟ ان الباب مفتوح .

السيد : بالضبط ، ولهذا تجاسرت ودخلت .

القبطان شتوفر : أحسنت ، سأعد حجرة لك (يتجه الى الباب) .

السيد : (يقفه) ولكنى أظنك لا تعرف من أنا .

القبطان شتوفر : أتحسبنى وأنا فى هذه السن أفرق بين مخلوق وآخر ؟

(يخرج ويترك مانجان والقادم الجـديد يحملق كل منهما فى الآخر)

مانجان : القبطان شتوفر شخصية غريبة ياسيدى .

السيد : جـدا .

القبطان شتوفر : (يصيح من الخارج) هزيون ، زائر جديد حضر ويريد غرفة ، رجل مجتمعات ، حسن الملبس ، فى الخمسين من عمره .

السيد : تخيل كيف يكون شعور هزيون ! هل لى أن أسأل ان كنت أحد أفراد الأسرة ؟

مانجان : لا .

السيد : أنا واحد منهم ، أو على الأقل تربطنا قرابة .

(تعود مسز هشاباى)

مسز هشاباى : كيف حالك ؟ لطيف منك أن جئت !

السيد : انى سعيد حقا بمعرفتك يا هزيون (يقبلها بدلا من مصافحتها وفى نفس اللحظة يظهر القبطان شتوفر عند الباب) أرجو المعـذرة لأنى قبلت ابنتك ياقبطان ، عندما أخبرك أن ..

القبطان شتوفر : هراء ! كل انسان يقبل ابنتى ، فقبلها كما يحلو لك .

(يتجه الى الكبلار)

السيد : شكرا ، لحظة واحدة يا قبطان (يقف القبطان ويستدير ليواجهه فيذهب اليه السيد مترددا) لعلك تذكر — أو لعلك لا تذكر فقد مرت أعوام طويلة على ذلك — أن ابنتك الصغرى تزوجت من رجل غبى .

القبطان شتوفر : نعم ، لقد قالت انها ستتزوج أى رجل لتبتعد عن هذا البيت . ما كنت لأعرفك فرأسك لم يعـد يشبه جوزة الهند ، ومظهرك أكثر رقة . لا شك أنك تقلبت فى النعماء سنوات وسنوات شأن الأزواج ، يا لك من مسكين (يختفى فى الكيلار)

مسز هشباى : (تتجه الى السيد تاركة مانجان ثم تتفحصه) لا أظنك هيستنجز أترووود .

السيد : لا .

مسز هشباى : لماذا اذن قبلتنى ؟

السيد : رأيت ذلك يسرنى . الحقيقة هى أنى راندل أترووود ، شقيق هيستنجز الأصغر التافه . وقد كنت فى السلك السياسى فى الخارج عندما تزوج .

ليدى اترووود : (تندفع داخلة) أين مفتاح الصوان الذى فى حجرتى ياهزيون ؟ ان مجوهراتى فى الحقيبة ويجب أن أحفظها فى مكان أمين — (تفاجأ عندما تتبين الرجل الغريب) راندل ، كيف تجرؤ ؟

(تتجه اليه مارة بهزيون التى تتراجع حتى تقف بجانب مانجان بالقرب من الأريكة)

راندل : كيف أجرؤ على ماذا ؟ انى لم أفعل شيئا .

ليدى اترووود : من أخبرك أنى هنا ؟

راندل : هيستنجز . وعندما ذهبت لزيارتك فى فندق كلاريدج علمت أنك رحلت قبل وصولى بقليل ، فتبعتك الى هنا . يبدو أنك فى حالة طيبة جدا .

ليدى أتروود : لا تجترىء علىّ بهذا القول .

مسز هشباى : ما خطب المستر راندل يا آدى ؟

ليدى أتروود : (تتمالك نفسها) أود ، لا شيء . ولكن لا يحق له أن يأتى لمضايقتك أنت وأبى دون أن يكون مدعوا . (تذهب الى المقاعد تحت النوافذ وتجلس فى ضيق محولة وجهها عنهم الى الحديقة حيث يرى هكتور وايلى يتجولان معا) .

مسز هشباى : أظنك لم تقابلى مستر مانجان من قبل يا آدى .

ليدى أتروود : (تدير رأسها وتحنيها فى برود لمانجان) أرجو المعذرة . لقد أثرتنى جدا يا راندل حتى جعلتنى أتصرف كالحمقاء .

مسز هشباى : ليدى أتروود ، أخنى ، أختى الصغرى .

مانجان : (ينحنى) سعيد بمقابلتك ياليدى أتروود .

ليدى أتروود : (فى اهتمام واضح) من ذلك السيد الذى يمشى فى الحديقة مع مس دن ؟

مسز هشباى : لا أدرى ، فقد تشاجرت مشاجرة عنيفة مع زوجى منذ عشر دقائق فقط ، ولا أعلم أن شخصا جديدا حل بالبيت ، انه زائر ولا ريب

(تذهب الى النافذة وتنظـر منها) أوه ، انه هكتور ، لقد تصالحا .

ليدى أتروود : زوجك ! ذلك الرجل الوسيم ؟

مسز هشباى : عجبا ، ولِم لا يكون زوجى رجلا وسيما ؟

راندل : (ينتقل الى جانبهما عند النافذة) لا يمكن أن يكون الزوج وسيما يا أردياذ (يجلس الى يمين ليدى أتروود) .

مسز هشباى : زوج الشقيقة وسيم دائما يا مستر راندل .

ليدى أتروود : لا تكن فظـا يا راندل ، وأنت ياهزيون ، انك لست خيرا منه .

(تدخل ايلى يتبعها هكتور من الباب الأيمن قادمـين من الحـديقة ، فينهض راندل وتتراجع ايلى الى الركن المجـاور للكيلار ، يتقدم هكتور بينما تقف ليدى أتروود محاولة أن تبدو فى أحمل مظهر)

مسز هشباى : هكتور ، هذه آدى .

هكتور : (فى دهشة واضحة) ليست هذه السيدة !

ليدى أتروود : (مبتسمة) ولِم لا ؟

هكتور : (ينظر اليها نظرة ثاقبة تنم عن اعجـاب عميق الا أنه ممتزج بالاحترام وقد انتفش شاربه)

كنت أظن — (يتمالك نفسه) معذرة ياليدى أترووود ، انه ليسرنى غاية السرور أن أرحب بك أخيرا فى منزلنا (يقدم يده وهو ينحنى فى احترام) .

مسز هشباى : انها تريد أن تتقبل ياهكتور .

ليدى أترووود: هزيون ! (ولكنها ما زالت مبتسمة) .

مسز هشباى : نادها باسم آدى ، وقبلها كما يقبل الرجل الطيب أخت زوجته ، ودعنا نتته من هذا الأمر (تتركهما وحدهما) .

هكتور : الزمى الأدب ياهزيون ، فان الليدى أترووود ليست جديرة بالاكرام فقط بل بلطف المعاملة أيضا .

ليدى أترووود: (فى امتنان) شكرا ياهكتور (يتصافحان فى حرارة) .

(يرى ماتزيبى دن وهو يقطع الحديقة من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر)

القبطان شتوفر : (يقبل من الكيلار ويخاطب ايلى) لقد استحم والدك .

ايلى : (فى هدوء تام) انه غالبا ما يفعل ذلك ياقبطان شتوفر .

القبطان شتوفر : تغير غريب ! لقد رأيته من نافذة الكيلار .

(يدخل ماتزيني دن من الباب الأيسر وقد رجل شعره ويبدا أنه خرج لفوره من الحمام، ويقف بين مانجان ومسز هشـــاباى وهو يبتسم فى طيبة)

مسز هشاباى : (تقوم بالتعريف) مستر ماتزينى دن ، ليدى أتـ ... أوه ، نسيت أنكما تقابلتما (تشير الى ايلى) مس دن .

ماتزيني : (يعبر الحجرة ليمسك بيد ايلى ، وقد أشرق وجهه رضى عن سخريته الماكرة) انى أعرف مس دن أيضا ، فانها ابنتى .

(يضم ذراعها فى ذراعه ملاطفا)

مسز هشاباى : بالطبع ، يالغبائى ! مستر أترووود ، ا ..

راندل : (يصافحه مسرورا) انى شـــقيق زوج أختها يا مستر دن ، كيف حالك ؟

مسز هشاباى : وهذا زوجى .

هكتور : لقد تقابلنا جميعا ياعزيزتى ، فلا حاجة بك لتقديم بعضنا الى بعض بعد الآن (يتجه الى الكرسى الكبير وهو يضيف) ألا تجلسين ياليدى أترووود؟

(تجلس بمودة كبيرة) .

مسز هشابای : آسفة ، فانى أكره تعريف الناس بعضهم ببعض ، انه عمل يشبه أن تطلب من كل واحد ابراز تذكرته .

ماتزينى : (متفلسفا) وما أقل ما نعرف مع ذلك !! ليس المهم معرفة من نحن ولكن ما نحن .

القبطان شتوفر : ها ! وما أنت ؟

ماتزينى : (مأخوذا) ما أنا ؟

القبطان شتوفر : لص وقرصان وقاتل .

ماتزينى : أؤكد لك أنك مخطىء .

القبطان شتوفر : انك عشت حياة كلها مخاطرات ، ولكن الام انتهت ؟ منزلة محترمة ، وابنة جميلة كضوء النهار ، وحديث ومظهر كأنهما لأحد رجال الدين فى المدن . فليكن هذا درسا لكم جميعا .

(يخرج الى الحديقة)

ماتزينى : أرجو ألا يصدق أحدكم أنى لص أو قرصان أو قاتل ، اسمحى لى لحظة يا مسز هشابای ، يجب أن أذهب لأوضح له الأمر .

(يتبع القبطان)

مسز هشابای : (وهو خارج) لا فائدة ، خير لك فى الواقع ... (ولكن دن يكون قد اختفى) خير لنا أن نخرج

جميعا لتناول الشاى ، اننا لا نتناول الشاى فى مواعيد محددة ، ولكنكم تستطيعون أن تجدوه دائما كلما أردتم ، فالخدم يتركونه على النار طول النهار ، وخير مكان تطلبونه فيه شرفة المطبخ ، هل أدلكم على الطريق ؟ (تتجه الى الباب الأيمن) .

راتدل : (ذاهبا معها) شكرا لك . لا أظننى سأشرب شايا هذا العصر ، ولكن هل لك أن ترينى الحديقة .. ؟

مسز هشباى : ليس فى الحديقة ما يستحق الرؤية الا مرصد أبى ، وحفرة رملية فيها كهف يحفظ فيه الديناميت وما اليه . مع ذلك فالجو فى الخارج أبهج . هيا بنا .

راتدل : ديناميت ! أليس فى هذا شىء من الخطر ؟

مسز هشباى : اننا لا نجلس فى الحفرة الرملية عندما تثور العاصفة .

ليدى اتروود : هذا شىء جديد ، وما الحاجة الى الديناميت ؟

هكتور : لينسف الجنس البشرى ان تجاوز حده . انه يحاول اكتشاف أشعة روحية تشعل كل المتفجرات بارادة « مهاتما » .

ايلى : شاى القبطان لذيذ يا مستر أترووود .

مسز هشاباى : (تقف عند الباب) أتعنين أنك شربت من شاى أبى ؟ أنك كسبت وده ولم يمض عليك فى البيت عشر دقائق ؟

ايلى : هذا ما حدث .

مسز هشاباى : يا لك من شيطانة صغيرة (تخرج مع راندل) .

مانجان : ألا تأتين يا مس ايلى ؟

ايلى : انى متعبة أشد التعب . سآخذ كتابا وأصعد الى حجرتى لأستريح قليلا (تذهب الى رفوف الكتب) .

مانجان : حسن ، هذا خير ما تفعلين ، وان كنت قد خيبت أملى (يتبع راندل ومسز هشاباى) .

(يبقى فى الحجرة ايلى وهكتور وليدى أترووود ، وقد جلس هكتور الى جانب ليدى أترووود فى انتظار خروج ايلى)

ايلى : (تقرأ عنوان أحد الكتب) أتحبين قصص المغامرات يا ليدى أترووود ؟

ليدى أترووود : (مشجعة) بالطبع يا عزيزتى .

ايلى : سأتركك اذن مع مستر هشاباى (تخرج عن طريق الصالة) .

هكتور : هذه الفتاة مجنونة بقصص المغامرات ، ما أكثر الأكاذيب التى اضطررت أن أحدثها بها !

ليدى آتروود : (غير مهتمة بايلى) ماذا كنت تعنى بقولك أظن ثم سكوتك فجأة عندما رأيتنى ؟ ماذا كنت تظن؟

هكتور : (يثنى ذراعيه على صدره وينظر اليها نظرة خلابة) هل لى أن أخبرك ؟

ليدى آتروود : بالطبع .

هكتور : كانت عبارة خالية من الذوق فقد كنت على وشك أن أقول « ظننتك امرأة غير جميلة » .

ليدى آتروود : أوه ، ألا تخجل ياهكتور ؟! بأى حق تلاحظ ان كنت امرأة جميلة أو غير جميلة ؟

هكتور : استمعى الىّ يا أريادن ، انى لم أرك قبل اليوم الا فى الصور ، ولن تستطيع أية صورة اظهار السحر الغريب الذى لابنتىّ ذلك الرجل العجوز الخارق للطبيعة ، ففيهما صفة لعينة تدمر الشعور الأخلاقى عند الرجال ، وتحملهم بعيدا عن اعتبارات الشرف والعار . انك تعرفين هذا ، أليس كذلك ؟

ليدى آتروود : ربما كنت أعرفه ياهكتور ، ولكن دعنى أحذرك

للمرة الأولى والأخيرة انى امرأة محافظة شديدة الصلابة . لعلك تحسبنى بوهيمية لأننى ابنة شتوقر ، فقد بلغنا جميعا مدى بعيدا فى البوهيمية ، ولكنى لست كذلك ، انى أكره البوهيمية وأشمئز منها ، ولقد قاسيت من بوهيميتنا ما لا يقاسيه من التشدد أى طفل عاش فى أسرة متطهرة متشددة فى الدين .

هكتور : وهذا حال أولادنا ، ولذلك يقضون اجازاتهم ضيوفا على زملائهم المحترمين .

ليدى آتروود : سأدعوهم ليقضوا عندى عيد الميلاد .

هكتور : ان غيابهم يتركنا كلينا بدون حماتنا الطبيعيين .

ليدى آتروود : لا شك أن الأطفال متعبون جدا فى بعض الأحيان ، ولكن العقلاء يستطيعون دائما أن يسوسوهم ، الا اذا كانوا من البوهيميين .

هكتور : انك لست بوهيمية ، كما أنك لست متشددة ، ولكن فيك جاذبية حية قوية ، فمن أى نوع من النساء تعدين نفسك ؟

ليدى آتروود : اننى امرأة مجتمعات ياهكتور ، وأذكر لك انك اذا حرصت دائما على أن تسلك السلوك المهذب،

وتقول الكلام المهذب فسيكون فى استطاعتك أن تفعل ما تريد ، فالمرأة المهملة سيئة السلوك لا تجد أى فرصة ، والرجل المهمل سيىء السلوك لا يسمح له أبدا أن يقترب قيد ذراع من امرأة تستحق أن تعرف .

هكتور : فهمت ، أنت لست امرأة بوهيمية ، ولست امرأة متشددة ، ولكنك امرأة خطرة .

ليدى آتروود : على العكس ، انى امرأة مأمونة .

هكتور : أنت امرأة جذابة الى حد اللعنة ، افهمى جيدا أننى لا أغازلك فلست أحب أن تجذبنى امرأة ، ولكن خير لك أن تعلمى شعورى ما دمت ستقيمين عندنا .

ليدى آتروود : أنت فاتن نساء شديد المهارة ياهكتور ، ووسيم جدا . وأنا أيضا أجيد هذه اللعبة كل الاجادة ، فهل تتفق على أنها مجرد لعبة ؟

هكتور : بالضبط ، أنا أمثل الحماقة عن قصد ، لمجرد شعورى بتفاهتى .

ليدى آتروود : (تنهض فى مرح) حسن ، انك زوج شقيقتى ، وقد سألتك هزيون أن تقبلنى (يضمها بين

ذراعيه ويقبلها قبلة حارة) أود ، هذا أكثر قليلا من مجرد اللعب يازوج أختى (تدفعه فجأة بعيدا عنها) لن تفعل هذا ثانية .

ايلى : الواقع أنك أنشبت مخالبك فىّ أعمق مما كنت أريد .

مسز هشابای : (تدخل من الحديقة) لا تدعا مجيئى يضايقكما . انما حضرت لآخذ قبعة لأبى فالشمس تغرب وقد يصيبه برد (تتجه الى الباب الموصل الى الصالة) .

ليدى أنروود : زوجك ظريف جدا ياعزيزتى ، فقد تنازل أخيرا وقبلنى فعلا ، سأذهب الى الحديقة فالجو الآن أكثر انعاشا . (تخرج من الباب الأيسر) .

مسز هشابای : حذار يا طفلى العزيز ، فلست أصدق أن أى رجل يستطيع أن يقبل آدى دون أن يقع فى حبها (تذهب الى الصالة) .

هكتور : (يضرب صدره بيده) مغفل ! تيس !

(تعود مسز هشابای ومعها قبعة القبطان)

هكتور : يا لشقيقتك من فتاة مجربة شديدة الجرأة . أين مس دن ؟!

مسز هشابای : أخبرنى مانجان أنها صعدت الى حجرتها لتنام قليلا ، لقد اختارتك آدى لنفسها ، ولن تسمح لك بمحادثة ايلى .

هكتور : ان فيها هذا السحر الشيطانى الذى تمتاز به أسرتكم ، لقد بدأت مغازلتها دون تفكير . ماذا أفعل ؟ أنا لا أستطيع أن أحب ، ولا أستطيع أن أجرح شعور امرأة باخبارها بذلك بينما هى تحبنى ، ولما كانت النساء يقعن دائما فى حب شاربى فان ذلك يضطرنى الى اللجوء الى كل أنواع المغازلات الممللة المفزعة دون أن أكون جادا فيها مطلقا .

مسز هشابای : أوه ، كذلك آدى ، انها لم تقع فى الحب طوال حياتها ، مع أنها ظلت تحاول أن تغرق فيه . وحالتها أسوأ من حالتك ، فأنت على الأقل ذقت طعم الحب الحقيقى مرة واحدة ، معي .

هكتور : كان ذلك جنونا . لا يمكننى أن أصدق أن مثل هذه التجربة العجيبة شىء عادى . لقد دمغتنى بطابعها ، وأظن أن هذا هو السبب فى أنى لم أستطع تكرارها قط .

مسز هشبای : (تضحك وهى تربت على ذراعه) لقد تدله كل منا فى حب الآخر ياهكتور . لقد كان حلما ساحرا حتى أنى لم أستطع بعد ذلك أن أبخل به عليك ولا على أى شخص آخر ، لقد دعوت كل أنواع الجميلات الى هذا المنزل لأقدم لك فرصة الوقوع فى حب جديد ، ولكن ذلك لم يحدث قط .

هكتور : لا أحسبنى أريد حدوثه . لقد كان خطرا الى حد اللعنة . انك سحرتنى ، ولكنى أحببتك فعشت فى نعيم ، وسحرتنى شقيقتك هذه ، ولكنى أكرهها ، فأنا فى جحيم . وسأقتلها ان لم تنته .

مسز هشبای : آدى لن يقتلها شىء . انها قوية كالحصان . (تترك ذراعه) سأذهب أنا الآن لأسحر شخصا ما .

هكتور : هذا المتأنق الذى يعمل فى وزارة الخارجية ؟ راندل ؟

مسز هشبای : أعوذ بالله ! ولماذا أسحره ؟

هكتور : لا أحسبك تعنين ذلك الرأسمالى المنتفخ مانجان؟

مسز هشابای : عم ! أظن الأحسن أن أسحره أنا ، بدلا من أن تسحره ايلى .

(تكون فى طريقها الى الحديقة عندما يدخل القبطان قادما منها وفى يده بعض العصى) ما الذى معك يا أبى ؟

القبطان شتوفر : ديناميت .

مسز هشابای : لقد ذهبت الى الحفرة الرملية . كن لطيفا ولا تلقه فى المنزل حيثما اتفق (تخرج الى الحديقة وقد اشتدت حمرة الشفق) .

هكتور : أنصت الىّ أيها الحكيم ، كم تستطيع أن تنصرف الى شعور واحد دون أن تخشى ثباته فى نفسك الى آخر العمر ؟

القبطان شتوفر : تسعين دقيقة ، ساعة ونصفا (يذهب الى الكيلار) .

(يبقى هكتور وحيدا فيعقد حاجبيه ويسرح ، يظل بلا حراك بعض الوقت ثم يثنى ذراعيه على صدره ، ثم يطوح يديه خلف ظهره ويقبض باحداهما على الأخرى ، وفجاة يخطف عصاه من فوق المنضدة الصغيرة ويسحب منها السيف الموجود بداخلها ، ويحارب خصما وهميا فى مبارزة يائسة ، وبعد اقبال

وادبار ينفد سيفه حتى مقبضه فى جسد الفريم ، ثم يغمد سيفه فى العصا ويرميها على الأريكة بينما يغرق فى حلم جديد ، فيحملق فى عين امرأة خيالية ويمسك ذراعيها ويقول فى صوت عميق أخاذ «أتحبيننى ؟!». وفى هذه اللحظة يعود القبطان من الكيلار فيرى هكتور وقد مد ذراعيه مشددا قبضتيه. فيضطر الى تبرير موقفه بمجموعة من الحركات الرياضية)

القبطان شتوفر : لا فائدة من هذا النوع من القوة ، فلن تكون أبدا أقوى من الغوريللا .

هكتور : وما فائدة الديناميت ؟

القبطان شتوفر : يقتل أمثال مانجان .

هكتور : لا فائدة ، فهم دائما يستطيعون أن يشتروا من الديناميت أكثر مما تستطيع .

القبطان شتوفر : سأصنع نوعا من الديناميت لا يستطيع تفجيره .

هكتور : وتستطيع أنت ، أليس كذلك ؟

القبطان شتوفر : بلى ، اذا ما وصلت الى درجة التركيز السابعة .

هكتور : وما الفائدة ؟ انك لن تصل الى هذه الدرجة أبدا.

القبطان شتوفر : ما العمل اذن ؟ أنظل الى الأبد فى الوحل الذى يدفعنا اليه هؤلاء الخنازير الذين لا يرون فى

الدنيا الا آلة لدهن شعورهم الخشنة وملء خراطيمهم ؟

هكتور : أترى شعر مانجان الخشن أسوأ من خصلات راندل الناعمة ؟

القبطان شتوفر : يجب أن نستولى على قوى الحياة والموت دونهما معا . اننى أرفض الموت حتى أخترع الوسيلة .

هكتور : ومن تكون حتى نحكم عليهم ؟

القبطان شتوفر : وما يكونون حتى يحكموا علينا ؟ ومع ذلك فهم يفعلون دون تردد ، ان بين بذرتنا وبذرتهم عداوة ، وهم يعلمون ذلك ويعملون حسب علمهم ، فيزهقون أرواحنا . انهم يؤمنون بأنفسهم ، وسوف نقتلهم عندما نؤمن نحن بأنفسنا .

هكتور : ان البذرة واحدة ، أنسيت أن لقرصانك ابنة غاية فى الملاحة ، وقد يصبح ابن مانجان فيلسوفا كأفلاطون ، وابن راندل شاعرا كشيلى ، ماذا كان والدى ؟

القبطان شتوفر : شر من قابلت من الأوغاد (يعيد لوحة الرسم

الى مكانها ويجلس الى المنضدة ثم يبدأ فى مزج بعض الألوان) .

هكتور : بالضبط ، حسن ، أتجرؤ على قتل أحفاده الأبرياء ؟

القبطان شتوفر : انهم أيضا أحفادى .

هكتور : تماما ، فنحن أعضاء أسرة واحدة (يلقى بنفسه على الأريكة فى تراخ) أقول لك انى كثيرا ما فكرت فى قتل الحشرات الانسانية كما تقول ، وقد فكر كثير من الرجال فى ذلك ، فالرجال الطيبون كدانيال فى جب الأسد ، نجاتهم من الموت معجزة ، وقد لا ينجون . اننا نعيش بين أمثال مانجان وراندل وبيلى دن كما يعيش هؤلاء المساكين بين الأمراض والجراثيم والأطباء والمحامين والقسس وندل المطاعم والتجار والخدم وسائر الطفيليين ومبتزى المال ، فما قيمة رعبنا بالنسبة الى رعبهم ؟ أعطنى القوة التى تمكننى من قتلهم ، ولسوف أعفو عنهم لمجرد ..

القبطان شتوفر : (يقاطعه فى حدة) شعور الأخوة ؟

هكتور : كلا ، فلو اعتقدت ذلك لقتلت نفسى ، يجب أن

أومن أن الشرارة التى فى نفسى مهما صغرت شرارة الهية ، وأن النور الأحمر على أبوابهم هو نار جهنم . سأعفو عنهم لا لشىء الا للعطف الكريم .

الفيكونت شتوفر : لن تستطيع العفو عنهم الا اذا كان فى قدرتك أن تقتلهم ، أما الآن فانهم هم القادرون على قتلك : انهم يملكون ملايين السود وراء البحار يدربونهم ليطلقوهم علينا ، وانهم سيفعلون ذلك ، بل انهم يقومون بذلك فعلا .

هكتور : انهم أغبى من أن يستخدموا قوتهم .

الفيكونت شتوفر : (يضع فرشاته ويتجه الى طرف الأريكة) انهم يستخدمونها فلا تخدع نفسك ، اننا نقتل النصف الخير من نفوسنا كل يوم استرضاء لهم: فمعرفتنا أن هؤلاء الناس يقفون سدا أمام مطامحنا يمنعنا فعلا من الطموح ، وكلما حاولنا أن نحطمهم سلطوا علينا شياطين لتضللنا : شياطين متخفية فى هيئة فتيات جميلات ومغنيات وشعراء ونحو ذلك ، ومن أجل هؤلاء نعفو عنهم .

هكتور : (يعتدل فى جلسته ويميل نحوه) أرجو ألا تكون هزيون احدى هؤلاء الشياطين قدمتها الىّ ، والا كان الواجب علىّ أن أذبحك .

القبطان شتوفر : هذا جائز ، وقد استهلكتك ولم تبق لك سوى الأحلام ، كدأب بعض النساء .

هكتور : النساء مصاصات الدماء ، الشياطين .

القبطان شتوفر : هناك رجال يحسبون أن الدنيا قد أفلتت من أيديهم ، وهكذا تضيع منهم . من هم الرجال الذين يعملون ؟ انهم أزواج السليطات والسكيرات ، أولئك الذين فى جنوبهم الشوك . (يسير الى الكيلار شارد الفكر) يجب أن أفكر فى هذه المسائل (يلتفت فجأة) ولكنى مع ذلك سأواصل العمل فى الديناميت ، سأكتشف أشعة أقوى من أشعة اكس ، أشعة عقلية تفجر الذخيرة فى حزام غريمى قبل أن يستطيع تصويب بندقيته نحوى ، ويجب أن أسرع فانى عجوز ولم يعد لى وقت أضيعه فى الكلام . (يكون فى سبيله الى الكيلار وهكتور فى سبيله الى الصالة عندما تعود هزيون) .

هزيون : أبى ، يجب أن تحضر أنت وهكتور للترحيب بكل هؤلاء الناس ، فيم بالله كنتما تصيحان ؟

هكتور : (يقف عن ادارة أكرة الباب) انه أكثر جنونا من المعتـــاد .

مسز هشابای : كلنا كذلك .

هكتور : يجب أن أغير ملابسى (يستأنف فتح الباب) .

مسز هشابای : قف ، قف ، ارجعا كلاكما ، ارجعا (يرجعان على مضض) كادت النقود تنفد .

هكتور : النقود ! وأين أرباح شهر ابريل من أسهمى ؟

مسز هشابای : أين الثلوج التى سقطت فى العام الماضى ؟

القبطان شتوفر : وأين كل النقود التى أخذتها فى مقابل بيع حقوق قارب النجاة الذى اخترعته ؟

مسز هشابای : خمسمائة جنيه ، وقد جعلتها تكفينا منذ عيد الفصح !

القبطان شتوفر : منذ عيـــد الفصح ! أربعـــة أشـــهر لا تزيد ! ياللاسراف الفظيع ! كنت أستطيع أن أعيش بهذه الجنيهات الخمسمائة سبع سنوات .

مسز هشابای : ما كنت تســـتطيع أن تنفق على منزل مفتـــوح للضيوف كما تفعل يا أبى .

القبطان شتوفر : خمسمائة جنيه فقط لقارب النجاة ! لقد حصلت على اثنى عشر ألفا فى الاختراع السابق .

مسز هشابای : نعـــم يا أبى ، ولكن ذلك كان للســـفينة ذات القاعدة المغناطيسية التى تشـــفط الغواصات ، وما دمنا نعيش على هذا المستوى فلا يمكنك أن تقدم اختراعات لانقاذ الحياة : هل يمكنك أن تفكر فى اختراع يقتل نصف أوربا دفعة واحدة ؟

البطان شتوفر : كلا ، فانى أهرم بسرعة ، ولم يعد عقلى يفكر فى القتل كما كان يفعل وأنا صبى . لماذا لا يخترع زوجك شيئا ؟ ان كل ما يفعله هو أنه يقـــص الأكاذيب على النساء .

هكتور : حسن ، انه نوع من الاختراع ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فأنت على حق ، اذ يجب أن أعـــول زوجتى .

مسز هشابای : لن تفعل شيئا من هـــذا القبيل . فمعنـــاه أنى سأحرم من رؤيتك بين الافطار والغداء ، وأنا أريد زوجى .

هكتور : (فى مرارة) كأنى كلبك المدلل .

مسز هشابای : أتريد أن تكون عائـــلى كغـــيرك من الأزواج المساكين ؟

هكتور : كلا ورب السماء ! ان الزوج مخلوق كريه على كل حال !

مسز هشابای : (للقبطان) وماذا تم فى مدفع الرماح ؟

القبطان شتوفر : لا فائدة منه ، فانه يقتل الحيتان لا الناس .

مسز هشابای : ولِم لا ؟ تطلق الحربة من المدفع فتصيد قائد جيش الأعداء فتجره بالبكرة ، وهكذا ينتهى الأمر .

هكتور : أنت ابنة أبيك ياهزيون .

القبطان شتوفر : فكرة ، لا لاصطياد القواد ، فانهم غير خطرين ، ولكن يمكن اطلاق خطاف لاصطياد مدفع ميكانيكى أو حتى دبابة ، سأفكر فى ذلك .

مسز هشابای : (تضغط على ذراع القبطان فى محبة) نجونا ! ما أشد محبتى لك يا أبى ، والآن علينا أن نعود الى هؤلاء الناس الفظعاء لتؤنسهم .

القبطان شتوفر : انهم لم يتناولوا عشاء بعد ، فلا تنسى ذلك .

هكتور : وأنا أيضا ، وقد أظلمت الدنيا ، ولا بد أن الوقت تأخر .

مسز هشابای : أوه ، ستقدم لهم جينيس عشاء ما ، فالخدم يحرصون دائما على أن يكون فى المنزل طعام .

القبطان شتوفر : (يرفع صوته فى الظلام فى ولولة غريبة) يا له من منزل ! ويا لها من ابنة !

مسز هشباى : (بجنون) يا له من أب !

هكتور : (يحذو حذوها) يا له من زوج !

القبطان شتوفر : أما فى السماء من رعد ؟

هكتور : أو ليس فى الأرض جمال ولا شجاعة ؟

مسز هشباى : ماذا يريد الرجال ؟ انهم يجدون طعامهم معدا ، وجلستهم بجانب المدفأة ، وملابسهم وقد أصلحت ، ثم نهبهم حبنا آخر النهار ، فلماذا لا يرضون ؟ لماذا يحسدوننا على الآلام التى تتكبدها فى اخراجهم الى هذا العالم ، ويخلقون لأنفسهم أخطارا وآلاما غريبة ليتساووا بنا ؟

القبطان شتوفر : (يغنى بصوت غريب) .

بنيت بيتا لابنتى ، وتركت أبوابه مفتوحة
ليحضر الرجال ويختاروا ، وينجبوا خلفا صالحا
ولكن احداهما تزوجت غبيا

هكتور : (متمما البيت) وتزوجت الأخرى كذابا

مسز هشباى : (متممة المقطوعة) .

والآن عليها أن ترقد بجواره ، حتى وهى ترتب الفراش .

ليدى آرروود : (تصيح من الحديقة) هزيون ! هزيون ! أين أنت ؟

هكتور : القطة تتوثب .

مسز هشباى : هأنذى ياحبيبتى ، هأنذى (تخرج مسرعة الى الحديقة)

(يعود القبطان الى مكانه من المنضدة)

هكتور : (يتجه الى الصالة) هل أضىء لك الحجرة ؟

القبطان شتوفر : كلا ، انى فى حاجة الى ظلام أشد ، فالمال لا يجمع فى النور .

الفصل الثانى

(نفس الحجرة وقد أضيئت أنوارها واسدلت ستائرها . تدخل ايلى يتبعها مانجان وقد ارتديا ثياب السهرة ، تسير ايلى فى تراخ نحو منضدة الرسم ، بينما يقف مانجان بين المنضدة والكرسى القش)

مانجان : يا لها من وليمة ! بل هى وجبة اذ لا أستطيع أن أسميها وليمة .

تايلى : انك اعتدت الوجبات يا مستر مانجان ، وانى لأعد نفسى سعيدة الحظ اذا حصلت عليها ، ثم ان القبطان أعد لى شيئا من المكرونة .

مانجان : (يرتعد فى ألم المريض بالكبد) انها دسمة جدا ، وأنا لا أستطيع أكل مثل هذه الأشياء . لعل السبب هو اضطرارى الى العمل الذهنى الشاق ، وهذا أسوأ ما فى حياة رجل الأعمال ، فانه دائما يفكر ويفكر ويفكر . وبهذه المناسبة ،

هل لى أن أنتهز فرصة وجودنا وحدنا وأصل الى بعض التفاهم معك ؟

ايلى : (تجلس على كرسى الرسام) بالطبع ؛ فهذا يسرنى .

مانجان : (فى دهشة) حقا ؛ ان هذا يدهشنى ، فقد خلت آنك تجنبتنى بعد ظهر اليوم قدر استطاعتك . ولم تكن هذه أول مرة على أى حال .

ايلى : كنت شديدة التعب والاضطراب ، ولم أكن قد ألفت أساليب هذا المنزل العجيب . أرجو أن تسامحنى .

مانجان : أوه ، لا بأس ، فليس هذا ما يشغلنى ، ولكن القبطان شتوفر تحدث معى عنك ، عنك وعنى كما تعلمين .

ايلى : (فى اهتمام) القبطان ! ماذا قال ؟

مانجان : حسنا ، لقد لاحظ الفرق بين عمرينا .

ايلى : انه يلاحظ كل شىء .

مانجان : هذا اذن لا يضايقك ؟

ايلى : بالطبع أنا أعلم جيدا أن خطوبتنا ..

مانجان : أوه ، أتسمينها خطبة ؟

ايلى : حسنا ، أليست كذلك ؟

مانجان : أوه ، بلى ، بلى ، انها كذلك ولا شك ما دمت متمسكة بها ، ولكنها أول مرة تستعملين فيها هذه الكلمة ، ولم أكن أعرف بالضبط موقفنا ، وهذا كل ما فى الأمر (يجلس على الكرسى القش ويعد نفسه للسماح لها بادارة دفة المناقشة) كنت تقولين .. ؟

ايلى : حقا ؟ لقد نسيت ، خبرنى ، أأعجبتك هذه المنطقة من الريف ؟ فقد سمعتك تسأل مستر هشاباى — ونحن على مائدة الطعام — ان كانت توجد منازل جميلة للايجار فى هذه المنطقة .

مانجان : نعم ، أعجبنى المكان ، فالجو هنـــا يناسبنى ، ولا يبعد أن أسكن هنا .

ايلى : ليس أحب الى من هذا ، فالجو هنا يناسبنى أنا أيضا ، ثم انى أريد أن أكون قريبـــة من هزيون .

مانجان : (بقلق متزايد) لعل الجو يناسبنا ، ولكن المسألة هى هل يناسب أحدنا الآخر ؟ هل فكرت فى ذلك ؟

ايلى : يجب أن نكون عقلاء يا مستر مانجان ، أليس كذلك ؟ فلا فائدة من أن نزعم أننا روميو وچولييت ، ولكننا نستطيع أن نكون على وفاق اذا اخترنا أن نحسن الموقف بقدر ما نستطيع ، وستسهل طيبة قلبك الأمر لى .

مانجان : (ينحنى الى الأمام وفى صوته بوادر جفوة مقصودة) طيبة قلبى ، أهذا ما قلت ؟ لقد أوصلت أباك الى الافلاس ، أليس كذلك ؟

ايلى : أوه ، ليس عن قصد .

مانجان : بل عن قصد ، لقد أوصلته الى الافلاس عامدا .

ايلى : عامدا !

مانجان : تعلمين أن ذلك لم يكن عن خبث فى الطبع ، وأظنك تقرين أننى احتفظت له بوظيفة بعد أن انتهيت منه ، ولكن العمل هو العمل ، وقد جعلته يفلس لضرورة من ضرورات العمل .

ايلى : لست أفهم كيف يمكن أن يكون ذلك ، أتحاول أن تنزع من قلبى العرفان بجميلك لتكون لى حرية الاختيار ؟

مانجان : (ينهض مهاجما) كلا ، فأنا أعنى ما أقول .

ايلى : ولكن كيف يمكن أن يكون فى افلاس أبى أى نفع لك ؟ ان المال الذى خسره كان مالك .

مانجان : (فى ضحكة فظة) كان مالى ! انه ما زال مالى هو وكل ما خسره الآخرون يا مس ايلى (يضع يديه فى جيوبه ويكشف عن أسنانه) لقد طردتهم كما تطرد خلية النحل بالدخان ، فما رأيك فى هذا القول ؟ ألم يصدمك قليلا ؟

ايلى : كان يمكن أن يصدمنى هذا فى الصباح ، أما الآن فانك لا تدرى كم يبدو الأمر تافها ، ولكنه مشوق . عليك أن تشرحه لى فانى لا أفهمه (تسند كوعيها على منضدة الرسم وذقنها على يديها فى وضع من يستعد للاستماع وقد تملكها مزيج من التطلع الشعورى والازدراء غير الشعورى يزيد جفوته ويستثيره لمحاولة التظاهر بالاشفاق على جهلها) .

مانجان : بالطبع لا تفهمينه ، فماذا تعرفين أنت عن الأعمال؟ ليس عليك الا أن تستمعى وتتعلمى . لقد بدأ أبوك مشروعا جديدا ، أما أنا فلا أبدأ مشروعات جديدة أبدا ، وانما أدع غيرى من الناس

يبدءونها . انهم يضعون فيها كل أموالهم وأموال أصدقائهم ، ويفنون أرواحهم وأجسادهم لمحاولة انجاحها . انهم أولئك الذين نطلق عليهم اسم المتحمسين ، ولكن أول دفع للمشروع يكون أكثر مما يحتملون ، وليس لديهم خبرة مالية كافية ، فلا يمر عام أو ما يقرب من ذلك حتى يجدوا أنفسهم أمام أحد أمرين ، اما أن يفلسوا ويضيع كل مالهم ، واما ن يصفوا أعمالهم ببيعها الى مجموعة جديده من الناس مقابل أسهم عادية قليلة مؤجلة ، هذا اذا أسعدهم الحظ ونجحوا فى الحصول على أى شيء على الاطلاق . وغالبا ما يحدث الشيء نفسه للمجموعة الجديدة ، فهم يضعون فى المشروع مزيدا من المال ويستمرون فى العمل عامين آخرين ، ثم قد يضطرون الى بيعه لمجموعة ثالثة . فاذا كان المشروع كبيرا حقا فان المجموعة الثالثة تضطر أيضا الى بيعه تاركة خلفها مالها ومجهودها . وهنا يبدأ دور رجل الأعمال الحقيقى ، يبدأ دورى أنا . ولكنى أمهر من غيرى ، فلا مانع عندى من أن أضحى بقليل من

المال لبدء المشروع . لقد عرفت مدى قدرة أبيك. رأيت أن لديه فكرة سليمة ، وأنه سيفنى نفسه فى العمل اذا وجد الفرصة ، ولاحظت أنه متقل فى مجال الأعمال ، وكنت متأكدا تماما من أن مصاريفه ستزيد عن طاقته ، وأنه سيتعجل النجاح ولن ينتظر حتى يكون سوقا ، وكنت أعلم أن أضمن طريقة لتحطيم رجل لا يعرف كيف يدبر المال هو أن أعطيه شيئا من المال، فشرحت فكرتى لبعض أصدقائى فى حى المال ، فدبروا المبلغ ، لأنى لا أجازف بالمال فى سبيل فكرة وان كانت فكرتى الخاصة . ولم يكن أبوك وأصدقاؤه الذين خاطروا بأموالهم معه يزيدون فى نظرى عن كومة من الليمون المعتصر . لقد وضعت شكرك فى غير موضعه . ان قلبى الرحيم كله عفن . وقد سئمت ذلك ، فعندما ينظر الىّ والدك بوجهه البشوش وقد ابتلت عيناه شكرا وامتنانا كالعادة فى العرفان بالجميل أحس فى بعض الأحيان أننى يجب أن أخبره بالحقيقة والا انفجرت ، ولم يكن يمنعنى الا معرفتى بأنه

لن يصدقنى وسيظن أنه تواضع منى كما كنت تظنين الآن ، سيظن أى شىء الا الحقيقة وهى أنه غبى يستحق اللوم وأنى رجل أعرف كيف أرعى شئونى (يضطجع فى الكرسى الكبير راضيا عن نفسه كل الرضا) والآن ، ما رأيك فىّ يا مس ايلى ؟

ايلى : (تسقط يديها) يا للغرابة ! لقد عرفتك أمى التى لا تعرف شيئا عن الأعمال ، عرفتك على حقيقتك ، فلطالما قالت لنا — نحن الأطفال — فى غياب أبى انك تماما كما وصفت .

مانجان : (يعتدل فى جلسته ويقول باستياء شديد) أوه ؟ حقا ؟ ومع ذلك فقد وافقت على زواجى منك .

ايلى : حسنا ، المسألة يا مستر مانجان أن أمى تزوجته رجلا طيبا جدا — مهما يكن رأيك فيه كرجل أعمال فانه الطيبة مجسمة — وهى غير حريصة مطلقا على أن أحذو حذوها .

مانجان : على كل حال لا أحسبك تريدين أن يتم زواجنا الآن ، أليس كذلك ؟

ايلى : (فى هدوء شـديد) أود ، أظنـه سيتم ، اذ ما المانع ؟

مانجان : (يقف وقد تملكته الدهشة) ما المانع !

ايلى : لست أرى مانعا من أن نعيش معا فى وفاق تام .

مانجان : حسنا ، ولكن لاحظى ، أنك تعلمين — (يسكت فى حيرة) .

ايلى : (فى صبر) نعم ؟

مانجان : حسنا ، كنت أظنك شديدة الاهتمام بأخلاق النـاس .

ايلى : لو أننا — نحن النساء — دققنا فى نظرتنا الى أخلاق الرجال لما تزوجنا أبدا يا مستر مانجان .

مانجان : طفلة مثلك تتحدث قائلة « نحن النساء » ! وماذا بعد ؟! لا أظنك جادة ؟

ايلى : بلى انى كذلك ، ألست أنت جادا ؟

مانجان : أعنى ، أتتمسكين باتفاقنا ؟

ايلى : أتريد أنت أن تتخلى عنه ؟

مانجان : أوه ، كلا ، لا أقصد التخلى بالضبط .

ايلى : اذن ؟

(لايجد ما يقوله ، فيصفر صفيرا طويلا خافتا ، ويلقى بنفسه على الكرسى الكبير وهو يحملق أمامه كمقامر مفلس، ولكن سرعان ما تبدو فى عينيه نظرة ماكرة فينحنى نحوها معتمدا على مرفقه الأيمن ويتكلم بصوت خفيض ثابت)

مانجان : واذا قلت لك انى أحب امرأة أخرى !

ايلى : (تردد صدى كلماته) واذا قلت لك انى أحب رجلا آخر !

مانجان : (يقفز من كرسيه غاضبا) أنا لا أمزح .

ايلى : ومن قال لك انى أمزح ؟

مانجان : انى جاد فيما أقول ، أما أنت فانك أصغر من أن تكونى جادة ، ولكن يجب أن تصدقينى . انى أريد أن أكون قريبا من صديقتك مسز هشاباى لأنى أحبها . ها قد انكشف السر .

ايلى : وأنا أريد أن أكون قريبة من صديقك مستر هشاباى لأنى أحبه . (تنهض وتضيف بصراحة) الآن وقد عرف كل منا سر الآخر فسنكون أصدقاء حقيقيين ، وانى لأشكرك لأنك أخبرتنى.

مانجان : (يكاد يستشيط غضبا) أتحسبيننى أرضى بأن أستغل هكذا ؟

ايلى : على رسلك يا مستر مانجان ! لقد استغللت أبى فى أعمالك ، وبما أن الزواج هو عمل المرأة ، فلماذا لا أستغلك أنا هذا الاستغلال المنزلى ؟

مانجان : لأنى لا أريد ، أرأيت ؟ لأنى لست مغفلا كأبيك ، هذا هو السبب .

ايلى : (فى احتقار رصين) انك لا تصلح لأن تنظف حذاء أبى يا مستر مانجان ، وانى لأرفع شأنك اذ أتنازل وأستغلك كما تقول ، أنت بالطبع حر فى أن تفسخ خطوبتنا اذا أردت ، ولكنك ان فعلت فلن تدخل منزل هزيون مرة أخرى ، وسأكون حريصة على أن أنفذ ذلك .

مانجان : (مشدوها) أيتها الشيطانة الصغيرة ، لقد انتصرت علىّ . (يكاد ينهار على الكرسى الكبير مرة أخرى ، ثم يتمالك نفسه) ولكن ، مهلا ، انك لست ذكية بقدر ما تظنين ، ولن تستطيعى التغلب على الرئيس مانجان بهذه السهولة ،

فلنفرض أننى ذهبت من فورى الى مسز هشاباى وأخبرتها أنك تحبين زوجها .

ايلى : انها تعلم ذلك .

مانجان : أأنت أخبرتها !!!

ايلى : هى التى أخبرتنى .

مانجان : (يمسك صدغيه خوف انفجارهما) أوه ، هذا بيت مجانين ، والا فأنا الذى أفقد عقلى . هل اتفقتما على مبادلة : هى تأخذ زوجك وأنت تأخذين زوجها ؟

ايلى : حسنا ، انك لا تريدنا معا ، أليس كذلك ؟

مانجان : (يرتمى على الكرسى مشوش الفكر) مخى لا يحتمل ذلك ، رأسى يكاد ينفجر ، أغيثينى ، ساعدينى على امساكه ، أسرعى ، أمسكيه ، اضغطى عليه ، أنقذينى . (تقف ايلى خلف كرسيه وتقبض على رأسه بقوة لحظة ، ثم تبدأ فى تمرير يديها من جبهته الى أذنيه) شكرا لك (فى نعاس) هذا منعش جدا (يستيقظ قليلا) ولكن لا تنومينى تنويما مغناطيسيا ، فقد رأيت رجالا يهزأ بهم وهم منومون مغناطيسيا .

ايلى : (بثبات) كن هادئا ، فقد رأيت رجالا يهزأ بهم دون تنويم مغناطيسى .

مانجان : (بتواضع) لعلك لا تكرهين لمسى ، فقد لاحظت أنك لم تلمسينى من قبل .

ايلى : ليس بعد أن أحببت امرأة ناضجة جميلة لا تنتظر منك أن تغازلها ، كما لا أنتظر منه أن يغازلنى .

مانجان : ومع ذلك فقد يفعل .

ايلى : (تجعل حركات يديها منتظمة) صه . نم . أتسمع ؟ انك ستنام ، نم ، نم ، كن هادئا ، هادئا جدا جدا ، نم ، نم ، نم ، نم ، نم .

(يستغرق فى النوم فتتسلل ايلى وتطفىء النور وتخرج الى الحديقة)

(تفتح المربية جينيس الباب وترى فى النور المنعكس من الصالة)

المربية جينيس : (تخاطب أحدا فى الخارج) مستر مانجان ليس هنا يابطتى ، لا أحد هنا ، المكان مظلم تماما .

مسز هشاباى : (من الخارج) ابحثى عنه فى الحديقة ، سأكون أنا ومستر دن فى مخدعى فعرفيه الطريق .

المربية جينيس : حاضر يابطتى (تسير فى الظلمة قاصدة الباب الموصل الى الحديقة فتعثر بمستر مانجان النائم

فتصرخ) أعـــوه ! أوه ياالهى ! سيدى ! بالله اعذرنى فاننى لم أرك فى الظلام ، من أنت ؟ (تعـــود الى الباب وتضىء النور) أوه مستر مانجان ، أرجو ألا أكون قد آذيتك ياسيدى اذ وقعت بثقلى على حجرك هكذا (تذهب اليه) كنت أبحث عنك ياسيدى . مسز هشاباى تقول اذا سمحت ... (تلاحظ أنه يظل فاقد الادراك) أوه ، يا الهى ، أرجـــو ألا أكون قد قتلتـــه ، سيدى ! مستر مانجان ! ســـيدى ! (تهـــزه فيتدحرج دون وعى على الأرض فترفعه وتسنده على الوسادة) مس هيـسى ! مس هيـسى ! أسرعى يا عروستى ، مس هيـسى ! (تدخل مسز هشاباى من الصالة يتبعها ماتزينى دن) أوه يا مس هيسى، لقد انتهى الأمر وقتلته . (يسرع ماتزينى فيدور حول ظهر الكرسى الى يمين مانجان ويبدو له أن كلام المربية صحيح مع الأسف) .

ماتزينى : مادا أغراك بارتكاب مثل هذه الجريمة يا امرأة ؟

مـز هشاباى : (تحاول ألا تضحك) أتعنين أنك قتلته متعمدة ؟

المربية جينيس : وهل من المعقول أن أقتل رجلا متعمدة ؟ لقـــد

سقطت عليه فى الظلام بوزنى الثقيل هذا ، فلم يتكلم أو يتحرك ، فلما هززته سقط على الأرض ميتا ، أليس هذا شيئا متعبا ؟

مسز هشابای : (تسير من أمام المربية حتى تصل الى جوار مانجان ثم تفحصه وهى أقل يقينا من ماتزينى) هراء ! انه ليس ميتا ، بل هو نائم فقط . أستطيع أن أرى حركة تنفسه .

المربية جينيس : ولكن لماذا لا يستيقظ ؟

ماتزينى : (يهمس فى أذن مانجان بأدب شديد) مانجان ! عزيزى مانجان !

(ينفخ فى أذن مانجان)

مسز هشابای : هذا لا يصلح (تهزه بقوة) استيقظ يا مستر مانجان ، أتسمعنى ؟ (يبدأ فى التدحرج) أوه ، دادة ، يا دادة ، انه يقع ، ساعدينى .

(تسرع جينيس اليها وتستطيع بمساعدة ماتزينى أن تسند مانجان ثانية قبل أن يسقط)

المربية جينيس : (تنحنى وهى خلف الكرسى لتختبر حالته بأنفها) لعنه مخمور ، أتظنين ذلك ياحبيبتى ؟

مسز هشابای : هل شرب شيئا من خمر أبى ؟

ماتزينى : لا يمكن أن يكون ذلك ، فانه من المعتدلين فى الشرب ، أخشى أن أقول انه أفرط فى الشرب قديما حتى أصبح مضطرا الى الاقلال منه الآن . أتعرفين يا مسز هشاباى ، انه فى اعتقادى منوم تنويما مغناطيسيا .

الربية جينيس : مغنا ماذا ياسيدى ؟

ماتزينى : ذات ليلة ونحن فى المنزل ، بعد أن شاهدنا عرضا للتنويم المغناطيسى ، بدأ الأطفال يجربون اللعبة فأخذت ايلى تمر بيدها على رأسى ، وأؤكد لكم أنى نمت نوما عميقا ، واضطروا أن يرسلوا فى طلب أحد المحترفين لايقاظى بعد أن ظللت نائما ثمانى عشرة ساعة . وقد اضطروا الى حملى الى الطابق العلوى ، وبما أن الأطفال المساكين لم يكونوا أقوياء الى درجة كافية فقد سقطت من أيديهم وتدحرجت على الدرجات دورا بأكمله ، ومع ذلك لم أستيقظ . (تحاول مسز هشاباى أن تكتم ضحكاتها) أوه ، قد تضحكين يا مسز هشاباى ، ولكنى كنت معرضا للموت .

مسز هشاباى : لم أكن أستطيع منع نفسى من الضحك حتى

لو مت يا مستر دن . اذن فقد نومته ايلى مغناطيسيا ، ما أمتع ذلك !

ماتزينى : أوه ، لا ، لا ، لا ، لقد كان درسا قاسيا لها ، ولا يمكن أن تعيد الكرة ثانية بأى حال .

مسز هشباى : مَن اذن فعل ذلك ؟ أنا لم أفعله .

ماتزينى : لعل القبطان فعل ذلك دون قصد ، ان له قوة مغناطيسية هائلة حتى انى لأحس بذبذبات كلما اقترب منى .

الربية جينيس : سيخرجه القبطان من ذلك على أى حال يا سيدى ، وسأساعده فى هذا ، سأذهب للبحث عنه (تتجه نحو الكيلار) .

مسز هشباى : انتظرى لحظة (لماتزينى) قلت انه لن يؤذيه أن يبقى هكذا ثمانى عشرة ساعة ؟

ماتزينى : حسنا ، لقد نمت أنا ثمانى عشرة ساعة .

مسز هشباى : وهل كان لذلك أى تأثير سيء عليك ؟

ماتزينى : لا أذكر تماما ، لقد كانوا يصبون البراندى فى حلقى ، أرأيت ؟ و —

مسز هشباى : تماما ، على أى حال فقد بقيت حيا ، دادة يا حبيبتى ، اذهبى واسألى مس دن أن تحضر

الينا هنا ، قولى لها انى أريد أن أحدثها فى أمر هام . الغالب أنك ستجدينها مع مستر هشابای.

الربية جينيس : لا أظن يابطتى ، فان مس آدى معه ، ولكنى سأجدها وأرسلها اليك (تخرج الى الحديقة) .

مسز هشابای : (تلفت انتباه ماتزينى الى الجسد الملقى على الكرسى) والآن انظر يا مستر دن ، يكفى أن تنظر جيدا ، ألا تزال ناويا أن تضحى بابنتك لهذا الشىء ؟

ماتزينى : (فى اضطراب) لقد أزعجتنى أيما ازعاج بكل ما وجهته الىّ يا مسز هشابای . انها صدمة شديدة الايلام لـ — يمكنك أن تقولى لفكرتى الطيبة عن نفسى — أن يتصور أى انسان أنى أنا — أنا الجندى المنذور للحرية ، ان جاز لى أن أقول ذلك — يمكن أن أضحى بايلى لأى انسان أو أى مخلوق ، أو أحلم باجبار عواطفها على الاتجاه فى أى طريق .

مسز هشابای : (بشىء من الجمود) آسفة .

ماتزينى : (ينظر الى الجسد فى يأس) مسز هشـــابای ، ما وجه اعتراضك على مانجـــان المسكين ؟ انه

لا عيب فيه من وجهة نظرى ، ولكن لعل ذلك بسبب الفى له .

مسز هشبای : أليس لك قلب ؟ أليس لك عقل ؟ أنظر الى هذا الوحش ! فكر فى المسكينة الضعيفة البريئة ايلى وهى بين براثن هذا السيد العاتى الذى يقضى حياته فى حمل الآلاف من العمال الخشنين الصارمين على الانحناء لارادته والغرق فى سبيله ، هذا الرجل الذى تعود رؤية كتل الحديد الضخمة وهى تشكل حسب ما يريد بالمطارق البخارية ! هذا الرجل الذى يحارب الفتيات والنساء بلا رحمة من أجل نصف بنس فى الساعة . أظنك تدعوه أحد ملوك الصناعة ، أليس كذلك ؟ أتريد أن تلقى بطفلتك الحلوة الناعمة التى لا حول لها بين براثن مثل هذا الحيوان ، لا لسبب الا أنه سيسكنها فى منزل فخم ويلبسها الماسات لتبين للناس مبلغ غناه ؟

ماتزينى : (يحملق فيها بعينين مفتوحتين من الدهشة) لك الله يا مسز هشابى . ما أعجب فكارك الخيالية عن الأعمال ! ان مانجان الحبيب المسكين ليس فيه ذرة مما وصفت .

مسز هشباى : (باحتقار) مانجان الحبيب المسكين حقا !

ماتزينى : ولكنه لا يعرف شيئا عن الآلات ، ولا يقترب من العمال أبدا ، فانه لا يعرف كيف يعاملهم ، بل انه يخافهم ، وما استطعت قط أن أجعله يهتم بالمصانع أقل اهتمام ، ان معرفته بذلك لا تفوق معرفتك . كم يظلم الناس مانجان ظلما بينا ، فهم يحسبونه قويا عنيفا لا لشيء الا لخشونة تصرفاته .

مسز هشباى : أتريد أن تقول لى انه أضعف من أن يحطم ايلى الصغيرة المسكينة ؟

ماتزينى : حقا ، ان التنبؤ بما ستئول اليه أية زيجة لمن أصعب الأمور ، ولكن رأيى الخاص أنه سيكون أضعف بكثير من ايلى ، فأنت تعرفين أن ايلى تمتاز بقوة الشخصية ، وأظن أن ذلك راجع الى أنى علمتها منذ نعومة أظفارها أن تحب شكسبير .

مسز هشباى : (بازدراء) شكسبير ! لعل الخبر الثانى الذى ستقوله لى أنه كان فى امكانك أن تكون أغنى

كثيرا من مانجان . (تعود الى الأريكة وتجلس على طرفها الأيسر فى حنق شديد) .

ماتزيني : (يتبعها ويجلس على الطرف الآخر من الأريكة) كلا ، فلست بارعا فى كسب المال ، وكأنى لا أهتم به الاهتمام الكافى . أنا لست طموحا ! ولعل هذا هو السبب ، أما مانجان فانه بارع فى شئون المال حتى انه لا يفكر الا فيه ، فهو شديد الخوف من الفقر . أنا أفكر دائما فى أشياء أخرى ، حتى وأنا فى المصنع أفكر فى الأشياء التى نعملها لا فيما تكلفنا هذه الأشياء ، وأسوأ ما فى الأمر أن مانجان المسكين لا يعرف ماذا يعمل بالمال عندما يحصل عليه : انه ليس الا طفلا لا يعرف كيف يأكل أو يشرب ، وقد حطم كبده بخلطه فى المأكل والمشرب حتى انه الآن يكاد لا يأكل شيئا . سوف تنظم ايلى غذاءه كما ينبغى. انك سوف تدهشين عندما تعرفينه حق المعرفة ، فهو فى الحقيقة من أضعف المخلوقات ، حتى لتشعرين بحاجته الى حمايتك .

مسز هشابای : اذن ، أرجـوك أن تخـبرنى : من الذى يدير أعماله ؟

ماتزينى : أنا وكثيرون مثلى بالطبع .

مسز هشابای : تعنى أناسا لا قيمة لهم .

ماتزينى : أظنك تعتبروننا كذلك .

مسز هشابای : اذن فقل لى بربك لماذا لا تعملون بدونه ما دمتم جميعا أمهر منه كثيرا ؟

ماتزينى : أوه ، لن نستطيع ، سنحطم المشروع فى سنة ، أنا أعرف ذلك ، فقد حاولت هذه المحاولة ، اننا نسرف فى الانفاق على كل شىء ، ونحسن أصناف البضائع حتى تصبح أغلى من أن تباع ، وتملؤنا الشفقة على حـالات البؤس بين العمال . أما مانجان فانه يفرض النظام علينا ، انه يوجه الينا أشد اللوم بسبب نصف بنس صرف فى غـير موضعه . اننا لا نسـتطيع الاستغناء عنـه . تصورى أنه يقضى الليل بطوله مفكرا فى الطريقة التى يوفر بها ستة بنسات . ألا تعتقدين أن ايلى ستطير عقله عندما تتولى تدبير أمور بيته ؟

مسز هشاباى : اذن فكل شيء فى هذا المخلوق كاذب ومزيف حتى كونه ملكا من ملوك الصناعة !

ماتزينى : أخشى أن أقول ان كل ملوك الصناعة مزيفون مثله على حد قولك يا مسز هشاباى . بالطبع هناك بعض أصحاب الأعمال الذين يفهمون عملهم حقا ، ولكنهم لا يجنون أرباحا توازى أرباح مانجان . أؤكد لك أن مانجان شخص طيب حقا ، على طريقته ، فهو لا يضمر شرا .

مسز هشاباى : انه ليس وسيما كما أنه ليس شابا ، أليس كذلك؟

ماتزينى : ولكن يا مسز هشاباى ، ان الأزواج لا يظلون شبانا لمدة طويلة ، والرجال اليوم لا يستطيعون الزواج فى مطلع شبابهم .

مسز هشاباى : لو أنى أنا قلت هذا الآن لقلته بطريقة ماهرة ، فلم لا تستطيع قوله بمهارة ؟ ما علتك بالله ؟ لماذا لا توحى للناس بالثقة ، بالاحترام ؟

ماتزينى : (بتواضع) أظن أن علتى هى الفقر . أنت لا تعرفين ماذا يعنى ذلك فى البيت ، ولكن لا تحسبى أننى أقصد بذلك أنهم اشتكوا قط ، لقد كانوا جميعا رائعين ، وكانوا فخورين

بفقرى ، بل انهم كثيرا ما كانوا يتخذونه موضوعا للفكاهة ، ولكن زوجتى عانت منه كثيرا ، وكانت مستسلمة كل الاستسلام .

مسز هشابای : (ترتعد على الرغم منها) !!

ماتزينى : أرأيت يا مسز هشابای ! أنا لا أريد لايلى أن تعيش على الاستسلام .

مسز هشابای : أتريد منها أن تستسلم للعيش مع شخص لاتحبه؟

ماتزينى : (مفكرا بحزن) أواثقة أنت أن ذلك سيكون أسوأ من الحياة مع رجل تحبه اذا كان رجلا لا قيمة له ؟

مسز هشابای : (تريح نفسها من مظهر الاحتقار فقد أعجبت بماتزينى الآن) أتعرف ؟ لقد تأكدت الآن من أنك تحب ايلى غاية الحب ، فأنت تصبح ذكيا ماهرا حين تتحدث عنها .

ماتزينى : لم أكن أظن أنى غبى فى غير ذلك من الموضوعات.

مسز هشابای : انك كذلك فى بعض الأحيان .

ماتزينى : (يدير رأسه وقد ابتلت عيناه بالدموع) لقد تعلمت منك الشىء الكثير عن نفسى يا مسز هشابای ، وأخشى ألا تجعلنى صراحتك أكثر

سعادة ، ولكنك تخطئين كثيرا اذا حسبت أننى كنت فى حاجة اليها لأفكر فى سعادة ايلى .

مسز هشباى : (تميل نحوه بعطف) هل كنت قاسية ؟

ماتزينى : (بتماسك) لا عليك منى يا مسز هشباى ، أظنك تحبين ايلى ، وهذا يكفينى .

مسز هشباى : لقد بدأت أميل اليك قليلا بعد أن كنت أكرهك أول الأمر كراهية تامة ، وكنت أظنك أكثر من قابلت من الرجال المسنين شناعة واعجابا بنفسه وسماجة وتكلفا .

ماتزينى : (مستسلما وقد بدا عليه المرح) أخشى أن أقول اننى كما ذكرت ، فلم يحدث قط أن كنت محببا الى النساء الرائعات مثلك ، انهن يخفننى دائما .

مسز هشباى : (مسرورة) أأنا امرأة رائعة يا ماتزينى ؟ سيجعلنى ذلك أحبك على الفور .

ماتزينى : (فى رقة ووداعة) كلا ، لن تفعلى ياهزيون ، ولكنك لو فعلت لكنت فى أمان تام ، أتصدقين أن عددا كبيرا من النساء غازلننى لأننى رجل مأمون ؟ ولكنهن يضقن بى لنفس السبب .

مسز هشابای : (فی شقاوة) کن حذرا ، فقد لا تکون مأمونا بقدر ما تظن .

ماتزینی : أوه ، بلی ، انی مأمون تمـاما ، والسبب أننی أحببت مرة حبا حقیقیا ، حبا من ذلك النـوع الذی لا یحدث الا مرة واحدة (فی رقة) وهو هو السـبب فی جمال ایلی .

مسز هشابای : حسنا ، لقد بدأت تکشف عن حقیقة نفسك ، أأنت علی یقین من أنك لن تسمح لی بأن أغریك بحب کبیر ثان ؟

ماتزینی : کل الیقین ، فلن یکون ذلك طبیعیا ، الحقیقة یا مسز هشابای أن ثقـابك لا یشـتعل علی صندوقی کما لا یشتعل ثقابی علی صندوقك .

مسز هشابای : فهمت ، تعنی أن زواجك کان کالثقاب المأمون .

ماتزینی : یا له من تخریج ماهر للتعبیر الذی استعملته ! لم أکن لأفکر فی هذه الصیاغة أبدا .

(تدخل ایلی من الحدیقة دون أن یبدو علیها أی أثر للسعادة)

مسز هشابای : (تقف) أوه ، ها قد جاءت ایلی أخیرا (تسیر لتقف خلف الأریکة) .

ايلى : (على عتبة الباب الأيمن) أخبرتنى جينيس أنك تريدينني أنت وأبى .

مسز هشابى : لقد تركتنا ننتظر طويلا حتى كدنا — حسن ، لا عليك ، ان أباك رجل رائع جدا (تعبث بشعره فى مودة) انه الرجل الوحيد فى حياتى الذى قاوم اغرائى عندما تحببت اليه (تتجه الى الكرسى الكبير وتقف على يسار ما نجان) تعالى ، هنا شىء أريد أن أريك اياه (تتقدم ايلى فى فتور الى الجانب الثانى من الكرسى) انظرى .

ايلى : (تتأمل مانجان دون اهتمام) أعرف ، انه نائم ولا شىء غير ذلك ، لقد كنا نتبادل الحديث بعد العشاء فنام أثناء حديثنا .

مسز هشابى : أنت فعلتها يا ايلى ، أنت نومته .

مانزينى : (ينهض مسرعا ويقف خلف الكرسى) أوه ، أرجو ألا يكون هذا صحيحا ، أفعلت هذا يا ايلى ؟

ايلى : (فى تعب) لقد طلب منى أن أنومه .

مانزينى : لكن فى ذلك خطورة ، أنت تعلمين ما حدث لى.

ايلى : (بلا مبالاة) أوه ، أظننى أستطيع ايقافه ، فان لم أستطع فغيرى يستطيع .

مسز هشابای : لا يهم على أى حال ، فقد استطعت اقناع أبيك أخيرا بأنك لا تريدين الزواج منه .

ايلى : (تخرج فجأة من حالة الجمود وتقول بغيظ شديد) ولكن لماذا فعلت ذلك ياهزيون ؟ انى أريد أن أتزوجه ، وقد عزمت عزما أكيدا على ذلك .

ماتزينى : أأنت على يقين من ذلك يا ايلى ؟ لقد جعلتنى مسز هشاباى أحس وكأنى تصرفت فى الأمر بأنانية ودون مراعاة لك .

ايلى : (فى وضوح وحزم تامين) أبى ، اذا تطوعت مسز هشاباى وأخبرتك بما أفكر فيه وما لا أفكر فيه فسد أذنيك عما تقول وأغمض عينيك أيضا، فان هزيون لا تعرف عنى شيئا ، وليست لديها أدنى فكرة عمن أكون ، ولن تعرفنى أبدا ، وانى لأعدك ألا أفعل شيئا لا أريد أن أفعله ولا أنوى أن أفعله من أجل مصلحتى الشخصية .

ماتزينى : أأنت واثقة ؟ واثقة تماما ؟

ايلى : واثقة تماما ، تماما ، اخرج أنت الآن واتركنى لأحادث مسز هشاباى .

ماتزينى : ولكنى أحب أن أسمع ما تقولان ، فهل يضايقكما ذلك ؟

ايلى : (فى عناد) أفضل أن أحادثها على انفراد .

ماتزينى : (فى محبة) أوه ، حسن ، أنا أعلم كيف يكون الآباء ثقلاء يا عزيزتى ، سأكون مطيعا وأخرج (يذهب الى باب الحديقة) على فكرة ، هل تذكرين عنوان ذلك المحترف الذى أيقظنى ؟ ألا ترين من الخير أن أرسل برقية لاستدعائه ؟

مسز هشاباى : (تتجه الى الأريكة) لقد تأخر الوقت لارسال برقية الليلة .

ماتزينى : أظن ذلك ، وانى لأتمنى أن يستيقظ أثناء الليل (يخرج الى الحديقة) .

ايلى : (فى اللحظة التى يخرج فيها والدها من الحجرة تلتفت الى هزيون بعنف) بحق الشيطان ياهزيون ، ماذا تعنين بتلك الدسيسة التى قلتها لأبى عن مانجان ؟

مسز هشاباى : (تفقد أعصابها بسرعة) لا تحاولى أن تحدثينى

بهذه الطريقة أيتها الطفلة القليلة الحياء ، تذكرى أنك فى بيتى .

ايلى : عراء ! لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك ؟ وماذا يهمك ان كنت أتزوج مانجان أو لا أتزوجه ؟

مسز هشابای : أتظنين أنك تستطيعين تخويفى أيتها البائسة الصغيرة المغامرة فى الزواج ؟

ايلى : كل امرأة فقيرة مغامرة فى الزواج . من السهل عليك أن تتكلمى ، فأنت لم تعرفى قط كيف تكون الحاجة الى المال ، كما أنك تستطيعين التقاط الرجال كما تقطفين الزهور ، أما أنا ففقيرة ومحترمة —

مسز هشابای : (مقاطعة) هو و ! محترمة ! كيف اذن التقطت مانجان ؟ كيف التقطت زوجى ؟ ومع ذلك تجدين الجرأة لتصفينى بأنى — أنى — أنى —

ايلى : جنيه ، هكذا أنت ، لقد ولدت لتشيرى الى الرجال باصبعك فيتبعوك ، ولو لم تكونى كذلك لربما انتظرنى ماركوس .

مسز هشابای : (يذهب عنها الغضب فجأة وتكاد تضحك) أوه ، يا حبيبتى المسكينة ايلى ، ياصغيرتى ، ياحبيبتى

البائسة . انى آسفة جدا لموضوع هكتور ، ولكن ماذا بوسعى أن أعمل ؟ ليس لى ذنب ولو استطعت لتنازلت لك عنه .

ايلى : آنا لا ألومك على ذلك .

مسز هشابى : يا لى من قاسية اذ أتشاجر معك وأشتمك ! هيا ، قبلينى وقولى انك لست غاضبة منى .

ايلى : (بفظاظة) لا تثرثرى وتكونى عاطفية ، ألا ترين أننى سأجن ان لم أكن صلبة ، صلبة كالحديد ، أما سبابك فأنا لا أهتم به أقل اهتمام ، أتحسبين ان امرأة فى موقفى هـذا تحس بكلمات قليلة قاسية ؟

مسز هشابى : ياللشابة المسكينة ! ياللموقف البائس !

ايلى : أظنك تحسبين نفسك رقيقة وعطوفا . ما أنت الا حمقاء غبية أنانية ، ترينني أتلقى ضربة على وجهى تقتل جزءا كاملا من حياتى ، الجزء الأحسن الذى لا يمكن تعويضه ، فتحسبين أنك تستطيعين مساعدتى بقليل من التدليل والقبل ، وبينما أحتاج الى كل قوة يمكننى أن أجدها لأستند اليها — قوة حديدية أو صخرية ، دون أن أهتم بمدى

قوتهـا — أراك تصبحين كالعجينة الرخـوة وتتباكين بجانبى . أنا لست غاضبة ولا متحاملة عليك ، ولكن بالله عليك تماسكى ، ولا تظنى لأنك تعيشين فى نعمة منذ نشأت أن النساء اللائى يعشن فى جحيم يمكن أن يتناولن المسائل ببساطة كما تفعلين .

مسز هشابى : (تهز كتفيها) حسن جدا (تجلس على الأريكة فى مكانها السابق) ولكنى أحذرك أننى ان لم أكن ملاطفة مقبلة أو ضاحكة فانى لا أدرى كم أستطيع تحمل الحياة فى هـذه الدنيا الملعونة القاسية . لقد اعترضت على لأنى جنية ، حسن ، لن أكون جنية ، وقد أردت أن تريحى صدرك الجريح على حجر طاحونة ، حسـن (تطوى ذراعيها) هاك حجر الطاحونة .

ايلى : (تجلس الى جانبها وقد هدأت ورضيت) هذا أفضل ، ان لديك الموهبة التى تجعلك تسايرين كل انسان فى حالاته ، ولكنك غير فاهمة ، لأنك لست من ذلك النوع من النساء اللائى ليس لهن الا رجل واحد وفرصة واحدة .

مسز هشابای : لن أفهم أبدا كيف يكون زواجك من هذا الشيء (تشير الى مانجان) فيه عزاء عن عدم قدرتك على الزواج من هكتور .

ايلى : لعلك لا تفهمين السبب فى أنى تحولت من الفتاة اللطيفة التى كنتها هذا الصباح الى مخلوقة ليست بالفتاة وليست بالتأكيد لطيفة .

مسز هشابای : أود ، بل انى أفهم ، فما ذاك الا لأنك قررت أن تقومى بعمل حقير شرير .

ايلى : لا أظن ذلك ياهزيون ، انما أنا أريد أن أنقذ ما أستطيع انقاذه من أطلال بيتى المتهدم .

مسز هشابای : ستتغلبين على هذه الصدمة . ان بيتك لم يتهدم.

ايلى : طبعا سأتغلب عليها ، فما أظنك تحسبين أنى سأنزوى حتى أموت محطمة القلب ، أو أصبح عانسا تعيش على اعانة من جمعية رعاية المرضى والمحتاجين ، ولكنى مع ذلك محطمة القلب . أعنى بهذا أنى أعلم أن ما حدث لى مع ماركوس لن يتكرر أبدا ، فان الرجال فى دنياى ينقسمون الى ماركوس وغيره من الرجال الذين يتشابهون حتى لا فرق بين الواحد والآخر . والآن ما دمت

لا أستطيع الحصول على الحب فلا معنى لأن أعيش فى فقر ، واذا كان مانجان لا يملك سوى المال فهذا يكفى .

مسز هشابى : ألا يوجد شبان عندهم مال ؟

ايلى : ليسوا فى متناول يدى . ثم ان الشاب له الحق فى أن ينتظر الحب من جانبى ، فاذا وجد أنى لا أستطيع منحه اياه فقد يتركنى ، وأنت تعلمين أن الشبان الأغنياء يستطيعون التخلص من زوجاتهم دون كبير نفقة ، ولكن هذا « الشىء » كما سميته لن ينتظر منى أكثر مما أقدمه له .

مسز هشابى : تذكرى أنه سيكون مالكك ، واذا اشترى فسيجعل الصفقة رابحة له لا لك ، أسألى أباك .

ايلى : (تنهض وتسير متمهلة الى الكرسى مفكرة فى الموضوع) لا تشغلى بالك بهذا ياهزيون ، فان ما سأعطيه للرئيس مانجان أكثر مما سيعطينى ، انه أنا التى تشتريه ، وبثمن غال أيضا كما أظن . ان النساء خير من الرجال فى هذا النوع من الصفقات . لقد درست أخلاق الرجل ، وان عشرة من أمثال الرئيس مانجان لن يستطيعوا أن

يمنعونى من أن أفعل ما أشاء وأنا زوجته أكثر مما كنت أفعل وأنا فتاة فقيره . (تنحنى على الجسد المستلقى على الكرسى) أيستطيعون أيها الرئيس ؟ لا أظن (تتجه الى منضدة الرسم وتنحنى على حافتها مواجهة النافذة) على أى حال لن أقضى معظم وقتى أتساءل متى تتمزق قفازاتى .

مسز هشابای : (تنهض فى جلال) ايلى ، انك حيوان صغير دنىء شرير ، وأنا التى كنت قد بدأت فعلا أتنازل وأغرى هذا المخلوق لأنقذك منه ! حسن ، دعينى أخبرك أنك اذا نفذت هذه الزيجة الكريهة فلن ترى هكتور أبدا ما دام فى استطاعتى ذلك .

ايلى : (دون أن تتأثر) لقد أوشكت مانجان بقولى انه لن يراك اذا لم يتزوجنى (ترفع نفسها معتمدة على معصميها وتجلس على حافة المنضدة) .

مسز هشابای : (مجفلة) أوه !

ايلى : وهكذا ترين أنى مستعدة اذا لعبت بهذه الورقة ضدى . حسن ، تستطيعين أن تجربى ، وهذا كل ما فى الأمر . لقد كان من الممكن أن أجعل

من ماركوس رجلا لا حيوانا منزليا مدللا .

مسز هشابى : (ثائرة) أتجرؤين !

ايلى : (تبدو على جانب كبير من الخطورة) دعيه يفكر فىّ ان كنت تجرؤين .

مسز هشابى : حسن ، أنت توقح شيطانة صغيرة قابلتها ! يقول هكتور ان هناك وقتا يكون الرد الوحيد فيه على من يتجاوز حدوده أن تصرعه بضربة ، فما رأيك فى أن ألكمك على أذنيك ؟

ايلى : (هادئة) اذن أشد شعرك .

مسز هشابى : (فى خبث) لن يؤلمنى ذلك ، فلعلنى أخلعه فى الليل .

ايلى : (تملؤها الدهشة حتى انها تنزل من على المنضدة وتسرع نحوها) أوه ، هزيون ، انك لا تعنين بذلك أن شعرك الأسود الجميل مستعار ؟

مسز هشابى : (تربت عليه) لا تخبرى هكتور ، فهو يعتقد أنه حقيقى .

ايلى : (تئن) أوه ، حتى الشعر الذى أوقعه فى الشرك زائف ! كل شىء زائف !

مسز هشابى : شديه وجربى ، تستطيع غيرى من النساء أن

يوقعن الرجال فى أشراك شعورهن ، أما أنا فأستطيع أن أمرجح طفلا على شعرى ، آها ! انك لا تستطيعين ذلك يا ذات الشعر الذهبى .

ايلى : (محطمة القلب) كلا ، فقد سلبتنى أطفالى .

مسز هشابى : لا تحمليني على البكاء يا صغيرتى ، أتعلمين أنك كنت على شيء من الصدق فى قولك اننى جعلت منه حيوانا منزليا مدللا ؟ لعله كان عليه أن ينتظرك ، أتجدين امرأة أخرى فى العالم تسامحك ؟

ايلى : أوه ، بأى حق تحتكرينه لنفسك (تتمالك نفسها) ثم انك لا حيلة لك فى الأمر ، لا حيلة لاحدانا ، بل لا حيلة له أيضا ، كفى ، لا تقولى كلمة أخرى فلن أحتمل أكثر من ذلك ، فلنوقظ هذا الشيء (تبدأ فى المسح على رأس مانجان بعكس الحركة التى نومته بها) استيقظ ، أتسمعنى ؟ عليك أن تستيقظ على الفور ، استيقظ ، استيقظ ، استيـ ..

مانجان : (يقفز من المقعد فى غضب شديد ويلتفت اليهما) استيقظ ! اذن فقد كنت تحسبيننى نائما ، أليس

كذلك ؟ (يضرب الكرسى برجله بقوة ليزيحه من طريقه ويقف بينهما) لقد ألقيت بى فى غيبوبة لم أستطع معها أن أحرك ساقا أو يدا — وكان من الممكن أن أدفن حيا ! ولكن الحمـد لله اذ لم يحدث ذلك — وتظنين أننى كنت نائما فقط . لو تركتمونى أسقط فى المرتين اللتين قلبتمونى فيهما لكسر أنفى لاصطدامه بالأرض ، ولظـل مكسورا طول عمرى . ولكنى مع ذلك عرفتكم جميعا على حقيقتكم . عرفت بين أى نوع من الناس أنا الآن . لقد سمعت كل كلمة قلتها ، أنت وأبوك الغالى ، (لمسز هشاباى) وأنت أيضا ، اذن فأنا شىء ، أليس كذلك ؟ وأنا أبله لا أعرف كيف أطعم نفسى الطعام الملائم ، أليس كذلك ؟ وأنا أخاف الرجال الذين لولا ما أعطيهم من أجور لماتوا جوعا ، أليس كذلك ؟ وأنا لست الا بخيلا عجوزا مقززا حتى أكون لعبة فى أيدى نساء متآمرات ومديرين حمقى فى شركاتى ، أليس كذلك ؟ أنا ..

مسز هشاباى : (فى كياسـة) هش ش ش ! ان الشرف يحتم

عليك يا مستر مانجان أن تمحو من ذهنك كل ما سمعته وأنت متظاهر بالنوم ، فلم يكن المقصود أن تسمعه .

مانجان : متظاهر بالنوم ! أتظنين أنى لو كنت متظاهرا بالنوم فقط لرضيت أن أبقى ممددا! هكذا بلا حول لأسمع كل ما قيل عنى من ظلم وأكاذيب وجور ومؤامرات وغيبة وافتراء بينما أستطيع أن أقوم لأقول لكم رأيى فيكم ! انى لأعجب كيف لم أنفجر .

مسز هشابى : (بعذوبة) لقد رأيت كل ذلك فى الحلم يا مستر مانجان ، كل ما قلناه أنك تبدو وأنت نائم جميلا فى هدوئك ، وهذا كل ما فى الأمر ، أليس كذلك يا ايلى ؟ صدقنى يا مستر مانجان أن كل هذه الأشياء المزعجة انما مرت بذهنك فى نصف الثانية الأخيرة التى سبقت يقظتك ، لقد مسحت ايلى على شعرك فى اتجاه خاطىء فجلب هذا الاحساس الكريه ذلك الحلم الكريه .

مانجان : (فى عناد) انى أومن بالأحلام .

مسز هشابای : وأنا كذلك ، ولكنها تتحقق تحققا عكسيا ، أليس كذلك ؟

مانجان : (تتفجر عواطفه الدفينة فجأة) لن أنسى طول حياتى أنك كنت تهزأين بى عندما أريتنى عين الرضى فى الحديقة . لقد كان ذلك عملا دنيئا قذرا منك . لم يكن من حقك أن تدعينى أتقرب اليك ما دمت تنفرين منى ، ليس خطئى أننى رجل عجوز ليس لى شارب كالشمعدان البرونزى مثل زوجك . هناك أشياء لا يصح للسيدة المحترمة أن تفعلها مع الرجل ، تماما كما لا يصح للرجل أن ترتطم يده بصدر امرأة

(تجلس هزبون على الأريكة فى خجل تام وتغطى وجهها بكفيها ، فى حين يجلس مانجان على كرسيه ويبكى كالأطفال . تحدق ايلى فيه ، وتنزل مسز هشابای كفيها عن وجهها ، وتنظر اليه عندما تسمع صوت بكائه الشديد ثم تنهض وتجرى نحوه)

مسز هشابای : لا تبك ، انى لا أحتمل ذلك . هل حطمت قلبك ؟ لم أكن أعلم أن لك قلبا ، وأنّى لى أن أعلم ؟

مانجان : انى رجل ، أليس كذلك ؟

مسز هشابى : (فى رقة بين السخرية والملاطفة) أوه ، كلا ، لست من أستطيع أن أسميه رجلا ، لست فى نظرى الا رئيسا ولا شيء غير ذلك ، وما حاجة الرئيس الى القلب ؟

مانجان : أنت اذن لا تأسفين ولا تخجلين مثقال ذرة لما فعلت ؟

مسز هشابى : لقد خجلت لأول مرة فى حياتى عندما قلت ما قلت عن ارتطام يد الرجل بصدر المرأة ، وجعلنى ذلك أكتشف ما فعلت ، ان عظامى نفسها احمرت خجلا ، وبذلك تكون قد انتقمت أيها الرئيس ، ألا يكفيك هذا ؟

مانجان : هذا ما تستحقينه ! أتسمعين ؟ هذا ما تستحقينه ! لست الا قاسية ، قاسية !

مسز هشابى : نعم ، ان القسوة تكون لذيذة لو أن الانسان وجد منها نوعا لا يؤذى . على فكرة (تجلس الى جواره على ذراع الكرسى) ما اسمك ؟ لا يمكن أن يكون الرئيس ، أليس كذلك ؟

مانجان : (بايجاز) ان أردت أن تعرفى فاسمى ألفريد .

مسز هشابى : (تقفز واقفة) ألفريد !! ايلى ، لقد سموه باسم تنيسون !!

مانجان : (ينهض) بل سميت باسم عمى الذى لم يعطنى بنسا واحدا فى حياته ، عليه اللعنـــة ! وماذا فى ذلك ؟

مسز هشابى : لقد اكتشفت فجأة أنك انسان حقيقى ، وكانت لك أم كبقية الناس (تضع يديها على كتفيه وهى تفحصه بنظرها) يا آلف الصغير !

مانجان : حسنا ، ان لك لأعصابا .

مسز هشابى : وان لك قلبا يا ألفى ، قلبا صغيرا دائم الشكوى، ولكنه قلب حقيقى . (تتركه فجأة) والآن اذهب وصالح ايلى ، فقد وجدت وقتا أكثر منى لتفكر فيما تقوله لك . (تخـرج مسرعة من البـاب الأيسر الى الحديقة) .

مانجان : لهذه المرأة يدان يحس بهما الانسان تتغلغلان فى أعماقه .

ايلى : أما زلت تحبها على الرغم من كل ما قلناه عنك ؟

مانجان : هل كل النـساء مثلكما ؟ ألا يفكرن الا فيما يمكن أن يحصلن عليه من الرجل ؟ وحتى هذا لم يكن

ما تفكرين فيه بالنسبة لى ، وكل ما كنت تفكرين فيه هو متى تتمزق قفازاتك .

ايلى : لن أكون مضطرة الى التفكير فى ذلك بعد زواجنا .

مانجان : وتظنين أنى سأتزوجك بعد كل ما سمعت !

ايلى : انك لم تسمع منى جديدا لم أقله لك من قبل .

مانجان : لعلك تظنين أنى لن أستطيع الحياة بدونك .

ايلى : أظن أنك ستشعر بالوحشة بدوننا جميعا ، بعد أن عرفتنا الآن معرفة وثيقة .

مانجان : (بما يشبه صرخة اليأس) ألا تكون لى الكلمة الأخيرة أبدا ؟

الفيطان شتوفر : (يظهر عند باب الحديقة الأيمن) هنا روح تتعذب ، ماذا حدث ؟

مانجان : هذه الفتاة لا تريد أن تقضى عمرها تتساءل متى تتمزق قفازاتها .

الفيطان شتوفر : (مارا بهما) لا داعى للبسها ، أنا لا ألبسها أبدا (يدخل الى الكيلار) .

ليدى أتروود : (تظهر عند الباب الأيسر المؤدى الى الحديقة فى ثوب سهرة رائع) ماذا حدث ؟

ايلى : هذا السيد يريد أن يعرف ألا تكون له الكلمة الأخيرة أبدا ؟

ليدى أتروود : (تتقدم نحو الأريكة) لو كنت مكانك لتركتها له يا عزيزتى ، فليس المهم أن تكون لك الكلمة الأخيرة ، انما المهم أن تفعلى ما تريدين .

مانجان : انها تريد الأمرين معا .

ليدى أتروود : لن يكون لهـا ذلك أبدا يا مستر مانجـان ، فالكلمة الأخيرة دائما لله .

مانجان : (فى يأس) والآن تريدون أن تتغلبـوا علىّ بالدين ، ان عقل الرجل يصبح فى هـذا المنزل ككرة القدم ، أنا ذاهب (يتجه الى الصالة ولكنه يتوقف عندما يسمع صيحة القبطان الذى خرج توا من الكيلار) .

القبطان شتوفر : الى أين تخرج أيها الرئيس مانجان ؟

مانجان : الى الجحيم بعيدا عن هذا المنزل ، وليكن فى ذلك الكفاية لك ولكل من هو موجود هنا .

القبطان شتوفر : لقد قدمت على الرحب والسعة وأنت حـر فى الرحيل ، فالأرض الواسعة والمحيطات الشاسعة

والسماوات الفسيحة كلها فى انتظارك خارج البيت .

ليدى أتروود : ولكن حاجاتك يا مستر مانجان ، حقيبتك ومشطك وفرشاتك وبيجاماتك ..

هكتور : (الذى يظهر فى هذه اللحظة فى الباب الأيسر فى ملابس عربية جميلة) ما الذى يضطر العبد الهارب الى أخذ أغلاله معه ؟

مانجان : معك حق ياهاشاباى ، احتفظى بالبيجامات ياسيدتى ، لعلها تنفعك .

هكتور : (يتقدم الى يسار ليدى أتروود) هيا نخرج جميعا الى ظلام الليل تاركين كل شىء وراءنا .

مانجان : بل ابقوا جميعا حيث أنتم . لست أريد صحبة ، وبخاصة من النساء .

ايلى : اتركوه يذهب فهو غير سعيد هنا . انه غاضب منا .

العبطان شتوفر : اذهب أيها الرئيس مانجان ، وعندما تجد الأرض السعيدة الخالية من النساء فأرسل الىّ موقعها من خطوط الطول والعرض لألحق بك هناك .

ليدى أتروود : لا شك أنك لن تكون مرتاحا بدون أمتعتك يا مستر مانجان .

ايلى : (بصبر نافذ) اذهب ، اذهب ، لماذا لا ترحل ؟ انها ليلة رائعة . يمكنك أن تنام على العشب . سنجد معطفى الواقى من المطر معلقا فى البهو ، خذه لترقد عليه .

هكتور : سيكون الافطار معدا فى التاسعة الا اذا كنت تفضل تناوله مع القبطان فى السادسة .

ايلى : طاب مساؤك يا ألفريد .

هكتور : ألفريد ! (يجرى عائدا الى الباب وينادى من فى الحديقة) راندل ، اسم مانجان الأول ألفريد.

راندل : (يظهر عند الباب الأيمن فى ملابس السهرة) اذن فقد كسبت هزيون الرهان .

(تظهر مسز هشاباى عند الباب الايسر فتلقى بذراعها اليسرى حول رقبة هكتور وتجذبه معها خلف الأريكة وتلقى بذراعها اليمنى حول رقبة ليدى أتروود)

مسز هشابای : ما كانوا ليصدقونى ياآلف .

مانجان : هل بقى أحد منكم لم يأت بعد لينظر الىّ ، كأنى أحدث شيء فى سيرك ؟

مسز هشابى : انك أحدث شيء فى هذا السيرك .

(قبل أن يستطيع مانجان الرد يسمع من الطابق العلوى صوت سقوط بعض الأثاث تتبعه طلقة مسدس وصرخة ألم . فينفرق الجمع المحملق فى مانجان فى فزع)

ماتزينى : (من أعلى) النجدة ! اللص ! النجدة !

هكتور : (تتأجج عيناه) لص !!!

مسز هشابى : كلا ياهكتور ، سوف يطلق عليك الرصاص (ولكنها تقول ذلك متأخرة اذ يكون هكتور قد اندفع عبر مانجان الذى يسرع بالاتجاه نحو رفوف الكتب مخلبا الطريق) .

القبطان شتوفر : (ينفخ فى صفارته) كل الرجال يصعدون الى السطح (يتبع هكتور فى خطوات واسعة) .

ليدى اترووود : ماساتى ! (تتبع القبطان) .

راندل : (يندفع خلفها) كلا ياأريادن ، دعينى أذهب أنا .

ايلى : أوه ، هل أصيب أبى ؟ (تجرى الى الخارج) .

مسز هشابى : أنت خائف يا آلف ؟

مانجان : كلا ؛ فهو ليس منزلى والحمد لله .

مسز هشاباى : أاذا قبضوا على لص نضطر للذهاب الى المحكمة كشهود لتكون عرضة لمختلف الأسئلة عن حياتنا الخاصة ؟

مانجان : اذا قلت الحق فلن يصدقك أحد .

(يدخل ماتزينى من البهو فى اضطراب شديد وقد أمسك فى يده مسدس مبارزة ويتجه الى منصدة الرسم)

مانزينى : أوه يا عزيزتى مسز هشاباى ، لقد كدت أقتله (يلقى بالمسدس على المنضدة ويدور حولها مترنحا ليتجه الى الكرسى) أرجو ألا تظنوا أنى قصدت ذلك .

(يعود هكسور وهو يدفع أمامه رجلا عجوزا يبدو عليه الاجرام ، وقد أمسكه من ياقة سترته . يزرعه وسط الحجرة ويرفع يده عنه . تدخل خلفهما ايلى التى تجرى فى الحال عبر الحجرة الى الكرسى الذى يجلس عليه والدها فتقف خلفه وهى تربت على كتفيه)

راندل : (يدخل وفى يده عمود من الحديد مما يستعمل

فى تحريك النار فى المدفأة) راقب هـذا الباب يا مانجان ، وسأراقب أنا الآخر .

(يذهب الى الباب الأيمن ليحرسه .)
(تدخل ليدى أترووود بعد راندل وتقف بين مسز هشاباى ومانجان .)
(تأتى المربية جينيس فى النهـاية وتقف قرب الباب عن يسار مانجان)

مسز هشاباى : ماذا حدث ؟

مانزينى : أخبرتنى خادمتك أن شـخصا ما فى الطـابق العلوى ، وأعطتنى مسدسا كان مستر هشاباى يتمرن به ، فظننت أن المسدس سيخيفه . ولكن الرصاصة انطلقت بعد لمسة بسيطة .

اللص : نعم ، فسلخت جلد أذنى ، وكادت تطير يا فوخى ، لماذا لا تتخذ مسدسا مضبوطا بدلا من هـذا الشىء الذى تخرج رصاصاته كلما نفخت فيه ؟

هكتور : انه أحدث مسـدسات المبارزة التى أمتلكها . آسف .

مانزينى : فرفع يديه الى أعلى وقال : من العدل أن يقبض علىّ .

اللص : وهذا حق ، استدعوا الشرطة .

هكتور : لا والله ! لم نكن عادلين فى القبض عليه . لقد كنا أربعة لواحد .

مسز هشابای : وماذا سيفعلون به ؟

اللص : عشر سنوات تبـدأ بالحبس الانفرادى ، عشر سنوات من عمرى . لن أستطيع أن أتمها وأنا فى هذه السن الكبيرة ، سأموت قبل أن تنتهى .

ليدى اتروود : كان يجب أن تفكر فى ذلك قبل أن تسرق ماساتى.

اللص : حسنا ، لقد استعدتها ياسيدتى ، أليس كذلك ؟ ولكن هل تستطيعين أن تعيدى الىّ سـنوات عمرى التى ستأخذينها ؟

مسز هشابای : أوه ، لا يمكننا أن ندفن رجلا بالحياة مدة عشر سنوات من أجل ماسات قليلة .

اللص : عشر ماسات صغيرة لامعة ! وعشر سنوات طويلة سوداء !

ليدى اتروود : ألا تفكر فيما سيحدث لنا عندما نقاسى أهوال محاكم الجنايات وتنشر تفاصيل حياتنا الخاصة فى الصحف ؟! لو كنت من أهالى المستعمرات لرضيت أن يأمر هيستنجز بضربك ضربا مبرحا

ثم يطلق سراحك . ولكن هنا فى انجلترا لا يجد أى انسان محترم حماية كافية .

اللص : انى أكبر سنا من أن أضرب ياسيدتى ، فلترسلوا فى طلب الشرطة ولننته . ومن الحق والعدل أن تفعلوا .

راندل : (وقد خفف من مراقبته عندما لاحظ ما عليه اللص من ميل الى الهدوء ، يتقدم وهو يلعب بالعصا الحديدية بين أصابعه كأنها مظلة محكمة الربط) ليس من الحق ولا من العدل أن نضطر الى كثير من المضايقات لنرضى حماستك الخلقية يا صديقى . خير لك أن تنصرف ما دامت الفرصة سانحة .

اللص : (فى عناد) كلا . يجب أن أرفع هذه الخطيئة عن ضميرى . لقد جاءتنى هذه الفكرة كدعوة من السماء ، فدعونى أقضى بقية حياتى نادما فى الزنزانة لأكفر عن خطيئتى وألقى ثوابى فى الحياة الآخرة .

ماتيجان : (فى سخط) حتى اللصوص لا يمكنهم أن يتصرفوا تصرفات طبيعية فى هذا المنزل .

هكتور : يا سيدى العزيز ، عليك أن تعمل لخلاص نفسك على حساب غيرنا ، فلن يتهمك أحد منا .

اللص : أوه ، لن تتهمونى ، أليس كذلك ؟

هكتور : نعم ، وانى آسف لعدم استطاعتى أن أستبقيك كما يقضى كرم الضيافة ، ولكن هل تسمح بمغادرة المنزل ؟

اللص : حسن ، سأذهب الى مركز الشرطة وأسلم نفسى.

(يذهب فى تصميم نحو الباب ولكن هكتور يوقفه)

هكتور : أوه ، كلا ، يجب ألا تفعل ذلك .

راندل : كلا ، كلا ، انصرف يا رجل ولا تكن غبيا ، ألا تستطيع الانصراف ؟

مسز هشابای : ما هذه الحماقة ؟ ألا تستطيع أن تنوب فى بيتك؟

ليدى آرروود : عليك أن تطيع الأمر .

اللص : انه تستر على جريمة كما تعلمون .

مسز هشابای : يا له من أمر مضحك حقا ، أحتم علينا أن نقدم هذا الرجل للمحاكمة رغم ارادتنا ؟

اللص : وأنا ؟ أيجب علىّ أن أحرم من خلاص روحى لأجنبكم مشقة تضييع يوم فى المحكمة ؟ أهذه

عدالة ؛ أهذا حق ؟ أهو انصاف لى ؛

مانزينى : (ينهض وينحنى على المنضدة متكلما بلهجة مفنعة كأنما يستند على منبر وعظ أو منضدة دكان) كفى ، كفى ! دعنى أرشدك كيف تحول جرائمك الى حسنات . لماذا لا تشتغل حدادا ؟ أنت ولا شك تعرف عن الأقفال أكثر مما يعرف معظم الشرفاء .

اللص : هذا صحيح يا سيدى ، ولكنى لا أستطيع أن أبدأ العمل كحداد بمبلغ أقل من عشرين جنيها .

راندل : حسنا ؛ من السهل عليك أن تسرق عشرين جنيها، ستجدها فى أقرب مصرف .

اللص : (مرتاعا) أوه ، أى فكرة يضعها سيد مهذب فى رأس مجرم مسكين يحاول أن يزحف خارجا من هوة لا قرار لها ! أوه ، عار عليك ياسيدى ! أوه ، ليغفر لك الله يا سيدى ! (يلقى بنفسه على الكرسى الكبير ويغطى وجهه وكأنما يصلى)

ليدى آتروود : حقا يارانـدل !

دكتور : يخيل الىّ أننا سنضطر الى عمل اكتتاب لهذا المجرم التائب فى غير أوانه .

مسز هشابای : ولكن عشرين جنيها شيء غير معقول .

اللص : (يرفع رأسه بسرعة) سأضطر الى شراء كثير من الأدوات ياسيدتى .

ليدى أترود : كلام فارغ ، فلديك أدوات السرقة .

اللص : وماذا تجدى عتلة قصيرة ومثقب وآلة لحام بالأكسيجين وحزمة من الطفاشات ؟ انما احتاج الى كير ومسبك ودكان وتركيبات ، ان العشرين جنيها لا تكاد تكفى .

هكتور : يا صديقى الفاضل ، نحن لا نملك عشرين جنيها.

اللص : (وقد أصبح سيد الموقف) يمكنكم جمعها فيما بينكم ، ألا تستطيعون ؟

مسز هشابای : أعطه جنيها يا هكتور ودعنا نخلص منه .

هكتور : (يعطيه جنيها) خذ ! ولتخرج على الفور .

اللص : (ينهض ويأخذ النقود بغير امتنان) لن أعدكم بشيء ، فان معكم ولا شك أكثر من جنيه ، أعنى معكم جميعا .

ليدى أترود : (بعنف) أوه ، فلنقدمه للمحاكمة ولننته من هذا الأمر ، أظن أن لى ضميرا أنا أيضا ، ولست

واثقة مطلقا أن من حقنا اطلاق سراحه ، خاصة وأنه أصبح طماعا وقحا .

اللص : (بسرعة) لا بأس يا سيدتى ، لا بأس ، فأنا لا أريد أن أسيئكم مطلقا . طاب مساؤكم سداتى وسادتى ، وأشكركم من أعماق قلبى . (بينما هو مسرع بالخروج يواجه القبطان شتوفر) .

القبطان شتوفر : (يوقف اللص بنظرة نافذة) ما هذا ؟ أأنتما اثنان ؟

اللص : (يخر على ركبتيه أمام القبطان فى ذعر ذليل) أوه يا الهى ! ماذا فعلت ؟ لا تقل ان هذا البيت الذى سطوت عليه هو بيتك يا قبطان شتوفر .

(يقبض عليه القبطان من ياقته ويرفعه حتى يقف ثم يدفعه الى أن يصل الى وسط المجموعة فيضطر هكتور الى التراجع حتى يقف الى جوار زوجته ليفسح طريقا لهما)

القبطان شتوفر : (يدفعه حتى يواجه ايلى) أهذه ابنتك (يخلى سبيله) .

اللص : وكيف أعلم يا قبطان ؟ فأنت تعرف الحياة التى عشناها أنت وأنا ، ويمكنك أن تقول ان أية

فتاة فى هذا العمر فى جميع أنحاء العالم قد تكون ابنتى .

القبطان شتوفر : (لماتزينى) لست أنت بيلى دن ، هذا هو بيلى دن ؛ فلماذا خدعتنى ؟

اللص : (يخاطب ماتزينى فى سخط) هل ادعيت أنك أنا ؟ وأنت الذى كدت تطير رأسى ؟ كأنك كنت تطلق الرصاص على نفسك اذن !

ماتزينى : يا عزيزى القبطان شتوفر ، منذ جئت الى هذا البيت لم أكد أفعل شيئا سوى أن أؤكد لك أنى لست مستر وليم دن ؛ بل ماتزينى دن ؛ أى شخصا آخر يختلف عن الأول كل الاختلاف .

اللص : انه ليس من الفرع الذى أنتمى اليه يا قبطان ؛ فللأسرة فرعان ، آل دن المفكرون ؛ وآل دن السكيرون ؛ وكل فرع سار فى طريقه ؛ أنا من فرع السكيرين ؛ وهو من فرع المفكرين ، ولكن ذلك لا يعطيه أى حق فى اطلاق الرصاص علىّ .

القبطان شتوفر : اذن فقد تحولت الى لص ؛ أليس كذلك ؟

اللص : كلا يا قبطان ؛ ما كنت لألوث مهنتنا البحرية القديمة بمثل هذا ؛ كلا ؛ أنا لست لصا .

ليدى اترود: وماذا كنت تفعل بماساتى ؟

الربه جينيس : لماذا اقتحمت البيت ان لم تكن لصا ؟

رانفل : أخطأت البيت وحسبته بيتك فدخلت من النافذة الخطأ ، أليس كذلك ؟

اللص : حسنا ، لا فائدة من الكذب ، اننى أستطيع خداع معظم القباطنة ، ولكنى لا أستطيع خداع القبطان شتوفر الذى باع نفسه للشيطان فى زنجبار ، والذى يستطيع أن يتكهن بمكان الماء، ويكتشف الذهب ، ويفجر رصاصة فى جيبك بنظرة من عينه ، ويرى الحقيقة المخبأة فى قلب الرجل . ولكنى لست لصا .

القبطان شتوفر : رجل شريف أنت ؟

اللص : لا أزعم أنى خير من اخوتى البشر ، ولا زعمت ذلك قط كما تعلم جيدا يا قبطان . ولكن ما أفعله حلال طيب . فأنا أجمع المعلومات عن المنازل التى يسكنها السراة من الناس ، فأفعل ما فعلته هنا ، أقتحم البيت وأضع فى جيبى قليلا من الملاعق أو الماسات ، ثم أحدث ضجة ليقبض علىّ ، وبعدها أجمع تبرعات منهم . وقد لا تصدق كم

يكون شاقا أن تعمل ليقبض عليك . فربما قلبتُ كل الكراسى فى احدى الغرف دون أن يعيرنى أحد انتباها ، وفى النهاية أضطر الى الخروج وأترك الشغل .

راندل : وهل تعيد الملاعق والماسات اذا ما حدث ذلك ؟

اللص : حسنا ، أنا لا أعاند القدر ، ان كان هذا هو ما تريد معرفته .

الفيطان شتوفر : أتذكرين هذا الرجل يا جينيس ؟

الربة جينيس : أظننى أذكره . فقد كنت زوجته ، هذا الوغد !

هزيون ليدى أتروود : (تصيحان سويا) زوجته ! جينيس !

اللص : لم يكن زواجا قانونيا . فقد تزوجت عددا لا حصر له من النساء . لا فائدة من أن تلعبى هذه اللعبة علىّ .

الفيطان شتوفر : خذيه الى مكان البحّارة . (يدفع به نحو الباب بقوة تفوق سنه) .

الربة جينيس : أظنك تعنى المطبخ . لن يقبله الخدم بينهم ، أو تظنهم يرضون بمجالسة اللصوص ومن اليهم؟

الفيطان شتوفر : لا فرق بين لصوص البر ولصوص البحر ، فكلهم

آدميون . اذهبـــا كلاكما فلا أريد بحـــارا فى قمرتى .

اللص : نعم يا قبطان (يخرج فى خضوع) .

ماتزينى : أليس من خطر فى تركه فى المنزل هكذا ؟

الربيه جينيس : لماذا لم تقتله يا سيدى ؟ لو أنى عرفت من هو لقتلته بنفسى .

(تخرج .)

مسز هشابى : فلنجلس جميعا (تجلس على الأريكة)

(يتحركون جميعا ماعدا ايلى ، فيعود ماتزينى الى كرسيه ، ويجلس راندل على كرسى النافذة قرب الباب الايمن وقد عاد يطوح العصـــا الحديدية كانها بندول الساعة ويتاملها كما يمكن أن يفعل جاليليو . ويجلس هكسور على يساره فى الوسط ، ومانجان ــ الذى نسيه الجميع ــ فى الركن الايسر ، وتشغل ليدى أترووود الكرسى الكبير . يدخل القبطـــان شتوفر الى الكيلار وقد راح فى تفكير عميق بينما يتبعه الجميع بأنظارهم . تسعل ليدى أترووود متعمدة .)

مسز هشابى : اذن فبيلى دن كان غرام دادة المسكينة ، كنت أعرف أن لها حبيبا ما .

راندل : سيستأنفان مشاجراتهما من جديد ، ويتمتعان بذلك متعة عظيمة .

ليدى اترود : (بانفعال) لست متزوجا يا راندل ولا تعرف شيئا عن الزواج ، فأمسك لسانك .

راندل : يا ظالمة !

مسز هشابى : حسنا ، لقد كانت سهرة مثيرة ، وسيكون كل شيء بعد ذلك فاترا ، فخير لنا أن نذهب جميعا لننام .

راندل : قد يظهر لص آخر .

مانزينى : أوه ، مستحيل ! أرجو ألا يحدث ذلك .

راندل : ولِمَ لا ؟ فى انجلترا أكثر من لص واحد .

مسز هشابى : ما رأيك يا آلف ؟

مانجان : (فى حنق) أوه ، وما قيمة رأيى ؟ لقد أصبحت منسيا ، حل اللص مكانى من اهتمامكم . أزاحنى الى ركن وانتهى أمرى .

مسز هشابى : (تقفز واقفة فى شقاوة وتذهب اليه) أتحب أن تتنزه على العشب يا ألفريد ؟ معى ؟

ايلى : اذهب يا مستر مانجان فسوف يفيدك ذلك ، ستهدئك هزيون .

مسز هشابى : (تتأبط ذراعه وترفعه فيقف) هيا يا ألفريد ، فالليلة مقمرة : كالليل فى أوبرا بريستان وايزولد (تربت على ذراعه وتجره الى باب الحديقة الأيسر) .

مانجان : (يتلوى ولكنه مستسلم) كيف تجدين الجرأة — كيف يطاوعك قلبك - - (يتداعى ويسمع صوت بكائه وهى تسحبه الى الخارج) .

ليدى أتروود : يا له من سلوك غريب ! ماذا جرى للرجل ؟

ايلى : (بصوت عادىء هدوءا غريبا وهى شاردة البصر) ان قلبه يتحطم ، هذا كل ما فى الأمر (يظهر القبطان عند باب الكيلار ويقف ليسمع) انه احساس عجيب ، ذلك النوع من الألم الذى يتجاوز قوى احساسنا ؛ لطفا بنا . عندما يتحطم قلبك تحترق سفنك . فلا يعود لأى شىء أهمية، ويكون ذلك نهاية السعادة وبداية السلام .

ليدى أتروود : (تنهض فجأة فى سورة غضب بين دهشة الجميع) كيف تجرؤين !

هكتور : يا للسماوات ! ماذا حدث ؟

راندل : (محـذرا فى همس) تش — تش — تش ! اثبنى .

ايلى : (فى دهشة وكبرياء) لم أكن أخاطبك أنت بالذات يا ليدى أتروود ، ولست بمعتادة أن يقال لى كيف تجرؤين .

ليدى أتروود : بالطبع لا . يستطيع أى انسان أن يلاحظ سوء تربيتك .

ماتزينى : أوه ، لا أظن ذلك ياليدى أتروود ، حقا !

ليدى أتروود : أنا أدرك تماما معنى ما قلت ، يالها من وقاحة !

ايلى : بالله ماذا تعنين ؟

القبطان شوتر : (يتقدم نحو المنضدة) تعنى أن قلبها لن ينحطم، لقد ظلت طول عمرها تتشوق الى من يحطم قلبها ، وأصبحت أخيرا تخشى ألا يكون لها قلب يتحطم .

ليدى أتروود : (تنطرح على ركبتيها وتحيطه بذراعيها) لا تقل انك تظننى بلا قلب يا أبى .

القبطان شوتر : (يرفعها فى حنان صارم) اذا لم يكن لك قلب فكيف تريدينه يتحطم يا بنية ؟

هكتور : (يقفز واقفا) لا يمكن أن تؤتمنى باليدى أتروود،

لقد ثرت فضيحة (يخرج عدوا الى الحديقة من الباب الأيمن) .

ليدى أترود: أوه ! هكتور . هكتور ! (تعدو خلفه) .

رانفل : أؤكد لكم أنه اضطراب أعصاب ولا شيء غير ذلك . (ينهض ويتبعها وهو يهز العصا الحديدية من اضطرابه) أريادن ! أريادن ! كوني حذرة بالله ، انك سوف ... (يخرج) .

ماتزيني : (ينهض) يا له من أمر مؤلم ! انى لأتساءل هل أستطيع أن أفعل شيئا ؟

القبطان شتوفر : (يجلس بسرعة على كرسيه ويبدأ العمل على منضدة الرسم) لا . اذهب الى فراشك ، طاب مساؤك .

ماتزيني : (فى ارتباك) أوه . لعلك على حق .

ايلى : تصبح على خير يا أعز عزيز (تقبله) .

ماتزيني : تصبحين على خير يا حبيبتى (يسير نحو الباب ولكنه يعرج على رفوف الكتب) سآخذ كتابا (يأخذ واحدا) تصبحا على خير .

(يخرج تاركا ايلى وحدها مع القبطان) .

ايلى : ألا يزعجك شيء أبدا يا قبطان شتوفر ؟

القبطان شتوفر : لقد ظللت واقفا فى مركز القيادة ثمان عشرة ساعة أثناء احدى العواصف . ان الحياة هنا أشد عصفا ، ولكننى أستطيع احتمالها .

ايلى : أتظن أنه يحسن بى أن أتزوج مستر مانجان ؟

القبطان شتوفر : (دون أن يرفع رأسه) لا فرق بين صخرة وأخرى لتتحطم عليها السفينة .

ايلى : لست أحبه .

القبطان شتوفر : ومن قال انك تحبينه ؟

ايلى : ألا يدهشك ذلك ؟

القبطان شتوفر : يدهشنى ! فى سنى هذه !

ايلى : تبدو لى قسمة عادلة ، هو يريدنى لشيء وأنا أريده لشيء آخر .

القبطان شتوفر : المال ؟

ايلى : نعم .

القبطان شتوفر : حسن ، واحد يدير خده والآخر يقبله ، وواحد يجمع المال والآخر ينفقه .

ايلى : انى لأتساءل من سيكون الرابح فى هذه الصفقة ؟

القبطان شتوفر : أنت ، فهؤلاء الأشخاص يقضون طوال اليوم في المكاتب ، وليس عليك الا احتماله فيما بين العشاء والافطار ، ولكنكما كليكما ستكونان نائمين معظم هذا الوقت ، وستتخلصين منه طول النهار لتشترى ما تشائين بنقوده . ان كان هذا كثيرا عليك فتزوجي بحارا فلعله لن يضايقك الا ثلاثة أسابيع في السنة .

ايلى : أظن هذا أحسن شيء .

القبطان شتوفر : من الخطر أن تتزوجي شخصا يقضي اليوم بطوله معك كما يفعل زوج ابنتي . ان الرجل لا يبرح البيت طول النهار ، وكأنه روح ملعونة في الجحيم .

ايلى : ما فكرت في ذلك قط من قبل .

القبطان شتوفر : اذا كنت تريدين زواجا عمليا فيجب أن تكوني عملية الى أقصى حد .

ايلى : لماذا تتطلع النساء دائما الى أزواج الأخريات ؟

القبطان شتوفر : لماذا يفضل لصوص الخيل المستأنس منها على الوحشي ؟

ايلى : (تضحك ضحكة قصيرة) أظن هذا ، يا لها من دنيا دنيئة !

القبطان شتوفر : هذا أمر لا يعنينى ، فقد أوشكت أن أخرج منها.

ايلى : وأنا أكاد أبدأ .

القبطان شتوفر : أجل ، فتطلعى الى المستقبل .

ايلى : حسنا ، أظننى شديدة الحذر .

القبطان شتوفر : لم أقل كونى حذرة بل قلت تطلعى الى المستقبل.

ايلى : وما الفرق ؟

القبطان شتوفر : بالحذر تكسبين الدنيا وتخسرين نفسك ، ولكن لا تنسى أنك ان أخلصت لنفسك أخلصت لك ، أما الدنيا فلها طريقة تتسرب بها من بين أصابعك.

ايلى : (تتركه وقد أدركها الملل وتبدأ تتجول فى الحجرة فى قلق) يؤسفنى أن أقول لك يا قبطان شتوفر انه لا فائدة من توجيه مثل هذا الحديث الىّ . فالطراز العتيق من الناس لن يفيدنى بشىء . ان هذا الطراز العتيق من الناس يظنون أن الانسان يستطيع الاحتفاظ بروحه مع الفقر ، ويعتقدون أنه كلما قل نصيب الانسان من المال زاد نصيبه من الروح ، ولكن شبان اليوم أكثر

علما . فالاحتفاظ بالروح يكلف كثيرا ، أكثر جدا مما تكلفه السيارة .

القبطان شتوفر : حقا ؟ كم تأكل روحك ؟

ايلى : أوه ، كثيرا ، انها تأكل موسيقى ولوحات وكتبا وجبالا وبحيرات وملابس جميلة وعشرة أناس ظرفاء ، وكل ذلك لا يمكن الحصول عليه فى هذه البلاد الا اذا كنت تملك الكثير من المال ، وهذا هو السبب الذى يجعل أرواحنا فى جوع شديد .

القبطان شتوفر : ان روح مانجان تقتات بطعام الخنازير .

ايلى : نعم ، لأن المال يرتمى عليه . أعتقد أن روحه كادت تموت جوعا فى شبابه ، أما أنا فلن يرتمى علىّ المال . فأنا لا أتزوج من أجل المال الا لكى أنقذ روحى ، وهذا ما تفعله كل النساء ما عدا البلهاوات .

القبطان شتوفر : هناك طرق أخرى للحصول على المال ، لماذا لا تسرقينه ؟

ايلى : لأنى لا أريد أن أدخل السجن .

القبطان شنوفر : أهذا هو السبب الوحيد ؟ أأنت على ثقة تامة من أن الشرف لا دخل له فى ذلك ؟

ايلى : أوه ؛ انك من طراز عتيق جدا ياقبطان ، أتحسب أن أية فتاة عصرية تعتقد أن الطرق القانونية وغير القانونية للحصول على المال هى الطرق الشريفة وغير الشريفة ؟ لقد سرق مانجان أبى وأصدقاء أبى ؛ ولو تركتنى الشرطة لاستعدت الأموال كلها من مانجان بالسرقة ؛ وبما أن الشرطة لن تسمح لى بذلك فسأستردها بالزواج منه .

القبطان شنوفر : لن أستطيع المجادلة ؛ فانى طاعن فى السن ، وقد جمد عقلى على آراء بعينيها . كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أنك اذا بعت نفسك سواء أكنت عتيقة أم عصرية فانك توجهين اليها ضربة لن يستطيع شفاءها كل مافى العالم من كتب ولوحات وحفلات موسيقية ومناظر . (ينهض فجأة ويتجه الى الكيلار)

ايلى : (تجرى خلفه وتمسكه من كمه) لماذا اذن بعت نفسك للشيطان فى زنجبار ؟

القبطان شنوفر : (يقف مضطربا) ماذا ؟

ايلى : لن تستطيع الهرب قبل أن تجيبنى ، فقد عرفت حيلتك ، ما دمت قد بعت نفسك فلماذا لا أفعل أنا ذلك ؟

الشيطان شتوفر : لقد كنت مضطرا أن أعامل رجالا بلغ من سفالتهم أنهم كانوا لا يطيعوننى الا اذا سببتهم وركلتهم وضربتهم بقبضتى ، فقد كان قوم أغبياء يأخذون اللصوص الشبان من الشوارع ويلقون بهم فى سفينة تدريب حيث يعلمونهم خشية العصا أكثر من خشية الله ، ويظنون أنهم جعلوا منهم رجالا وبحارة حين حولوهم الى متطوعين . هؤلاء اللصوص هم الذين أوهمتهم أننى بعت نفسى للشيطان وبهذا خلصت روحى من الضرب والسب اللذين كانا يهويان بها شيئا فشيئا .

ايلى : (تتركه) سأتظاهر ببيع نفسى للرئيس مانجان لأنقذ روحى من الفقر الذى يهوى بى شيئا فشيئا .

الشيطان شتوفر : سيهوى بك الترف الى قرار أبعد عشر مرات . ان الترف لن ينقذ حتى جسدك .

ايلى : عدنا للأفكار العتيقة ثانية . اننا الآن نعرف أن

الروح هى الجسد وأن الجسد هو الروح ، لقد أخبرونا بأنهما مختلفان لأنهم يريدون اقناعنا بأن فى استطاعتنا الاحتفاظ بأرواحنا اذا سمحنا لهم باسترقاق أجسادنا ، أخشى ألا تكون ذا فائدة لى يا قبطان .

القبطان شتوفر : وماذا كنت تنتظرين ؟ مخلّصا ؟ اه ؟ أفكارك عتيقة بحيث تؤمنين بذلك ؟

ايلى : لا ، ولكننى حسبتك بالغ الحكمة ، وقادرا على مساعدتى ، والآن عرفت حقيقتك . انك تتظاهر بأنك مشغول ، وتفكر فى كلمات رائعة تقولها ، وتجرى داخلا وخارجا لتدهش القوم بقولها ، وتهرب قبل أن يتمكنوا من الرد عليك .

القبطان شتوفر : اننى أشعر بالارتباك والخوف اذا سمعت ردا ، ولا أستطيع أن أحتمل الرجال والنساء ، ولهذا أهرب . ويجب أن أهرب الآن (يحاول ذلك)

ايلى : (تمسكه من ذراعه ثانية) لن تهرب منى ، فانا أستطيع أن أنومك مغناطيسيا ، أنت الوحيد فى هذا البيت الذى يمكننى أن أقول له ما أشاء ،

وانى لأعلم أنك مشغوف بى ، اجلس (تجذبه الى الأريكة) .

القبطان شتوفر : (فى استسلام) حذار ، فقد بلغت حد الخرف ، وما أخطر المسنين من الرجال اذ لا يهمهم مادا سيحدث للعالم .

(يجلسان متجاورين على الأريكة ، تميل عليه فى حب مستندة رأسها على كتفه ومستبلة أجفانها)

ايلى : (حالمة) كنت أحسب أن لا شىء غير هذا يهم المسنين ، فانهم لا يهتمون كثيرا بما يمكن أن يحدث لهم هم أنفسهم .

القبطان شتوفر : ليس اهتمام الانسان بالعالم الا فيضا من اهتمامه بنفسه . عندما تكونين طفلة يكون وعاء نفسك غير ملآن ، ولهذا لا تهتمين بشىء غير مصالحك ، وعندما تكبرين يفيض وعاء نفسك فتصبحين سياسية أو فيلسوفة أو مكتشفة ومغامرة ، وعندما تبلغين سن الشيوخة يجف الوعاء وينتهى الفيضان فتعودين طفلة كرة أخرى. فى استطاعتى أن أذكر لك طرفا من حكمتى

القديمة : نثائر وبقايا ، ولكنى الآن لم أعد أهتم حقيقة الا بمطالبى الصغيرة وهواياتى . انى أجلس هنا لأحول أفكارى القديمة الى أدوات لتدمير اخوانى فى البشرية . انى أرى ابنتى وزوجيهما يعيشون عيشة حمقاء من الخيال والعاطفة والحذلقة ، وأراكم أنتم الجيل الناشىء تتحولون عن خيالهم وعاطفتهم وحذلقتهم وتطلبون المال والرفاهية والعقل الواقعى الصارم . ولقد كنت وأنا فى مركز القيادة وسط العاصفة أو وأنا متجمد شهورا طويلة فى ظلام القطب أسعد عشر مرات مما يمكن أن تصل اليه سعادتك أو سعادتهم . انك تبحثين عن زوج غنى بينما كنت فى مثل سنك أبحث عن المشقة والمخاطر والرعب والموت لأحس بالحياة فى داخلى أكثر قوة ، لقد رفضت أن يسيطر خوف الموت على حياتى فكانت جائزتى أن بقيت لى الحياة ، أما أنت فتتركين الخوف من الفقر يسيطر على حياتك وسيكون جزاؤك أن تأكلى دون أن تحيى .

ايلى : (تعتدل فى جلستها نافذة الصبر) ولكن ماذا أفعل ؟ أنا لست قبطانا ولا أستطيع أن أقف فى مركز القيادة أثناء العاصفة أو أخرج لصيد الحيتان وعجول البحر فى جبال جرينلاند الثلجيه، لأنهم لا يدعون النساء يعملن قباطنة ، أتريد منى أن أكون خادمة فى سفينة ؟

القبطان شتوفر : هناك ما هو أسوأ من ذلك ، فان خادمات السفن يستطعن أن يعدن الى الشاطىء ان أردن ، ولكنهن يبحرن ويبحرن ويبحرن .

ايلى : وماذا يمكن أن يفعلن على الشاطىء الا أن يتزوجن من أجل المال ؟ لا ، لست أريد أن أكون خادمة فى سفينة ، فانى بحارة رديئة . فكر لى فى شىء آخر .

القبطان شتوفر : أنا عجوز جدا ولا أستطيع التفكير المستمر الطويل هكذا ، يجب أن أتحرك .. أدخل وأخرج ، (يحاول النهوض) .

ايلى : (تجذبه ثانية) لن تفعل ذلك ، فأنت سعيد هنا ، أليس كذلك ؟

القبطان شتوفر : قلت لك ان فى استبقائك اياى هنا مخاطرة ،

فلست أستطيع أن أظل يقظان منتبها .

ايلى : لماذا تريد الهرب ؟ أتريد النوم ؟

القبطان شتوفر : لا . ولكن لأتناول كأسا من الروم .

ايلى : (مصدومة للغايه) أهذا هو الأمر ؟ يا له من شيء تعافه النفس ! أتحب أن تكون ثملا ؟

القبطان شتوفر : كلا ، ان أخوف ما أخافه هو أن أكون ثملا ، فمعنى أن يسكر الانسان أن يعيش فى الأحلام، وأن يكون لينا ، وأن يسهل ارضاؤه وخداعه ، وأن يقع بين براثن النساء . وهذا ما يفعله السكر بالانسان عندما يكون شابا . ولكن عندما يصبح الانسان عجوزا ويبلغ أرذل العمر مثلى فان الأحلام تأتى وحدها ، انك لا تعرفين كم يكون ذلك فظيعا ، فأنت صغيرة تنامين أثناء الليل فقط ، وتنامين نوما عميقا ، ولكن عندما تتقدم بك السن ستنامين بعد الظهر ، وعندما تهرمين ستنامين حتى فى الصباح ، وسوف تستيقظين متعبة ، متعبة من الحياة ، ولن تتخلصى أبدا من النهويم والأحلام ، وتتسلل اليك الأحلام كل عشر دقائق أثناء عملك الا اذا قهرتها

بالروم . انى أشرب الآن لأظل منتبها ؛ ولو أن الروم لم يعد له تأثيره القديم ، فالأحلام تغلبنى، ولقد شربت عشر كئوس منذ حضرت ولكن تأثيرها لم يزد عن تأثير الماء . اذهبى وأحضرى لى كأسا أخرى ، ان جينيس تعرف مكانها ، وخير لك أن ترى بنفسك فظاعة منظر الرجل المسن عندما يشرب .

ايلى : لن تشرب خمرا ، احلم بأنى أحب أن تعيش فى الأحلام ، يجب ألا تعيش فى دنيا الحقيقة ونحن نتحدث معا .

القبطان شتوفر : انى أشد تعبا من أن أقاوم ، أو أشد ضعفا ، فانى أعيش طفولتى الثانية . انى لا أراك على حقيقتك، ولا أستطيع أن أتذكر حقيقتى ، ولا أحس بشىء الا تلك السعادة الملعونة التى كنت أخشاها طول حياتى ، السعادة التى تأتى حين تكون الحياة مولية ، سعادة الخضوع والعيش فى الأحلام بدلا من المقاومة والعمل ، حلاوة الفاكهة التى يدب فيها العفن .

ايلى : انك تخشاها كما اعتدت أنا أن أخشى ضياع

أحلامي واضطراري الى الصراع والعمل ، ولكن ذلك عهد انتهى بالنسبة لي ، فقد تحطمت أحلامي . واني لأود أن أتزوج رجلا طاعنا في السن واسع الثروة ، اني أود أن أتزوجك أنت بل أفضل أن أتزوجك على أن أتزوج مانجان ، أأنت واسع الثروة ؟

الفيكونت شوفر : لا . اني أعيش عيشة الكفاف ، كما أن لي زوجة في مكان ما من چمايكا ، زوجة سوداء هي زوجتي الأولى ، الا اذا كانت قد ماتت .

ايلي : يا للأسف . فاني أحس بسعادة كبيرة وأنا معك (تمسك يده دون وعي كامل وتربت عليها) فلننت أنني لن أشعر بالسعادة مرة أخرى .

الفيكونت شوفر : لماذا ؟

ايلي : ألا تعلم ؟

الفيكونت شوفر : ماذا ؟

ايلي : تحطم القلب ، فقد أحببت هكتور ولم أكن أعلم أنه متزوج .

الفيكونت شوفر : تحطم القلب ؟ أأنت من أولئك الذين يعيشون داخل أنفسهم حتى انهم لا يكونون سعداء الا

اذا سلبوا كل شيء حتى الأمل ؟

ايلى : (تشد على يده) يبدو ذلك ، فانى أحس الآن أنى قادرة على عمل أى شيء لأنى لا أريد شيئا .

القبطان شتوفر : هذه هى القوة الحقيقية الوحيدة ، هـذه هى العبقرية ، انها خير من الروم .

ايلى : (تلقى بيده بعيدا عنها) الروم ! لماذا أفسدت الأمر ؟

(يدخل هكتور وراندل من باب الحديقـة الأيمن)

هكتور : عفوا ، فلم نكن نعلم أن أحدا هنا .

ايلى : (وهى تنهض) معنى هذا أنك تريد أن تقص على مستر راندل قصة النمر ؛ تعال يا قبطان فانى أريد أن أتكلم مع أبى ويحسن أن تأتى معى .

القبطان شتوفر : (ينهض) هراء ! ان أباك فى فراشه .

ايلى : آها ! لقد كشفتك ، ان أبى الحقيقى فى فراشه أما ذلك الذى ادعيت أنه أبى ففى المطبخ ، وقد كنت تعلم ذلك جيدا طول الوقت ، هيا (تجذبه معها الى الحديقة من الباب الأيسر) .

هكتور : يا لها من فتاة معجزة اذ استطاعت أن تقود البحار

المجوز وكأنه كلب بكينى صـغير مربوط فى حبل !

راندل : الآن وقد ذهبا ، هل لنا أن نتحدث حديثا وديا ؟

هكتور : انك الآن ضيف فيما يقال انه بيتى ، فأنا تحت أمرك .

(يجلس فى كرسى الرسام ويديره ليواجه راندل الذى يظل واقفا وقد مال فى تراخ على منضدة النجار)

راندل : أعتقد أن الصراحة فى حديثنا واجبة ، أعنى فيما يخص ليدى أتروود .

هكتور : تستطيع أنت ذلك ، أما أنا فليس لدىّ ما يحتاج الى الصراحة ، فانى لم أرها قط قبل ظهر اليوم .

راندل : (يشد قامته) عجبا ! ولكنك زوج أختها .

هكتور : حسن ، اذا كان الأمر كذلك فأنت أخو زوجها .

راندل : ولكن يبدو أنك على علاقة حميمة بها .

هكتور : وأنت كذلك .

راندل : نعم ، ولكن علاقتى الحميمة بها راجعة الى أنى أعرفها منذ سنوات .

هكتور : يبدو أنها احتاجت معك الى سنوات لتبلغ علاقتها

الى النقطة التى بلغتها معى فى خمس دقائق .

راندل : (فى غيظ) حقا ، ان أريادن لا تحتمل . (يبتعد نحو النافذة فى غضب شديد) .

هكتور : (فى برود) انهـا امرأة جريئـة ، هكذا قلت لهزيون .

راندل : (يعود وقد زاد اضطرابه) تعرف أنك ياهشاباى من ذلك الصنف من الرجال الذى تعده النساء جميـلا .

هكتور : لقد اتخذت هذا المظهر أيام عجب الشباب ، ثم أصرت هزيون على أن أحتفظ به ، انها تضطرنى الى ارتداء هذه الملابس المضحكة (يشـير الى الملابس العربية التى يرتديها) لأنها تظننى أبدو مضحكا فى ملابس السهرة .

راندل : ومع ذلك ما زلت محتفظا بمظهرك الحسن أيها الرجل العجوز . أؤكد لك أن ليس فى طبيعتى ذرة واحدة من الغيرة ..

هكتور : الأولى أن نسأل ان كان فى طبيعة أخيك ذرة من ذلك .

راندل : ماذا ! هيستنجز ! أوه ، لا عليك من هيستنجز ،

ان لديه القدرة على العمل ست عشرة ساعة فى اليوم فى أسخف التفاصيل ، بل انه يحب هذا العمل ، وهذا ما يرفعه الى القمة حيثما ذهب ، وما دامت أريادن تعتنى باطعامه بانتظام فانه لا يكون الا شاكرا لأى شخص يبقيها له فى حالة راضية .

هكتور : وما دامت تملك كل سحر آل شتوفر فانها ولا شك تجد الكثيرين من المتنافسين على شغل هذه الوظيفة ، أليس كذلك ؟

رانفل : (غاضبا) انها تشجعهم ، وسلوكها هذا شائن جدا ؛ أؤكد لك يا صديقى العزيز أننى لا أحمل فى طبيعتى ذرة واحدة من الغيرة ، ولكنها بتزقها تجعل من نفسها مثار الأحاديث فى كل مكان تحل فيه . والأمر لا يعدو ذلك ، فانها فى الحقيقة لا تهتم بالرجال الذين تحيط نفسها بهم ؛ ولكن أنّى للناس أن يعلموا ؟ هذا ظلم لهيستنجز ؛ وهو ظلم لى .

هكتور : ولكنها ترى أن سلوكها مهذب تماما ..

رانفل : مهذب ! انها لا هم لها الا أن تثير الفضائح من

الصباح الى المساء ، كن حذرا أيها الرجل العجوز فانها ستجلب لك المتاعب ، هذا اذا كانت حقيقة تهتم بك .

هكتور : ألا تهتم بى ؟

راندل : ولا أقل اهتمام ، ربما أرادت أن تحصل على فروة رأسك لتضمها الى مجموعتها ، ولكن قلبها مشغول منذ سنوات طويلة . خير لك أن تكون حذرا .

هكتور : أتعانى كثيرا من هذه الغيرة ؟

راندل : الغيرة ؟ أنا أغار ؟ ألم أقل لك يا صديقى العزيز أننى لا أحمل ذرة واحدة من —

هكتور : نعم ، وقد قالت لى ليدى أتروود انها لا تثير الفضائح . حسنا ، لا تضع غيرتك على شاربى ، لا تضع الغيرة على رجل حقيقى ، فان البطل الخيالى هو الذى يتغلب علينا فى المدى البعيد . هذا الى أن الغيرة لا تليق بوضعك الذى تتقن تمثيله فيما عداها ، أعنى وضع رجل المجتمعات الذى لا يزعجه شىء .

راندل : الحق يا هشاباى ، أعتقد أن الرجل يستطيع أن

يكون مهذبا دون أن يتهم بالتصنع .

هكتور : انه تصنع على أى حال ، ونحن فى هذا المنزل نعرف كل أنواع التصنع ، وتسليتنا أن نكتشف الرجل من خلف قناعه ، والظاهر أن عطيل محبوب ايلى هو ذلك الرجل الذى يختفى وراء قناع تصنعك .

راندل : دعنى أقل لك ان بعض تسلياتكم فى هذا المنزل مزعجة أشد الازعاج .

هكتور : نعم ، لقد كنت ضحيتها سنوات طويلة . وكنت برما بها فى أول الأمر ، ولكنى تعودتها ، وأخيرا تعلمت كيف أتسلى بها .

راندل : اذا كان الأمر سواء عندك فانى أرجوك ألا تتسلى بها معى ، فمن الواضح أنك لم تحسن تفهم خلقى ولا فكرتى عن السلوك المهذب .

هكتور : أفكرتك عن السلوك المهذب هى التى جعلتك تفضح ليدى أترووود ؟

راندل : (نغمة صبيانية باكية تكسر من حدة غيظه) أنا لم أقل كلمة واحدة ضد ليدى أترووود ، ها قد عدنا الى المؤامرة ثانية .

هكتور : أية مؤامرة ؟

راندل : أنت تعرف ذلك تمام المعرفة ياسيدى ، مؤامرة لجعلى أبدو مشاكسا غيورا صبيانيا وغير ذلك من الصفات التى ليست فىّ ، فكل انسان يعرف أننى على العكس من ذلك تماما .

هكتور : (ينهض) لقد أزعجك أمر ما فى جو هذا المنزل ، فكثيرا ما يكون له هذا الأثر (يذهب الى باب الحديقة وينادى ليدى أتروود بصوت آمر) أريادن !

ليدى أتروود : (عن بعد) نعم .

راندل : لماذا دعوتها ؟ انى أريد أن أتكلم —

ليدى أتروود : (تصل مبهورة الأنفاس) نعم ، انك فى الحق شخص شديد التحكم ، ماذا حدث ؟

هكتور : لست أدرى كيف أسوس صديقك راندل . لا شك أنك تستطيعين ذلك .

ليدى أتروود : أجعلت من نفسك أضحوكة كالعادة يارانـدل ؟ أتستطيع أن أرى ذلك واضحا على وجهك ، انك فى الحق أكثر الناس مشاكسة .

راندل : تعلمين تمام العلم يا أريادن أنه ليس فى طبيعتى

مقدار ذرة واحدة من المشاكسة . لقد ظهرت هنا فى مظهر لطيف جدا . لقد كنت هادئا رزينا فى مواجهة اللص . ان رزانتى تكاد تكون أقوى صفاتى ، ولكننى (يضرب الأرض بقدمه ويذرع الغرفة ذهابا وجيئـــة فى غضب) أصر على أن أعامل بشىء من الاحترام ، ولن أقبل أن يتجرأ علىّ هشاباى ، كما لا أقبل أن تشجعى الناس كما تفعلين .

هكتور : عند الرجل وهم أكيد أنه زوجك .

ليدى أترود : أعلم ذلك ، انه غيور كأنما له الحق فى ذلك ! وهو يعرضـــنى للشكوك فى كل مكان ويثير الفضائح على الملأ ، ولكنى لن أســـمح بذلك يارانـدل ، لن أسمح به على الاطلاق . ليس لك الحق فى مناقشة سلوكى مع هكتور ، فلن أقبل أن أكون موضوع حديث الرجال .

هكتور : كونى منصفة يا أريادن ، انمـــا هو جمـــالك الطاغى الذى يجبر الرجال على التحدث عنك .

ليدى أترود : أوه ، حقا ! وماذا عن جمالك الطاغى ؟

هكتور : وما حيلتى فى ذلك ؟

ليدى اترووود : تستطيع أن تقص شاربك ، أما أنا فلا أستطيع أن أجدع أنفي ، لقد قضيت حياتي كلها متورطة مع من يقعون فى حبى من الناس ، ثم يأتى راندل ليقول اننى أجرى وراء الرجال .

راندل : أنا —

ليدى اترووود : نعم ، هذا ما تقوله وما قلته الآن ، لماذا لا تفكر فى شيء آخر غير النساء ؟ صدق نابليون اذ قال ان المرآة شغلة الرجل العاطل ، حسن ، اذا كان فى هذه الدنيا رجل عاطل واحد فلن يكون اسمه الا راندل أترووود .

راندل : أرياد —

ليدى اترووود : (تغمره بسيل من الكلمات) نعم ، انك لكذلك ، فلا تنكر ، ماذا فعلت فى حياتك ؟ وما الفائدة منك ؟ انك متعب فى المنزل كطفل فى الثالثة ؛ لولا خادمك الخاص لما استطعت أن تعيش .

راندل : هـذا —

ليدى اترووود : كسل ! أنت الكسل مجسدا ، والأنانية بعينها . انك أتفه رجل على وجه الأرض ، فأنت لا تستطيع حتى أن تثرثر الا عن نفسك ، وعن

الظلم الواقع عليك ، وعن عللك ، وعن الناس الذين أساءوا اليك (تلتفت الى هكتور) أتعرف بم يلقبونه يا هكتور ؟

هكتور : (فى صوت واحد) أرجوك ألا تخبرينى
راندل : لن أحتمل ذلك --

ليدى اتروود: راندل عديم النفع ، هذا هو اسمه فى المجتمع الراقى .

راندل : (يصيح) لن أحتمل هذا قلت لك ، ألا تستمعين الىّ أيتها الخبيثة الـ - - (يختنق صوته) .

ليدى اتروود: حسن ، استمر ، بم كنت تريد أن تصفنى ؟ الخبيثة ماذا ؟ أى حيوان كريه هذه المرة ؟

راندل : (مزبدا) ليس فى العالم حيوان أبغض من المرأة ، أنت شيطانة تذهبين العقل ، لن تصدقنى يا هشاباى اذا قلت لك اننى أحببت هذه الشيطانة طول عمرى ، ولكن يعلم الله أنى دفعت الثمن .

(يجلس على كرسى الرسام وهو يبكى)

ليدى اتروود: (تقف وراءه فى ازدراء المنتصر) أيها الطفل البكاء !

هكتور : (برزانة وهو يتقدم منه) يا صديقى ، ان لابنتى شتوقر تأثيرين غريبين على الرجال : انهما قادرتان على ايقاع الرجال فى حبهما ، وقادرتان على دفعهم الى البكاء ، فاحمد الله أنك لست زوج احداهما .

ليدى أتروود : (بعظمة) أرجوك يا هكتور أن ...

هكتور : (يضع يده فجأة حول كتفيها ويديرها حوله ليبعدها عن راندل ثم يقبض على عنقها بيده الأخرى) اريادن ! ان حاولت أن تلعبى بى فسأخنقك ، أتسمعين ؟ ان لعبة القط والفأر مع الجنس الآخر لعبة مسلية ولكنها قد تكلفك رأسك اذا لعبتها معى (يلقى بها فى خشونة على المقعد الكبير ويتقدم منها فى تصميم وان كان أقل عنفا) لقد قال نابليون حقا ان المرأة شغلة الرجل العاطل ، ولكنه أضاف قائلا انها سلوة المحارب ، حسن . اننى أنا المحارب ، فاحذرى .

ليدى أتروود : (لم يكدرها عنفه بل انه أرضاها) يا عزيزى هكتور ، اننى لم أفعل فى الحقيقة الا ما طلبته منى .

هكتور : بربك ، ما معنى هذا ؟

ليدى أترود : لقد ناديتنى لأسوس راندل ، أليس كذلك ؟ وقد قلت انك أنت نفسك لم تستطع أن تسوسه .

هكتور : حسن ، وماذا ان كنت قد قلت ذلك ؟ أنا لم أطلب منك أن تدفعى الرجل الى الجنون .

ليدى أترود : انه لم يجن ، ولكن هذه هى الطريقة التى تصلح لسياسته . لو كنت أما لفهمت .

هكتور : أم ؟ أى غرض ترمين اليه الآن ؟

ليدى أترود : الأمر فى غاية البساطة ، عندما كان الأطفال يثورون ويسيئون الأدب كنت أضربهم حتى يبكوا بكاء طويلا وتصدم أعصابهم صدمة نافعة ، فيروحون فى النوم ثم يستيقظون بعد ذلك هادئين . حسنا ، اننى لا أستطيع أن أضرب راندل ، فهو أكبر من أن يضرب ، ولذا لا أجد وسيلة عندما يثور ويجمح الا أن أتهكم عليه حتى يبكى . ستتحسن حاله الآن ، انظر ، انه فعلا نصف نائم . (وهذا صحيح) .

راندل : (يستيقظ حانقا) لست كذلك ، انك فى غاية القسوة يا أريادن . (متأثرا) لكن أظننى سأصفح

عنك كالعادة (يمنع نفسه من التثاؤب) .

ليدى أترووود: (لهكتور) هل اقتنعت أيها المحارب المخيف ؟

هكتور : سأقتلك يوما ما ان زدت عن حدك ، لقد كنت أحسبك بلهاء .

ليدى أترووود: (تضحك) هذا ما يحسبه كل انسان أول الأمر ، ولكنى لست بلهاء كما يبدو علىّ (تنهض فى بشاشة) اذهب الآن الى فراشك يارالدل ، وفى الصباح ستكون فى خير حال .

رالدل : (فى تمرد ضعيف) سأذهب الى فراشى عندما أريد ، ثم ان الساعة لم تبلغ العاشرة .

ليدى أترووود: بل انها تجاوزت العاشرة بكثير ، اعمل على أن يذهب الى فراشه فورا يا هكتور (تذهب الى الحديقة) .

هكتور : أفى الدنيا عبودية أحط من عبودية الرجل للمرأة؟

رالدل : (ينهض فى عزم) لن أكلمها غدا ، سأخاصمها أسبوعا ، سألقنها درسا . سأذهب توا الى فراشى دون أن أحييها (يتجه الى الباب الموصل الى البهو)

هكتور : لقد سحرتك يا رجل ، ان شتوفر العجوز باع

نفسه للشيطان فى زنجبار فزوجه الشيطان ساحرة سوداء ، وابتناه الشيطانتان هاتان هما الذربة الغامضة لهـذا الزواج . أنا مربوط بهزيون . ولكنى زوجها ، واذا كنت قد جئت بها فها نحن على الأقل زوجان ، ولكن لمـاذا تدع أربادن تجرك وتضربك كما يجر الطفل جحشه الخشبى؟ ماذا تكسب من ذلك ؟ أأنت عشيقها ؟

راندل : لا تسىء فهمى ، انى أحبها حبا ساميا - حبا أفلاطونيا .

دكتور : يا للهذر.! حبا أفلاطونيا ! انها تجعل منك خادما لها ، فان حان يوم السداد راغت منك . هـذا ما تعنيه .

راندل : (فى ضعف) حسنا ، اذا كان هذا يرضينى فما شأنك أنت به ؟ وقد أخبرتك أنى سأعاقبها . سترى ، انى أعرف كيف أعامل النساء . ولكن النعاس يغلبنى حقا . هل تكون ظريفا وتحيى مسز هشاباى نيابة عنى ؟ تصبح على خـير . (يسرع خارجا) .

دكتور : يا له من تعس ! أوه ، يا للنساء ! يا للنســـاء ! يا للنساء ! (يرفع قبضتيه الى السماء فى ابتهال) اسقطى ، اسقطى واسحقى .

(يخرج الى الحديقة)

الفصل الثالث

فى الحديقة .

عندما يخرج هكتور من الباب الزجاجى للحجرة التى تشبه مؤخر السفينة ، يجد الليدى أتروود متنعمة بالرقاد على الأرجوحة الشبكية شرقى سارية العلم ، وقد انصب عليهـــا ضوء القوس الكهربائى الذى يشبه القمر فى استدارته وبريقـــه . وراء رأس الأرجوحة كرسى رحلات يمكن طيه ، وعلى الجانب الآخر من السارية يرى القبطان شتوفر نائما على مقعد الحديقة الطويل والى يمينه ايلى وقد مالت عليه فى محبة ، والى يساره كرسى من القمـاش كذلك الذى يستعمل على شرفات السفن . فى الخلف تسير هزيون متنزهة فى الظلمة ومعها مانجان . الليلة عادئة جميلة غاب قمرها .

ليدى أتروود : يا لها من ليلة بديعة ! كأنما خلقت من أجلنا .

هكتور : الليل لا يهتم بنا ، فما نحن لليل ؟ (يجلس فى كآبة على الكرسى القماش) .

ايلى : (حالمة وقد التصقت بالقبطان) ان جماله يسرى فى أعصابى . فى الليل راحة للشيوخ وأمـــل للشباب .

هكتور : أأنت مبتدعة هذه العبارة ؟

ايلى : كلا ، ولكنها آخر كلمة قالها القبطان قبل أن ينام .

القبطان شتوفر : لستُ نائما .

هكتور : لقد نام راندل وكذلك مستر ماتزينى دن ، ولعل مانجان أيضا قد نام .

مانجان : كلا .

هكتور : أوه ، أأنت هناك ؟ ظننت هزيون قد أرسلتك الى فراشك فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

مسز هشابای : (تتقدم الى الضوء خلف مقعد الحديقة ومعها مانجان) أظن هذا ما سأفعله ، فانه لم يكف عن اخبارى أن لديه احساسا داخليا بقرب موته . لم أقابل فى حياتى رجلا شرها الى العطف مثله .

مانجان : (فى نواح) ولكن لدى احساسا داخليا بذلك ، الحق اننى أحس به ، ومع ذلك لا تريدين الاستماع الىّ .

مسز هشابای : لقد كنت أستمع الى شىء آخر ، كان فى السماء صوت رائع يشبه دقات طبول ، ألم يسمعه أحد منكم ؟ كان الصوت يأتى من بعيد ثم يتبدد .

مانجان : قلت لك انه صوت قطار .

مسز هشابى : وأنا قلت لك يا آلف انه لا يمر قطار فى هـذه الساعة ، فآخر قطار يمر فى التاسعة وخمس وأربعين دقيقة .

مانجان : ولكنه قطار بضاعة .

مسز هشابى : ليس على خطنا الصغير ، فهم يلحقون عربة للبضاعة بقطار الركاب ، ماذا تظن الصون يا هكتور ؟

هكتور : دمدمة السماء المتوعدة تقززا منا نحن المخلوقات العقيمة التى لا نفع فيها . (فى عنف) أقول لكم انه سيحدث أحد أمرين ، اما أن يخرج من هذه الظلمة خلق جديد يحل محلنا كما حللنا نحن محل الحيوانات ، واما أن تسقط السماء مرعدة وتقضى علينا .

ليدى اتروود : (فى أسلوب تعليمى هادىء ، وهى تتقلب على الأرجوحة بارتياح) اننا لم نحل محل الحيوانات يا هكتور . لماذا تسأل السماء أن تحطم هـذا البيت الذى يمكن أن يكون مريحا لو أن لدى هزيون أية فكرة عن كيف تكون الحياة ؟ ألا تعرف ما عيب هذا البيت ؟

هكتور : نحن عيبه اذ لا عقل لنا . اننا خطرون لا نفع فينا ويجب أن نباد ونمحى .

ليدى أترود : هراء ! لقد أخبرنى هيستنجز بعلة هذا البيت فى اليوم الأول الذى جاء فيه الى هنا منذ أربع وعشرين سنة تقريبا .

القبطان شتوفر : عجبا ! هل قال هذا الغبى ان فى منزلى عيب ؟

ليدى أترود : قلت ان هيستنجز قال ذلك ، وليس فى هيستنجز ذرة واحدة من الغباء .

القبطان شتوفر : وما عيب بيتى ؟

ليدى أترود : عيبه هو عيب السفن يا أبى ، ألم يكن ذكاء من هيستنجز أنه لاحظ ذلك ؟

القبطان شتوفر : ان الرجل لغبى ، فليس فى السفن من عيب .

ليدى أترود : بل ان فيها عيبا .

مسز هشابای : ولكن ما هو ؟ لا تهوّلى الأمر يا آدى .

ليدى أترود : خمنى .

هكتور : شيطانتان ، ابنتا ساحرة زنجبار ، الشيطانتان .

ليدى أترود : مطلقا ، أؤكد لك أن كل ما يحتاج اليه هذا المنزل ليكون منزلا معقولا صحيا بهيجا ، يحس

المقيم فيه بشهية طيبة وينام نوما عميقا .. هو الخيـــل .

مسز هشابای : الخيل ! ما هذا الكلام الفارغ ؟

ليدى أتروود : نعم ، الخيل . لماذا لم نستطع قط تأجير هـــذا المنزل ؟ لأنه لا يشتمل على اسطبل جيد . اذهبى الى أى مكان فى انجلترا حيث يعيش ناس طيبون حقـــا من الانجليز ، ناس طبيعيون أصـــحاء راضون ، فمـــاذا تجدين دائما ؟ تجـــدين أن الحظائر هى المركز الحقيقى للبيت ، واذا ما أراد زائر أن يعزف على البيـــانو فلا بد أن تقلب الحجرة رأسا على عقب حتى يمكن فتحه لكثرة ما تراكم عليه من الأشياء . انتى لم أعرف طعم الحياة قط قبل أن أتعلم الركوب ، ولن أجيد الركوب حقا لأنى لم أبدأ تعلمه وأنا طفلة . فى انجلترا يتكون المجتمع الراقى من طبقتين فقط ، طبقة الفرسان وطبقة المرضى باختلال الأعصاب ، وليس هذا مجرد عرف ، فكل انسان يستطيع أن يلاحظ أن من يصيدون هم الذين على صواب ، أما الذين لا يصيدون فهم المخالفون .

القبطان شتوفر : فى هذا بعض الحق ، فقد جعلت سفينتى منى رجلا ، والسفينة هى حصان البحر .

ليدى اتروود : هذا بالضبط هو ما علل به هيستنجز كونك سيدا مهذبا .

القبطان شتوفر : هذه حسنة من رجل غبى . أحضرى الرجل معك فى المرة القادمة ، يجب أن أحادثه .

ليدى اتروود : لماذا كان راندل على هذه التفاهة ؟ لقد ربى تربية حسنة فذهب الى مدرسة خاصة ثم التحق بالجامعة وعمل بوزارة الخارجية ، وهو يعرف خيرة الناس ، وقد عاش طول حياته بينهم ، فما الذى يجعله غير مقبول هكذا ؟ ما الذى يجعله محتقرا هكذا ؟ لماذا لا يستمر معه خادم أكثر من أشهر قليلة ؟ لا لسبب الا لأنه كسلان ميال الى الراحة بحيث لا يحب الصيد والقنص ، انه يعزف على البيانو دون فن ، ويرسم ، ويجرى وراء المتزوجات ، ويقرأ الكتب الأدبية والشعر ، بل انه يعزف على الناى ، ولكنى لا أسمح له أبدا بأن يحضره الى منزلى ، لو أنه فقط ... (تقاطعها أنغام ناى حزينة صادرة من نافذة

مفتوحة فوقهم ، فترفع نفسها وهى فى الأرجوحة وتقول فى غيظ) راندل ، انك لم تنم ، أكنت تسمع ما نقول ؟ (فيجيبها الناى بوقاحة) .

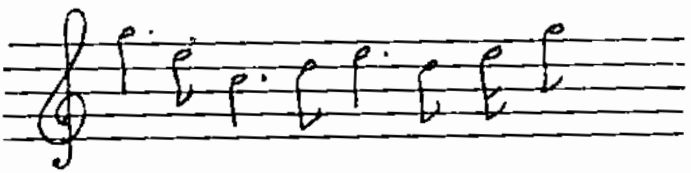

يا لها من سوقية ! اذهب الى فراشك يارانـدل على الفور ، كيف تجرؤ ؟ (تغلق النافذة بعنف فتعود ليدى أتروود الى الهدوء) كيف يمكن أن يأبه أى انسان لمثل هذا المخلوق ؟!

مسز هشابای : أتظنين يا آدى أن ايلى ينبغى أن تتزوج الفريد المسكين من أجل ماله فقط ؟

مانجان : (فى انزعاج شديد) ما هذا ؟ أتناقش شئونى الخاصة يا مسز هشابای أمام كل انسان هكذا ؟

ليدى أتروود : لا أظن أن راندل يسمعنا الآن .

مانجان : كلكم تسمعون . هذا لا يجوز .

مسز هشابای : ولكن ماذا يهم ما دمنا فى الظلام ؟ ان ايلى لا تمانع ، أليس كذلك يا ايلى ؟

ايلى : لا أمانع مطلقا ، ما رأيك يا ليدى أتروود ؟ فانك راجحة العقل .

مانجان : ولكن هذا لا يجوز ، انه .. (تضع مسز هشاباى يدها على فمه) أوه ، حسن جدا .

ليدى أتروود : كم تملك من المال يا مستر مانجان ؟

مانجان : حقا — كلا ، لا أستطيع احتمال هذا .

ليدى أتروود : هراء يا مستر مانجان ! فالأمر يتعلق بدخلك ، أليس كذلك ؟

مانجان : حسن ، ما دام الأمر كذلك ، فكم تملك هى من المـــال ؟

ايلى : لا شيء .

ليدى أتروود : لقد أجابتك يا مستر مانجان ، والآن وقد جعلت مس دن تكشف أوراقها ، فان تستطيع أن ترفض كشف أوراقك .

مسز هشباى : هيا يا آلف ! تكلم بصراحة ! كم ؟

مانجان : (وقد ضايقه الأمر حتى تخلى عن كل احتراس) حسن ، ما دمتم تريدون أن تعرفوا فأنا لا أملك مالا ، ولم أملك مالا قط .

مسز هشباى : ألفريد ، لا تتخابث علينا بهذا الكلام .

مانجان : أنا لا أتخابث عليكم ، انما أخبركم بالحقيقة العارية .

ليدى أترود : اذن بم تعيش يا مستر مانجان ؟

مانجان : بمصاريف التنقلات وعمولة ضئيلة .

العبطان شتوفر : وهل يملك أحدنا فى رحلة الحياة أكثر من مصاريف السفر ؟

مسز هنشباى : ولكنك تملك مصانع ورأس مال وغير ذلك .

مانجان : هذا ما يظنه الناس ، يظنون أنى امبراطور الصناعة ، وهذا هو السبب الذى تريد مس ايلى أن أتزوجها من أجله ، ولكنى أقول لكم انى لا أملك شيئا .

ايلى : تعنى أن المصانع لا وجود لها مثل نمور ماركوس ؟

مانجان : انها موجودة ولا شك ولكنها ليست ملكى ، انها ملك أصحاب رءوس الأموال وحملة الأسهم وكل أصناف الرأسماليين الكسالى الذين لا يصلحون لشىء ، اننى أحصل على المال من مثل هؤلاء الناس لأقيم المصانع ، وأستخدم أناسا كوالد مس دن ليديروها ، ثم أحكم الرقابة

عليها لتربح ، فأعيش بالطبع عيشة مترفة ، ولكنها كعيشة الكلاب ، اذ أنى لا أملك شيئا .

مسز هشبای : ألفريد ، ألفريد ، انك تكذب فيما تقول لتتجنب الزواج من ايلى .

مانجان : اننى أقول الحقيقة عن أموالى لأول مرة فى حياتى ، ولأول مرة يقابل كلامى بالشك .

ليدى أتروود : يا مسكين ! لماذا لا تشتغل بالسياسة يا مستر مانجان ؟

مانجان : أشتغل بالسياسة ! أين كنت تعيشين ؟ اننى أشتغل بالسياسة .

ليدى أتروود : أرجو المعذره ، ولكنى لم أسمع بك .

مانجان : دعينى أخبرك ياليدى أتروود أن رئيس وزراء هذه البلاد طلب منى أن أشترك فى الوزارة حتى بدون الدخول فى هذا الهراء الذى يسمونه انتخابات ، على أن أكون حاكما بأمرى فى وزارة كبيرة .

ليدى أتروود : باعتبارك من المحافظين أم من الأحرار ؟

مانجان : لا شيء من هذا الهراء . بل باعتبارى رجل أعمال

ذا خبرة عملية (ينفجرون جميعا ضاحكين) ماذا يضحككم جميعا ؟

مسز هتشبای : أود ، ألفريد ، ألفريد !

ايلى : أنت ! يا من تحتاج الى أبى ليقوم بكل أعمالك !

مسز هتشبای : أنت ! يا من تخاف عمالك !

هكتور : أنت ! يامن لعبت بك ثلاث نساء لعبة القط والفأر طوال المساء !

ليدى اتروود : لابد أنك قدمت لخزانة الحزب مبلغا ضخما يا مستر مانجان .

مانجان : لم أدفع مليما واحدا من جيبى ، لقد دبر اتحاد المنتجين المبلغ لأنهم يعلمون كم أكون مفيدا لهم وأنا فى الوزارة .

ليدى اتروود : هذا أمر فى غاية الامتاع والغرابة يا مستر مانجان، وما هى أعمالك الحكومية العظيمة التى قمت بها حتى الآن ؟

مانجان : أعمالى العظيمة ؟ حسن ، أنا لا أدرى ماذا تعنين بقولك أعمال عظيمة ، ولكنى وضعت حدا لألاعيب الأشخاص الآخرين فى الوزارات الأخرى ، فكل منهم كان يظن أنه سينقذ البلاد

وحده ، ويحرمنى من هذا الشرف ومن فرصة الحصول على لقب ، فحرصت على ألا يفعلوا ذلك هم أيضا ما داموا لا يريدون أن يسمحوا لى بأن أفعله . لعلى لا أعرف شيئا عن المكنة التى أعمل عليها ، ولكنى أعرف كيف أدس عودا من الحديد فى مكنة الشخص الآخر . وها هم الآن يبدون جميعا كأغبى الأغبياء .

هكتور : وكيف تبدو أنت بحق السماء ؟

مانجان : أبدو كمن تغلب بمهارته على الآخرين جميعا ، أليس كذلك ؟ فاذا لم يكن هذا انتصارا للخبرة العملية ، فماذا يكون ؟

هكتور : أهذه انجلترا أم مستشفى مجانين ؟

ليدى اتروود : وهل تظن أنك ستنفذ البلاد يا مستر مانجان ؟

مانجان : حسنا ، من غيرى يستطيع ؟ هل ينقذها صديقك مستر راندل ؟

ليدى اتروود : راندل عديم النفع ! بالطبع لا .

مانجان : هل يستطيع انقاذها زوج أختك بشاربه وحديثه المنمق ؟

هكتور : نعم ، لو سمحوا لى .

مانجان : (ساخرا) آه ، وهل يسمحون لك ؟

هكتور : كلا ، فهم يفضلونك .

مانجان : حسن جدا اذن ، ما دمت فى عالم يقدرنى ولا يقدرك ، فخير لك أن تكون لطيفا معى ، أليس كذلك ؟ من يوجد اذن غيرى ؟

ليدى أترود : يوجد هيستنجز ، فلتتخلصوا من ديموقراطيتكم المضحكة الكاذبة ، ولتعطوا هيستنجز السلطات اللازمة وكمية كافية من الخيزران ليرد الشعب البريطانى الى صوابه ، وسينقذ البلاد بغاية السهولة .

الشيطان نصوحا : اذن خير لها أن تضيع ، فأى مغفل يستطيع أن يحكم بعصا فى يده ، أنا نفسى أستطيع أن أحكم بهذه الطريقة ، ولكنها طريقة لا ترضى الله ، ان الرجل غبى .

ليدى أترود : الرجل يساويكم كلكم مجتمعين ، ما رأيك يا مس دن ؟

ايلى : أعتقد أن أبى يستطيع أن ينجح فى ذلك لو أن

الناس لا يخدعونه ويغشونه ويستخفون به من فرط طيبته .

مانجان : (باحتقار) انى لأتمثل ماتزينى دذ وهو عضو فى البرلمان أو وهو يشق طريقه الى الوزارة ؛ ولكننا والحمد لله لم نصل بعد الى هذا الحد . ما رأيك يا مسز هشاباى ؟

مسز هشاباى : آوه ، أنا أرى أنه لا يهم كثيرا من منكم يحكم البلاد ما دمنا نحن نحكمكم .

هكتور : نحن ؟ ماذا تعنين بكلمة نحن ، أرجوك ؟

مسز هشاباى : حفيدات الشيطان ياعزيزى ؛ الجميلات من النساء .

هكتور : (يرفع يديه كما فعل قبلا) اسقطى ؛ قلت لك ، وخلصينا من اغراء الشيطان !

ايلى : يبدو أنه لا يوجد شىء حقيقى فى هذه الدنيا ما عدا أبى وشكسبير ؛ نمور ماركوس زائفة ؛ ملايين مانجان زائفة ؛ ليس فى هزيون شىء قوى حقيقى الا شعرها الأسود الجميل ، ليدى أترود أجمل من أن تكون حقيقية . لم يكن باقيا لى

الا درجة التركيز السابعة عند القبطان وقد ظهر أنها ليست الا نتيجة ..

القبطان شتوفر : الروم .

ليدى أتروود : (برزانة) جانب كبير من شعرى طبيعى تماما ، وقد عرضت علىّ دوقة ديذرينج خمسين جنيها مقابل هذه (تلمس جبينها) معتقدة أنها صناعية، ولكنها طبيعية كلها الا اللون .

مانجان : (فى هياج) انظروا ، سأخلع جميع ملابسى . (يبدأ فى خلع سترته) .

ليدى أتروود : مستر مانجان !
القبطان شتوفر : ما هذا ؟
هكتور : ها ! ها ! اخلع ، اخلع !
ايلى : أرجوك ألا تفعل .
(فى دهشة)

مستر هشابى : (تمسك بذراعه وتمنعه) ألفريد ، يا للعار ! أأنت مجنون ؟

مانجان : العار ! أين هو العار فى هذا المنزل ؟ فلنتعر جميعا عريا كاملا اذ يجب أن نتم العمل الذى بدأناه ، لقد عرينا أنفسنا عريا معنويا ، حسنا ، فلنعر أنفسنا كذلك عريا ماديا ، ولنر كيف يروق لنا

ذلك . أقول لكم انى لا أتحمل هذا ، لقد نشأت على أن أكون محترما ، أنا لا يهمنى أن تصبغ النساء شعورهن أو يسكر الرجال ، فهذه هى طبيعة البشر ، ولكن ليس من طبيعة البشر أن نخبر الناس جميعا بذلك . فى كل مرة يفتح أحدكم فمه أفعل هكذا (ينحنى كانما يتفادى قذيفة) خوفا مما سيحدث بعد ذلك ، كيف نبقى على احترامنا لأنفسنا ان لم ندّع أننا أفضل من حقيقتنا ؟

ليدى اترود : انى أقدر شعورك يا مستر مانجان ، فقد مررت بهذه التجربة كاملة ، وانى لأعلم بخبرتى أن الرجال والنساء نباتات رقيقة يجب أن تربى تحت الزجاج فى جو خاص ، ولكن سرتنا تعودت قذف الأحجار فى كل اتجاه لتترك الهواء يدخل ، وهذه العادة ليست فظة غير محتملة وحسب ، بل انها خطرة أيضا . ومع ذلك فلا فائدة من أن نصاب ببرد جسدى كما أصبنا ببرد معنوى ، لذلك أرجوك أن تظل بملابسك .

مانجان : سأفعل ما يروق لى لا ما تمليه علىّ ، أطفل أنا

أم رجل مكتمل ؟ لن أتحمل استبداد الأمومة هذا ، وسأعود الى المدينـــة حيث يحترموننى ويحتفون بى .

مسز هشابای : وداعا يا آلف ، اذكرنا بين وقت وآخر وأنت فى المدينة . فكر فى شباب ايلى !

ايلى : فكر فى عيون هزيون وشعرها !

الفطان شتوفر : فكر فى الحديقة حيث لم تعد كلبا ينبح ليحجب الحقيقة !

دكتور : فكر فى جمال ليدى أترووود ! وعقلها ! وذوقها !

ليدى أترووود : متملق ، فكر يا مستر مانجان اذ كنت تستطيع حقا أن تنفع نفسك فى أى مكان آخر ، فهذه هى النقطة الجوهرية ، أليس كذلك ؟

مانجان : (فى اذعان) سمعا وطاعة ، سمعا وطاعة ، لقد هزمت فافعلوا ما شـــئتم ، وكل ما أطلبـــه أن تتركونى وشأنى ، فأنا لا أدرى وأنتم تهاجموننى هكذا ان كنت أقف على رأسى أو على رجلىّ ، سأبقى ، وسأتزوجها ، وسأفعل أى شىء فى سبيل حياة هادئة ، أرضيتم الآن ؟

ايلى : كلا ، فأنا فى الحقيقة لم أكن أنوى قط أن أجعلك

تتزوجنى يا مستر مانجان ، ولم تكن هذه الفكرة قط متأصلة فى أعماق نفسى ، وكل ما كنت أرمى اليه هو أن أجرب قوتى لأعرف أنك لن تستطيع الفرار منى ان أردت أن آخذك .

مانجان : (فى غضب) ماذا ! أتعنين أنك ستهجريننى بعد أن تصرفتُ هذا التصرف الجميل ؟

ليدى أتروود : لو كنت مكانك لما تسرعت هكذا يا مس دن . يمكنك أن تهجرى مستر مانجان فى أى وقت حتى اللحظة الأخيرة . ان قليلا جدا من الرجال الذين فى مركزه يفلسون ، ويمكنك أن تعيشى عيشة مترفة اعتمادا على شهرته بالثراء العريض.

ايلى : لن أستطيع يا ليدى أتروود أن أرتكب جريمة تعدد الأزواج .

(يصيحون فى وقت واحد)

مسز هشابای : تعدد الأزواج ! عم تتحدثين بحق الله يا ايلى ؟

ليدى أتروود : تعدد الأزواج ! ماذا تعنين يا مس دن ؟

مانجان : تعدد الأزواج ! أتعنين أنك متزوجة فعلا ؟

هكتور : تعدد الأزواج ! أى لغز هذا !

ايلى : منذ نصف ساعة فقط أصبحت الزوجة البيضاء للقبطان شتوفر .

مسز هشابى : ايلى ! أى هراء ! أين ؟

ايلى : فى السماء ، حيث يتم كل زواج حقيقى .

ليدى انروود: حقا يا مس دن ! حقا يا أبى !

مانجان : وكان يقول لى انى أنا كبير السن ، هذا المومياء !

هكتور : (متمثلا بقول شيلى) .

الأرض المعشوشبة الممتدة هيكلهم
والرياح المهمهمة كاهنهم .

ايلى : نعم ، أنا ، ايلى دن ، أعطى قلبى المحطم وروحى الصحيحة القوية لقبطانها الطبيعى زوجى الروحى وأبى الثانى . (تأخذ ذراع القبطان فى ذراعها وتربت على يده بينما يظل القبطان مستغرقا فى النوم) .

مسز هشابى : أوه ، هذه براعة منك يا صغيرتى ، براعة عظيمة ، لن تستطيع يا ألفريد أن تعيش مع ايلى ، فعليك أن تقنع بنصيب صغير منى .

مانجان : (ينشق رغامه ويمسح عينيه) هذه قسوة . (تشتد به العاطفة فيختنق صوته) .

ليدى اترود : لقد نجوت منها دون كارثة يا مستر مانجان : فمنذ عدت الى انجلترا لم أر شابة أشد غرورا من مس دن .

مسز هشابای : أوه ، ان ايلى ليست مغـرورة . أأنت كذلك يا صغيرتى ؟

ايلى : انى أعرف الآن مدى قوتى يا هزيون .

مانجان : وقحة ، هكذا أصفك ، وقحة .

مسز هشابای : صه ، صه يا ألفريد ، لا تكن فظـا ، ألا تحس بجمال هذه الليلة ، ليلة العـرس المعقـود فى السماء ؟ ألستما سعيدين أنت وهكتور ؟ افتحا عيونكما : ان آدى وايلى جميلتان جمالا يسر أشد الرجال صعوبة فى الارضـاء ، اننا نعيش ونحب ولا نهتم بشىء آخر فى الدنيـا ، نحن النساء قد دبرنا هذا كله من أجلكما ، فلماذا بالله يبدو عليكما كأنكما تعيسان بائسان ؟

الليفتنانت شتوفر : أقول لك انه لا خير فى السـعادة . يمكنك أن تكونى سعيدة وأنت نصـف حية . اننى الآن وأنا نصف ميت أكثر سعادة مما كنت فى شبابى ، ولكن سعادتى هذه ليس فيها بركة .

ايلى : (يتلألأ وجهها) الحياة المباركة ! هذا ما أريده ، الآن عرفت السبب الحقيقى الذى منعنى من أن أتزوج مستر مانجان ، اذ لن يكون فى زواجنا بركة ، فى قلبى الكسير بركة ، وفى جمالك يا هزيون بركة ، وفى روح أبيك بركة ؛ حتى أكاذيب ماركوس فيها بركة ، أما مال مانجان فليس فيه شىء من البركة .

مانجان : انى لا أفهم كلمة واحدة مما تقولين .

ايلى : ولا أنا ، ولكنى واثقة أن له معنى .

مانجان : لا تدعى أنه كانت هناك أية صعوبة فى الحصول على البركة . لقد كنت على استعداد لأن أستدعى سقفا ليعقد زواجنا .

مسز هشابای : أليس غبيا يا صغيرتى ؟

هكتور : (بشراسة) لا تحقرا الرجل ، فكلنا أغبياء .

(يأتى ماتزينى من المنزل من ناحية ليدى أتروود وهو بالبيجاما وروب من الحرير زاهى الألوان)

مسز هشابای : أوه ! ها قد جاء الرجل الوحيد الذى قاوم

اغرائى ، ما الخبر يا مستر دن ؟ هل اشتعلت النار فى المنزل ؟

مانزينى : أوه ، كلا ، لم يحدث شىء ، ولكن من المستحيل حقا أن ينام الانسان بينما يدور تحت نافذته هذا الحديث الشائق فى مثل هذه الليلة الجميلة، فلم يكن أمامى الا أن أنزل وأشترك معكم فى الحديث ؛ فيم كنتم تتحدثون ؟

مسز هشابای : أوه ، أشياء رائعة ياجندى الحرية .

دكتور : مثلا ، حاول ما نجان باعتباره رجلا عمليا من رجال الصناعة أن يخلع ملابسه كلها ولكنه فشل فى ذلك فشلا ذريعا ، بينما نجحت أنت نجاحا باهرا باعتبارك رجلا مثاليا .

مانزينى : أرجو ألا يضايقك مظهرى هذا يا مسز هشابای (يجلس على كرسى الرحلات) .

مسز هشابای : بالعكس ، انى لأتمنى أن أراك دائما هكذا .

ليدى أترود : لقد فسخت خطبة ابنتك يا مستر دن ، اذ يبدو أن مستر مانجان — الذى كنا كلنا نظنه رجلا ثريا — لا يملك فى الحقيقة شيئا .

مانزينى : حسنا ، لقد كنت أعلم ذلك بالطبع يا ليدى

أتروود ، ولكن اذا كان النـاس يثقون فيـه ويعطـونه المـال دائمـا ، بينما لا يثقون فيّ ولا يعطونى شيئا من المال أبدا ، فكيف أطلب من ايلى المسكينة أن تعتمد على ما يمكن أن أعمله من أجلها ؟

مانجان : لا تسرعوا فى تصديق فكرة أنى لا أملك شيئا ، انى ...

مكنور : أوه ، لا تشرح شيئا ، فنحن فاهمون ، أنت تملك سـندات على الحكومة تسـاوى ألفى جنيه ، وخمسين ألف سهم تساوى الدستة منها عشرة بنسات ، كما تملك نصف دسـتة من أقراص سيانيد البوتاسيوم لتقتل بها نفسك عنـدما يكتشف أمرك ، هذه هى حقيقة ملايينك .

مانزينى : أوه ، كلا ، كلا ، كلا ، انه شريف حقـا وكل أعماله سليمة وقانونية تماما .

مكنور : (فى استياء) ياه ! ليس حتى نصابا كبيرا !

مانجان : هذا ما تظنه ، ولكنى مع ذلك كنت أقوى كثيرا من بعض الرجال الشرفاء .

ليدى اتروود : لا شىء يرضيك يا مستر مانجان ، فأنت تصر على

أنك لست غنيـا ولا فقـيرا ، ولست شريفـا ولا غشاشا .

مانجان : ها قد عدتم ثانية ، فمنذ جئت الى هذا البيت المجنون وأنتم تحاولون اظهارى بمظهر الرجـل الأحمق ، مع أننى لست فى هذا المنزل أقل منى فى المدينة .

ايلى : (فى نغمة موسيقية) نعم ، هذا البيت المجنون ، هذا البيت السعيد سعادة غريبة ، هذا البيت المعـذّب ، هـذا البيت الذى لا أسـاس له ، سأسميه منزل القلوب المحطمة .

مسز هشابى : كفى يا ايلى ، والا فسأعوى كما تفعل الحيوانات.

مانجان : (ينفجر فى بكاء خافت) !!!

مسز هشابى : أرأيت ، لقد جعلت ألفريد يبكى .

ايلى : انى أفضله وهو يعوى .

القبطان شتوفر : صمتا ! (يهدأ مانجان) أقول دع القلب يتحطم فى صمت .

هكتور : أتقبل أن يطلق هذا الاسم على بيتك ؟

القبطان شتوفر : انه ليس بيتى ، ليس الا وجارى .

هكتور : لقد أقمنا هنا أطول مما ينبغى ، اننا لا نعيش فى

هذا المنزل وانما نسكنه كالأشباح .

ليدى اتروود: (ممزقة القلب) كم يفزعنى التفكير فى أنكم قضيتم هنا كل هذه السنين التى طفت فيها بالعالم ، لقد نجوت صغيرة ولكن ها قد اجتذبنى اليه ثانية ، انه يريد أن يحطم قلبى أنا أيضا ، ولكنه لن يستطيع ، فقد تركتكم وهجرته ، وكان غباء منى أننى عدت ، غير أن الحنين الى أبى والى هزيون والى المكان القديم تملكنى ؛ وأحسست كأنهم ينادوننى .

مانزينى : يا لها من عاطفة انسانية طبيعية رقيقة ساحرة يا ليدى أتروود !

ليدى اتروود: هذا ما ظننته يا مستر دن ، ولكنى الآن أعرف أنها آخر مراحل مرضى ، فقد اكتشفت أن أحدا لم يكن يذكرنى أو يريدنى .

القبطان شتوفر : لقد رحلت لأنك كنت لا تريدينا ، ألم يكن فى ذلك تحطيم لقلب أبيك ؟ لقد انتزعت نفسك من الجذور ، واندمل جرح الأرض وأخرجت نباتات أخرى جديدة ونسيتك ، فبأى حق تعودين لتحيى الجراح القديمة ؟

مسز هشابای : لقد كنت غريبة علىّ تماما أول الأمر يا آدى ، ولكنى الآن أحس وكأنك لم تفارقينا لحظة .

ليدى أترووود : شكرا لك يا هزيون ، ولكنى شفيت من مرضى تماما ، قد يكون المكان منزلا لنقلوب المحطمة بالنسبة اليك يامس دن او بالنسبة لهذا السيد القادم من المدينة والذى يبدو أنه لا يستطيع السيطرة على نفسه ، ولكنه بالنسبة لى ليس الا ڤيلا خالية من الترتيب والنظام وليس فيها حظيرة للخيل .

هكتور : ويسكنها .. ؟

ايلى : قبطان بحرى عجوز مجنون ومغنية شابة تعبده.

مسز هشابای : وأنثى سلبطة اللسان تحاول أن تحفظ نفسها من السئمَن والترهل ، وتتودد عبثا الى رجل ولد ليكون جنديا من جنود الحرية .

مانزينى : ٌوه ، حقا يا مسز هشابای ..

مانجان : وعضو فى وزارة صاحب الجلالة يظنه الجميع أبله ، لا تنسه ياليدى أترووود .

ليدى أترووود : وسيد شديد الجاذبية عمله الرئيسى أنه زوج شقيقتى .

هكتور : وكلهم حمقى محطمو القلوب .

ماتزينى : أوه ، كلا ، اسمحوا لى أن أقول انكم بالتأكيد نموذج طيب لأحسن ما فى مدنيتنا الانجليزية ، فأنتم قوم ظرفاء جدا ، فى غاية التقدم ، والتسامح ، والصراحة ، والانسانية ، والطيبة ، والديموقراطية ، وحرية الفكر ، وفيكم كل ما يرضى ذوى الفهم والثقافة .

مسز هشابای : لقد ملأتنا فخرا يا ماتزينى .

ماتزينى : لست متملقا — صدقونى — اذ أين يمكننى أن أحس بالاطمئنان وأنا لابس بيجامتى ؟ أحيانا أحلم بأننى فى مجتمع راق وفجأة أجدنى لا ألبس الا بيجامتى ، وأحيانا أكون بدون البيجاما ، فأشعر دائما بالارتباك يغرقنى ، ولكنى هنا لا أهتم بذلك أقل اهتمام اذ يبدو الأمر طبيعيا تماما .

ليدى أترود : هذه علامة أكيدة يا مستر دن على أنك الآن فى مجتمع غير راق حقا ، فلو أنك كنت فى منزلى لشعرت بالارتباك .

مانزينى : سأهتم دائما بأن أبتعد عن منزلك ياليدى أترووود .

ليدى اترووود : ستكون مخطئا فى ذلك كل الخطأ يا مستر دن ، فانى خليقة أن أجعلك تحس بالراحة التامة ، ولن تضيق أو تحتار فيما تلبس على العشاء : أتلبس سترتك الأرجوانية المذهبة أم تلبس الخضراء القرمزية . انكم تعقدون الحياة بدلا من تبسيطها بهذه المضحكات التى تفعلونها .

ايلى : ليس منزلك منزلا للقلوب المحطمة ، أم هو كذلك يا ليدى أترووود ؟

هكتور : ومع ذلك فهى تحطم القلوب مهما يكن فى منزلها من راحة ، فهذا الشيطان المسكين القابع بنايه فى الطابع العلوى يعوى كلما عصرت قلبه ، كما يعوى مانجان كلما عصرت زوجتى قلبه .

ليدى اترووود : ذلك لأن راندل لا عمل له الا أن يترك قلبه يتحطم ، فهذا نوع من التغيير بدلا من غسل شعره بالشامبو ، ولكن لن يوجد من يستطيع كسر قلب هيستنجز !

القبطان شتوارد : الغبى ينتصر على الرغم من كل شىء .

ليدى اتروود: سأعود الى زوجى الغبى راضية كل الرضا عندما أضيق بكم جميعا مع ما أنتم عليه من ذكاء .

مانجان : (محتدا) لم أزعم قط أننى ذكى .

ليدى اتروود: لقد نسيتك يا مستر مانجان .

مانجان : حسنا ، اننى لا أفهم هذا أيضا .

ليدى اتروود: لعلك غير ذكى يا مستر مانجان ، ولكنك ناجح.

مانجان : ولكنى لا أريد أن ينظر الىّ على أنى رجل ناجح فقط ، فلى خيال كغيرى ، وانى لأحس احساسا داخليـــا ..

مسز هشابى : أوه ، انك لا تحتمل يا ألفريد ، فهأنذى مشغولة بك وحـــدك ،وأنت لا تفكر الا فى احساساتك المضحكة ، أنت تضـــايقنى . تعال وأنشـــدنى شعرا فى ضوء النجوم . (تجـــذبه خارجا الى الظلام) .

مانجان : (أثناء خروجه وقد امتلأت عيناه بالدمـــوع) نعـــم ، لا بأس من أن تســـخرى منى ، ولكن لو أنك فقط عرفت ..

هكتور : (نافذ الصبر) كيف ينتهى هذا كله ؟

ماتزينى : لن ينتهى يا مستر هشاباى ، فالحياة لا تنتهى ، ولكنها تستمر .

ايلى : أوه ، لا يمكن أن تستمر هكذا الى الأبد . انى دائما أنتظر أمرا ما ، لا أدرى ما هو ، ولكن يجب أن تنتهى الحياة الى نقطة ما ، فى يوم ما .

ليدى أنروود : النقطة لشابة صغيرة فى مثل سنك أن يكون لها طفل .

هكتور : نعم ، ولكنى — يا للعنة ! — أحس نفس احساسها ولست بقادر أن يكون لى طفل .

ليدى أنروود : بطريق غير مباشر يا هكتور .

هكتور : ولكنى أب لأطفال ، ذلك أمر انتهى بالنسبة لى ، ومع ذلك أحس أنا أيضا أن الأمر لا يمكن أن يستمر ، فنحن نجلس هنا لنتبادل الحديث تاركين كل شىء لمانجان والمصادفات والشيطان ، فكروا فى قوى التدمير التى يحسن استعمالها مانجان وعصابته التى تتبادل الاعجاب ! انه جنون ، كأنما أعطينا طوربيدا لطفل سىء التربية كى يلعب به محدثا الزلازل .

ماتزينى : أعلم ذلك ، فطالما فكرت فيه وأنا شاب .

هكتور : فكرت ! ما فائدة التفكير فيه ؟ لماذا لم تقم بعمل ايجابى ؟

مانزينى : ولكنى فعلت ، فقد انضممت الى الجمعيات وألقيت الخطب ، وألفت الرسائل ، وكان هذا كل ما أستطيع عمله . ولكنك تعلم أن معظم الذين ينضمون الى الجمعيات يحسبون أنهم أكثر معرفة من مانجان ، ولكنهم ما كانوا لينضموا اليها لو أنهم يعلمون ما يعلمه ، والسبب الحقيقى أنه لم يكن لديهم قط مال يستثمرونه ولا رجال يشرفون عليهم . وكل سنة كنت أتوقع ثورة أو دمارا رهيبا ، فقد كان يبدو مستحيلا أن نظل فى خطئنا وتخبطنا أكثر من ذلك ، ولكن لم يكن يحدث شىء بالطبع الا استمرار الفقر والجرائم والسكر التى اعتدناها ، لا شىء يحدث مطلقا ، وانه لأمر عجيب كيف نظل سائرين على الرغم من كل الظروف .

لهدى اترووود : لعل شخصا ما أذكى منك ومن مانجان كان يعمل طول الوقت .

ماتزيني : ربما ، فمع أنني نشئت على ألا أومن بشيء ، فكثيرا ما أحس أن هناك — رغم كل شيء — الكثير الذى يمكن أن يقال عن نظرية العنـــاية الالهية المهيمنة علينا .

ليدى اتروود : العناية الالهية ! انما عنيت هيستنجز .

ماتزيني : أوه ، معذرة يا ليدى أتروود .

القبطان شتوفر : كل ربان سكير يكل أمره الى العناية الالهية ، ولكن من الطرق التى تتبعها العناية الالهية مع الســكيرين أنها تحطم سفنهم على الصخور .

ماتزيني : لا شك فى صدق ذلك فى البحر ، ولكنى أؤكد لك أنهم لا يحـــدث لهم شيء فى الســياسة اذ لا يصطدمون الا بالأسماك الهلامية .

القبطان شتوفر : فى البحر لا يحدث شيء للبحر ولا يحدث شيء للسماء ، فالشمس تشرق من المشرق وتغرب فى المغرب ، والقمر ينمو من هلال كالمنجل الى أن يصبح كالقوس الكهربائى ، ويتأخر ظهوره ليلة بعد أخرى حتى يختفى فى الضوء كما تختفى الأشياء الأخرى فى الظلام . وبعد العاصفة تلمع الأسماك الطائرة فى ضوء الشمس كأنها الطيور ،

وعجيب أمر هذه الأشياء ، تمضى فى طريقها رغم كل شىء . لا شىء يحدث الا شىء لا يستحق الذكر .

ايلى : وما ذنك يا قبطان ، يا قبطانى ؟

القبطان شتوفر : (فى وحشية) لا شىء الا تحطم سفينة الربان السكير على الصخور وتناثر ألواحها العفنة ، وتمزق صفائحها الصدئة ، وغرق بحارتها كأنهم فئران فى مصيدة .

ايلى : اليك حكمة لا تشرب الروم .

القبطان شتوفر : (فى عنف) هذا كذب يابنيتى ، فلو شرب الرجل عشرة براميل من الروم فى اليوم لما قيل عنه ربان سكير حتى يكون ربانا متواكلا ، فما دام يستطيع أن يرسم طريقه ويقف فى مقر قيادته ليقود سفينته فلن يكون سكيرا أبدا ، أما الذى أسميه الربان السكير فهو ذلك الذى يرقد على السرير فى قمرته ويعتمد على العناية الالهية ولو لم يشرب الا من مياه نهر الأردن .

ايلى : رائع ! مع أنك منذ ساعة لم تشرب قطرة واحدة، أرأيت أنك لست فى حاجة اليه ، ان روحك لم تمت .

القبطان شتوفر : انها أصداء ، ولا شيء غير أصداء ، قد أطلقت آخر طلقة منذ سنوات بعيدة .

هكتور : وهذه السفينة التي تضمنا جميعا ؟ هذا السجن الروحي الذي نسميه انجلترا ؟

القبطان شتوفر : قبطانها في سريره يشرب ماء القنوات المعبأ في زجاجات ، وبحارتها يتامرون في مقدمة السفينة ، وستصطدم وتغرق وتتحطم ، أتظن أن القانون الالهي سيعطل من أجل انجلترا لأنكم ولدتم فيها ؟

هكتور : حسن ، اني لا أنوى أن أغرق كفأر في مصيدة ، ما زالت لدي ارادة الحياة ، فماذا يجب علي أن أفعل ؟

القبطان شتوفر : ماذا تفعل ؟ ليس أسهل من ذلك ، تعلم كيف تؤدي عملك بوصفك انجليزيا .

هكتور : أرجوك أن تخبرني ما هو عملي بوصفي انجليزيا.

القبطان شتوفر : الملاحة ، تعلمها وعش ، أو اهجرها لتحق عليك اللعنة .

ايلي : اهدأ ، اهدأ ، انك تنهك نفسك .

مارزيني : لقد فكرت فى ذلك كله مرة يا قبطان ، ولكنى أؤكد لك أن شيئا لن يحدث .

(يسمع انفجار مكتوم عن بعد)

هكتور : (ينتفض) ما هذا ؟

القبطان شتوفر : شيء يحدث (ينفخ فى صفارته) الأمواج العالية أمامنا !

(يطفأ النور)

هكتور : (ثائرا) من أطفأ ذلك النور ؟ من جرؤ على اطفاء النور ؟

الربية جينيس : (تقبل عدوا من المنزل الى وسط الساحة) أنا يا سيدى ، فقد اتصلت بنا الشرطة تليفونيا وبلغنا بأننا سنقدم الى المحاكمة اذ لم نطفىء ذلك النور ، فانه يرى على بعد أميال .

هكتور : سأجعله يرى على بعد مائة ميل (يندفع الى داخل المنزل) .

الربية جينيس : يقولون ان الأبرشية لم تعد الا كومة من الحجارة ، وما لم نقدم للقسيس سريرا فلن يجد مكانا ينام فيه الليلة .

القبطان شتوفر : الكنيسة على الصخور تتحطم ، لقد أخبرته أنها

ستتحطم ان لم تولّ وجهها نحو بحر الله الفسيح .

المربية جينيس : وعليكم جميعا أن تنزلوا الى الأقبية .

القبطان شتوفر : اذهبى أنت ، أنت وجميع البحارة ، وسدوا جميع الأبواب .

المربية جينيس : وأختبىء مع ذلك الجبان الذى تزوجته ! سأصعد أولا الى السطح (يضاء المصباح ثانية) انظروا ، لقد أضاء مستر هشاباى النور مرة ثانية .

اللص : (يدخل مسرعا ويتضرع الى المربية جينيس) اسمعى ، أين الطريق الى الحفرة الرملية ؟ لقد أخبرنى الخادم الصغير أن فى الحفرة الرملية كهفا ، هذه الأقبية لا تفع فيها . أين الحفرة الرملية يا قبطان ؟

المربية جينيس : سر أمامك عبر سارية العلم حتى تسقط فيها ويدق عنقك القذر .

(تدفعه بازدراء نحو سارية العلم وتذهب هى الى طرف الأرجوحة حيث تظل واقفة كأنما تقف بجوار مهد أريادن)

(يسمع انفجار آخر أعلى صوتا فيقف اللص مرتجفا)

ايلى : (تنهض) كان هذا أقرب .

القبطان شتوفر : سيصيبنا الانفجار القادم (ينهض) قفوا صفا أيها الرجال ، فهذا يوم الحساب .

اللص : أود ، يا اله السماوات ! (يندفع فى جنون الى الظلمة عبر سارية العلم)

مسز هشاباى : (تخرج من الظلام وهى تلهث) من كان هـذا الذى جرى مبتعدا ؟ (تتجه الى ايلى) أسمعت الانفجارات ؟ والصوت المدوى فى السماء ؟ انه رائع ، كأنه أوركسترا ، انه يشبه لحنا لبيتهوفن.

ايلى : انه والله لحن لبيتهوفن يا هزيون .

(تحتضن كل منهما الاخرى فى انفعـال شديد ، يزداد الضوء)

ماتزيني : (يتلق) ان النور يزداد سطوعا .

الربة جينيس : (ترفع بصرها نحو المنزل) هذا مستر هشاباى يضىء كل أنوار البيت ويمزق الستائر .

رانـدل : (يندفع داخلا وهو بالبيجاما محـركا نايه فى ذهول) اريادن ، يا عزيزتى ، يا روحى ، انزلى الى الأقبية ، أرجوك وأتوسل اليك أن تنزلى الى الأقبية

ليدى اترووود : (مطمئنة تماما فى الأرجوحة) زوجة الحاكم فى الأقبية مع الخدم ! حقا يا راندل !

راندل : ولكن ماذا أفعل ان قتلت ؟

ليدى اترووود : لعلك تقتل أنت أيضا يا راندل ، والآن أعزف على نايك لتثبت أنك لست خائفا ، كن لطيفا واعزف لنا لحن « أبق نيران البيت مشتعلة » .

الربية جينيس : (فى تجهم) سيبقون نيران البيت مشتعلة من أجلنا ، هؤلاء الذين هم فوق .

راندل : (يحاول العزف) شفتاى ترتجفان ولا أستطيع اخراج أى صوت .

ماتزيني : أرجو أن يكون مانجان المسكين فى أمان .

مسز هشابای : انه مختبىء فى الكهف فى الحفرة الرملية .

القبطان شتوفر : لقد اجتذبته مفرقعاتى الى هناك ، انها يد الله .

هكتور : (يعود الى المنزل ويتجه فى خطى واسعة الى حيث كان يجلس) لا يكفى ضعف هذا النور ، كان يجب أن تتوهج أنوارنا حتى تصل الى عنان السماء .

ايلى : (فى انفعال شديد) أشعل النار فى البيت يا ماركوس

مسز هشاباى : بتى ! كلا .

هكتور : لقد فكرت فى ذلك ، ولكنها لن تشتعل فى الوقت المناسب .

القبطان شتوفر : جاء يوم الحساب ولن تنجيكم شجاعتكم ، ولكنها ستظهر لنا أن أرواحكم ما زالت حية .

مسز هشاباى : ش ش ! اسمعوا ، أتسمعونها الآن ؟ انها رائعة

(يتحولون جميعا عن المنزل وينظرون الى أعلى وهم يتسمعون)

هكتور : (بوقار) لا فائدة من وجودك هنا يا مس دن ؛ نحن سكان هذا المنزل لسنا الا فراشات تحوم حول لهب الشمعة ، خير لك أن تهبطى الى القبو.

ايلى : (باحتقار) لا أظن .

ماتزينى : لا عار فى الذهاب الى القبو يا عزيزتى ايلى ، فقد يأمر الضابط جنوده بالاختباء . ان مستر هشاباى يتصرف كالهواة ، أما مانجان واللص فقد تصرفا بحكمة ، وهما اللذان سينجوان .

ايلى : فلينجوا . ولكنى سأتصرف كهاوية ؛ أما أنت فلماذا تعرض نفسك للخطر ؟

ماتزينى : فكرى فى المخاطر التى يتعرض لها هؤلاء المساكين الذين هم فوق .

الربية جينيس : نفكر فيهم حقا ، هؤلاء الأوغاد القتلة ! وماذا بعد ؟

(انفجار مروع يهز الأرض فيقعـــون على مقاعدهم أو يتشبثون باقرب شيء اليهـــم ، يسمعون سقوط الزجاج المحطم من نوافذ المنزل .)

مانزيني : هل أصيب أحد ؟

هكتور : أين سقطت ؟

الربيه جينيس : (فى انتصار بشع) أصابت الحفرة الرملية اصابة مباشرة ، لقد رأيتها ، وقد نال ما يستحقه ، لقد رأيتها . (تجرى مسرعة الى الحفرة الرملية وهى تضحك فى خشونة) .

هكتور : مات أحد الأزواج .

البطان شتوفر : وضاع ثلاثون رطلا من أجود المتفجرات .

مانزيني : أوه ، مسكين مانجان !

هكتور : أأنت خالد لتأسى عليه ؟ ان دورنا قادم .

(ينتظرون فى صمت وقلق وتوقع ، وقـد شدت كل من هزيون وايلى على يد الاخرى .)

(يسمع انفجار بعيد .)

مسز هشاباى : (تخفف من قبضتها) أوه ! لقد ابتعدوا عنا .

ليدى أتروود : انتهى الخطر يا راندل فاذهب الى فراشك .

القبطان شتوفر : عودوا جميعا أيها الرجال ، فقد نجت السفينة .
(يجلس ويروح فى النوم .)

ايلى : (فى خيبة أمل) نجت !

هكتور : (فى اشمئزاز) نعم نجت ، وكم يبدو العالم — فجأة — سخيفا ومملا من جديد ! (يجلس).

ماتزينى : (يجلس) لقد كنت مخطئا تماما على الرغم من كل شىء فاننا نحن الذين نجونا ، ومانجان واللص ..

هكتور : — اللصان —

ليدى انروود : — رجلا الأعمال العمليان —

ماتزينى : ماتا كلاهما ، ولا بد للقسيس المسكين من بيت جديد .

مسز هشابای : ولكن يا لها من تجربة رائعة ! ليتهم يعودون فى الليلة القادمة

ايلى : (تهش للفكرة) أوه ، ليتهم يفعلون .
(ينجح راندل أخيرا فى أن يبقى نيران البيت مشتعلة على نايه .)